

Kuwait Capital of Islamic Culture 2016



الخادع الحقيقي



أبريل 2016

412

رواية

تأليف: توف جانسون
ترجمة وتقديم: أ. د. محمد فرغل
مراجعة: حنان عبدالمحسن مظفر

المخادع الحقيقي
رواية



THE TRUE DECEIVER

TOVE JANSSON

الطبعة الأولى - الكويت
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2016م
إبداعات عالمية - العدد 412

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م
تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني
(1990 - 1923)

المخادع الحقيقي



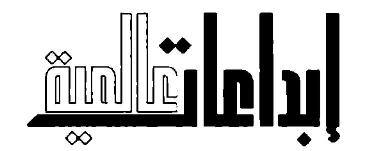
المخادع الحقيقي

رواية

تـــألـــيـــف: توف جانسون

ترجمة وتقديم: أ. د. محمد فرغل

مـــراجـــعـــة: حنان عبدالمحسن مظفر



تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

www.nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@nccal.gov.kw
ebdaat_alamia@yahoo.com

ISBN: 978-99906-0-488-7

التمهيد

بقلم: آلي سميث

نشـرت توف جانسـون في عـام 1962 قصة للأطفـال بعنوان «لحن الربيع» تضمّنت شخصية سنفكين، وهو الموسيقار المتجول فـي قصـص المومينـز. «إنـه المسـاء المناسـب للعزف، خطـر ببال سـنفكين. لحـن جديد، جـزء منه لمـا سـيأتي، وجـزءان للحزن، ومـا تبقّى لمجرد الاسـتمتاع بالتجول وحيـدا والرغبة في ذلك». وحينما هيّأ نفسـه للعزف، أزعجه مخلـوق صغير، «زاحف» حفّ من بين الأعشاب وأعلن إعجابه بسنفكين الشهير، مستفسرا عن أشـياء كثيـرة وطالبا الانتباه والراحة. وفـي تلك الأثناء اختفى اللحـن الـذي كان حتـى تلك اللحظة يشـكّل نفسـه من أصوات الغابـة والجـدول وما يبوح بـه الربيع. وينبغي على سـنفكين أن ينتظر ليعود اللحن من جديد.

ينبغي ألا نستهين أبدا بجانسون التي لا تستهين بقرائها أبدا، فهذه القصة للأطفال في سن الثامنة تعدّ خطابا ذا صلة وثيقة بالعلاقات بين الفن والطبيعة والشهرة والهوية، وهي نقاش لمكان الفنّـان ودوره ومنابـع الإبـداع الخفية. ويمكننا القـول إن كلّ ما كتبتـه، بطريقـة أو بأخـرى، هو حـول التفاعـلات الإبداعية بين الفـن والواقع أو بين الفن والطبيعـة، وقد صادف أن تكون عبارة «الفـن والطبيعة» عنوانا لقصة في مجموعة القصص القصيرة للكبـار التـي نشـرتها عـام 1978 بعنـوان «منـزل اللعبـة» (وهو الكتاب الذي صدر قبيل روايتها «المخادع الحقيقي»).

تجد الشخصية المحورية في قصتها «الفن والطبيعة» - وهي قيّمة عجوز مسؤولة عن معرض الفن الضخم برمّته وعن الغابة أيضا - تجد نفسها حكما في نقاش حام بين زوج وزوجته في متنزه معتم للمنحوتات حول ما تمثّله حقا لوحة ابتاعاها للتو. ترى أن تلك اللوحة لا تزال ملفوفة بورقتها وربّاطها. تقترح عليهما، لإنهاء الاختلاف، أن يبقياها داخل الورقة التي تلفها هكذا، «إن العنصر الخفيّ هو المهم، المهم جدا بطريقة ما». بكل هذه البساطة، ثم تخرجهما من المتنزه وتذهب للنوم.

لقد ولدت توف جانسون كطفلة مبدعة لفنانين بوهيميين فنلنديين، فوالدتها، سبغني هامارستين، كانت واحدة من أشهر فناني فنلندا ورساميها، وكان والدها، فيكتور جانسون، نحّاتا مشهورا، وقد أصبحت جانسون نفسها مشهورة في الثلاثينيات من عمرها بعد نشرها قصص المومينز ورسوماتهم، والتي أكسبتها أخيرا شهرة عالمية. ولأنها كانت وما زالت تتمتع بالشهرة في أدب الأطفال، لم تحظ كتاباتها للكبار التي بدأتها في بداية الخمسينيات من عمرها (توفيت عام 2001 عن عمر يناهز السادسة والثمانين) باهتمام يذكر، ولكن خلال ثلاثة العقود الأخيرة من حياتها - وهي مدة لا يستهان بها من حياة الفنان - كانت الكتب الأحد عشر التي ألّفتها جميعها للكبار.

لقد شكّلت إعادة نشر كتاب الصيف (1971) عام 2003، والذي تبعته مجموعة مختارة من قصصها القصيرة، وكتاب الشتاء عام 2006، والطبعة الإنجليزية الأولى لروايتها الأخيرة اللعبة العادلة عام 2007 في المملكة المتحدة.. شكّلت مدخلا كاشفا لها عند القراء الناطقين بالإنجليزية. فاكتشاف عمل

لجانسون لم يترجم بعد هو من الغرابة بمكان ولحظة سعادة غامرة على حدّ سواء كالوصول إلى كنز مدفون في كل مرة يسعفنا الحظ لقراءة كتاب آخر من كتبها لأول مرة باللغة الإنجليزية، وبخاصة عندما يكون المترجم مناسبا لأسلوبها الدقيق بصداه العميق، ألا وهو توماس تيل (وهو المترجم الأول أيضا لكتاب الصيف في السبعينيات).

رواية المخادع الحقيقي هي الأولى بمحض المصادفة، وهي عمل متواضع غير متوقع ويمتاز بالقوة. إذا كان المومينز الإرث الساطع الذي تركته جانسون، وهم مجتمع مكون من مخلوقات بأنوف ضخمة تمتاز بالإبداع والطيبة وقادرة على النجاة مرة تلو الأخرى من العواصف والخيارات التي تخص وجودها في الشتاء الإسكندنافي المظلم هكذا من خلال طيبتها ولطفها وكمالها وفلسفتها، فماذا سيحدث عندما يوضع مجتمع حقيقي مكانها؟ ماذا ستكون النتيجة عندما تعالج جانسون بطريقة واقعية حياة قرية صغيرة في طبيعة يلفها شتاء مظلم بكل شرورها وتقلباتها الاعتيادية؟ في كتاب يقترب كثيرا من واقع حياة محلية جعلت الطبعة السويدية الأصلية تنوه إلى أن مسرح الرواية لا يشير إلى أي مكان حقيقي، وأن شخوصها لا يمثلون أي أناس حقيقيين البتة؟

وإذ تعالج هذه الرواية الحقيقة والخداع وخداع الذات والصدق في السرد المتخيّل، فهي تمتاز بالحياد الشديد في وضوحها وبساطتها الظاهرية. لا غرابة إذا أن تكون هذه الرواية في جوهرها واحدة من أكثر أعمالها غموضا وبراعة. كانت ثالث رواية لها للكبار تحديدا، وتم نشرها لأول مرة عام 1982.

وقد قال كاتب سيرتها، بويل ويستين، إن هذه الرواية كانت الأكثر تعقيدا بالنسبة له. «فنظرتها الثاقبة للحياة»، يقول ويستين: «هي في الحقيقة عنصر مميز في كتبها للكبار». وقد تحدّثت جانسون نفسها عن الجهد المضني الذي خبرته أثناء كتابتها، وكيف أنها عملت على إنجازها «بعناد ومكابدة». وليس ثمة شك بالظروف القاسية التي ينبغي على شخوصها العيش بها والعمل من خلالها. «عصفت الرياح، دفعت بالثلج إلى النوافذ هامسا بقوة اعتاد عليها سكان القرية منذ زمن بعيد، بعيد جدا، وبين الهبّات الثلجية، كان الصمت سيد الموقف».

تبدأ الرواية ببساطة صارخة تميز الكتاب برمته: «كان صباحا شتويا عاديا والثلج ما زال يتساقط»، ثمة ظلمة، تكاد تكون مألوفة، في قلب الجملة الأولى في الرواية. في كتاب عن الظلمة، عن مكان مظلم «لم يكن ثمة نور في أيّ من نوافذ القرية»، حيث يشكّل الثلج ضربا من الخوف من الأماكن المقفلة، حيث «تملأ الثلوج الطرق مباشرة بعد جرفها»، حيث «يصحو الناس متأخرين من نومهم إذ لم يعد ثمة صباح يقيسون عليه». لم يعد ثمة صباح، إذ تحول الواقع المألوف إلى سراب، ويحلول الفقرة الثانية في الرواية يستقر الانطباع عن حياة مجتمع القرية الصغير، وهو انطباع قد يرتبط بذلك المناخ القاسي. «لا يزال الثلج يتساقط، وها هي تخرج مرة أخرى»، يتحدّث الراوي مجهول الهوية عن كاتري، وهي إحدى بطلتي الرواية، ومن الواضح أن كاتري وشقيقها غير محبوبين في القرية، فهو «ساذج»، ولون عينيها مزعج، والأدهى من ذلك، أن الشقيق وشقيقته لا ينتميان للقرية أصلا.

إن صوت الرواية سهل وواضح على شكل تقرير يتغير، بسلاسة وعلى نحو مفاجئ، إلى صوت كاتري نفسها، مما يجعل هوية الراوي غير واضحة البتة ومشوّشا لكل جوانب الموضوعية. ومع نهاية الفصل الأول، نجد أنفسنا أمام صورة مشوشة، وأمام معرفتنا أن هذا الكتاب، الذي يعالج المكان والمال والشتاء والبرية والأعراف الاجتماعية والسلطة، سيكون أيضا عما إذا كان ثمة شيء نسميه «الموضوعية»، فالموضوعية والحقيقة هما من هواجس كاتري التي لا تفارقها، فرفضها الدخول في المجاملات الاجتماعية وصدقها وصمتها وجرأتها جعلت القرويين غير مرتاحين وعدائيين للغاية تجاهها، ولكن ذلك ولّد ثقة غير عادية بها ومنحها درجة عالية من القوة في تلك القرية.

الكتاب أيضا يعالج إلى حدّ كبير كيف ينظر المرء إلى الأمور؛ وازدواجية دلالة عبارة مثل «الطريقة التي تنظر بها»: الطريقة التي تفهم أنت الأمور بها أم الطريقة التي يفهمك غيرك بها؟ إنه عن الصداقة والتجارة والود وماهية المال الحقيقي. «يقال إن للمال رائحة كريهة، وهذا ليس صحيحا، فتلك الرائحة تأتي من الناس أنفسهم». إنه حول الهمجية الطبيعية التي تسم شيئا أساسيا كرائحة الإنسان نفسها بضرب من المال. «لا بد أن الكلاب ترى من خلالنا، وتمتلك بصيرة نافذة تحكمها آلاف السنين من الطاعة.. إلى متى قد يظل ما كان حيوانا بريا ذات يوم شيئا غير ذلك؟». فكاتري، المكسوة بالثلج ككلبها، تعد نفسها في طبقة الكلاب اجتماعيا؛ فهل هذا الكتاب أيضا عن الطبقات الاجتماعية؟ وفي نهاية الفصل تقف كاتري ناظرة إلى المنزل الكبير في القرية الذي يشبه وهميا وجه أرنب ضخم وتملكه

الفنانة آنا إيملين، التي تقيم «وحدها، وحيدة مع مالها». ودوافع كاتري واضحة لها وغير مخفية عنا، فهي وشقيقها، ماتس، سينتقلان إلى ذلك المنزل.

كل هذا في خمس صفحات قصيرة. يبدأ الكتاب بالمواجهة المتوقعة، كلب مقابل أرنب؛ «وهي القصة الحقيقية لآنا وكاتري»، أو بكلمات أخرى، المواجهة بين «الواقع» و«الخيال». في جوهرها تعد الرواية بمعركة حامية الوطيس. «أتمنى لو أن القرية بكاملها تغطى وتمحى، وأخيرا تصبح نظيفة». فكاتري تريد نقاء ماحيا؛ إنها تمثل قسوة الشتاء. أما غريمتها، آنا إيملين، فلا موطئ قدم لها في الشتاء؛ إنها ترتبط بالربيع على وجه الخصوص. «لقد حل الشتاء، وهي لم تعمل قط حتى تبدأ الأرض المكشوفة بالظهور». ففنها يعتمد على الربيع، وأحيانا تشعر تقريبا أن الربيع قد يكون معتمدا على فنها. وهي أيضا شخص ينأى بنفسه عن القرية عمليا، فهي عانس تعيش في متحف مهيب على ذكرى والديها، وفنانة مشهورة ترسم أرضية الغابة بصور معروفة بأصالتها في جميع أنحاء العالم، ومن ثم تأخذ هذه الصور «الواقعية بصرامة» وتضيف إليها الكثير من الأرانب الوردية المصطنعة، والتي أكسبتها أيضا شهرة عالمية، خاصة بين الأطفال.

من المخادع الحقيقي هنا؟ وكيف يرتبط الخداع بالحقيقة؟ فالرواية بقريتها التي تعج بالمحتالين والدجالين هي مواجهة فلسفية بين عقليتين: عقلية كاتري الساخرة وعقلية آنا بحساسيتها الجمالية. هل ثمة شيء يدعى «الود»؟ أو هل هناك فقط تلك «الآلية الضبابية والمثيرة للاشمئزاز التي يعتمدها

الناس مسلحين بحصانة في جميع الأوقات والأماكن لتساعدهم بالحصول على ما يريدونه؛ قد يكون ذلك مصلحة أو حتى غير ذلك، غالبا لأن الأمر يأتي بهذه الطريقة، ليس إلا، وذلك بإظهار الود قدر المستطاع والتملص من ورطة ما». ما المقصود بالأرانب الوردية (أو، قد نضيف، المومينز)؟

هل آنا هي المحقّة بقولها إن الاهتمام بما يحتاج إليه الآخرون على الرغم من أنه «شيء نادر للغاية» هو جزء طبيعي وجدّي من كون الإنسان إنسانا؟ فهي تعرف المتوقع منها وتقوم به، تماما كما تعرف كذبتها وتجدها متعبة. ولكن «الأشياء ليست دائما بتلك البساطة». كاتري، في المقابل، تعرف تماما دلالة كلمة «بسيط»، لقد رأت وحطّمت المجسمات الثلجية التي صنعها أطفال القرية في تشبيه لاذع لها ولشقيقها «البسيط» أكثر من اللازم. وهي تعرف حتى بدرجة أعلى من الوضوح أن تمثيل الواقع مفهوم يحمل الكثير من الدلالات للجميع، بمعزل عن كون المرء فنّانا كما يُعتقد.

«ماتس لا يملك أسرارا. وهذا ما يجعله شخصا غامضا للغاية». إن نصوص جانسون، وهي أعمال قد تدفع سهولتها الظاهرية إلى دفعها جانبا، يتم حبكها دائما إلى حدّ الكمال، وتنطوي على خفة خادعة، وسهولة سطحية، كطبقة جليد رقيقة تغطي بحيرة ما، إذ تتيح لك منفذا نادرا إلى ما هو أخطر وأعمق. «نادرا ما تعطي الكتب انطباعا واضحا كذاك الذي تعطيه كتبك مما يجعلها قد نضجت إلى درجة الحتمية»، كتب محرر جانسون في بونيرز (ناشرها السويدي) لها حينما كانت تجهد في عملها الشاق. تُعد رواية المخادع الحقيقي كتابا حول

النضج الفني والنضج العمري عند الإنسان من زوايا مختلفة.

كبقية كتاباتها، إنها مقاربة بين الحالات المتجمدة وتلك التي تكتنفها السيولة في الربيع. فثمة نقاش حول تقنيات الأدب المتخيّل مبنيّ ببراعة كجزء لا يتجزأ في قاعدة هذه الرواية الأساسية، فكاتري هي الشريرة في الحكاية الخيالية، أو الذئب الضخم الشرير، ويوازيها حضور قصص الأطفال المبسطة التي يحبها ماتس وآنا، قصص ساذجة عن استكشاف العالم. ولكن هذه الرواية ليست حكاية خيالية؛ إن بحث كاتري الحقيقي والخفي لا يتصف بالأنانية في عالم دنيوي أناني، فهي تريد أن تؤمن منزلا لماتس، وفي الوقت نفسه أن تتم صناعة القارب الذي صممه ليأخذ مكانه في العالم الحقيقي، وهذا القارب الحقيقي، بإمكانية إبحاره الحقيقية، هو الأكثر أملا وتوافقا كرمز في هذه الرواية.

هل هذه صورة لسيرة ذاتية؟ قالت جانسون بشيء من الصراحة عندما نُشرت رواية المخادع الحقيقي لأول مرة في طبعتها السويدية إن «كل كتاب جاد هو نوع من الصورة الذاتية». وقد أثار هذا فضول المراجعين الذين قرروا أن ينظروا إلى الكتاب، وهو عمل يمتاز بالبراعة والحكمة، من منظار يبسط الأمور ويختزلها كما تفعل السير الذاتية في أغلب الأحيان. لكن آنا إيملين ببراءتها المفرطة وعجزها الكامل عن مواكبة الفوائد التجارية العرضية من أرانبها الوردية وحاجتها الماسة إلى من يقوّم عاداتها الإدارية هي في منأى عن العين الثاقبة وجانسون الحكيمة التي تستطيع الكتابة بأسلوب لاذع ومرح (كما فعلت في قصتها «الرسائل») عن موجة من الطلبات المجنونة التي

جـاءت من شـركات وأفراد فيمـا يتعلق «بمنتجهـا» (طالبة، على سبيل المثال، «رسوما للمومينز على ورق الحمام بظلال ملونة» أو «حامـلات أطباق عليها صور للمومينز أقوم بتصميمها بنفسـي وأصنعها في المطبخ دون أي مساعدة مأجورة»).

كانت جانسـون تدرك مسؤولية آنا الثقيلة وسريالية موقفها، موقف قد يأتي بطلب كذاك الذي جاء من شركة أرادت أن تستخدم قوامهـا البائـس الصغيـر على «فوطـة صحية صغيـرة داخلية» (ردّت آنـا بالنفي القاطع) مباشـرة. وآخر مـن قارئ يطلب صورة لسـنفكين «يمكنه وشـمها على ذراعه كرمز للحرية». كانت تدرك أن مسـؤوليات الفنـان ضخمة، وأن موقف الفنان قوي سـرياليا، وهـي توحي أيضا بأن كل شـخص فنان إلى حدّ ما، بمسـؤوليات وإمكانيـات متشـابهة. فمثلا، كاتري تختار وتحـرر كلماتها بدقة مثلها مثل أي كاتب.

يلاحظ ويسـتين في سـيرتها الذاتية كيف أن جانسون تقحم حياتهـا فـي أدبهـا المتخيّـل، «أحيانا بوضـوح وحريـة وصراحة، وأحيانـا خفيـة مـن خلف أسـماء وأقنعـة متنوعة.. فآثـار توف جونسـون تظهـر هنـا وهنـاك فـي جميـع نصوصهـا وصورهـا، والأنماط التي تشـكلها جديدة باسـتمرار». والعبارة ذات الدلالة هنا هي «جديدة باستمرار». في المخادع الحقيقي تعلّم المخادعان كيف يعيدا إنتاج نفسيهما.

تعالـج هذه الرواية عن الفن والرفاهية وعن مكان الأدب فـي الظلمة إلى حـدّ كبير حقيقة أن للكلمـات دلالات مختلفة، فهـي تعمـل كالأشـعة السـينية عبـر الصغائـر كافة. إنهـا عمل شـاعري في العمق، وصورها كالكلـب الذي أصابه الجنون أخيرا

أو كوم القمامة الذي تُرك على سطح البحيرة المتجمدة؛ ما تكوّم وقتيّا في حياة آنا إميلين، والذي سيغرق عندما يذوب الجليد ويأتي الربيع، كل تلك الصور منتشرة في الرواية.

من فوق السطح، هذا الكتاب يدور إلى حدّ كبير حول القدرة على البقاء، كما يعالج ما يطفو إلى السطح في الحياة بمرور الوقت.

من المؤكد أن إحدى اللحظات الأكثر تأثيرا لحظة عالجت فيها جانسون قوة الفن الكامنة حين كانت آنا تتفحص رزما هائلة من مراسلات والديها القديمة محاولة أن تجد لنفسها صورة، صورة الفنان، كطفلة يافعة، واكتشفت أنها لم تكد تذكر في تلك المراسلات، وأنها «لم تكن موجودة». هذا عندما أدركت، على سبيل المفارقة، أنها أصبحت «رسّامة لأرضية الغابة» فقط بعد أن توفي والداها ودُفنا فيها.

إن رواية المخادع الحقيقي هي نقيض ما ينعت بـ «الساحر»، وهي كذلك عن قصد. ولكن تقديم الرواية لنفسها كعمل قاس وغامض هو شيء يمكن أن نسميه ضربا من الخداع في صلبه. «إن الصراع بين الحيوان المتوحش.. والأرنب لا يصل إلى نتيجة حقيقية» يقول بويل ويستين، «فليس ثمة إجابات عما هو صواب وعما هو خطأ».

هذه قراءة محتملة للرواية، ولكن انظر إلى فهم الرواية لطبقات أعماق سريالية الإنسان وحزنه، وإلى رؤية جانسون الاعتيادية إلى الصفات الملحمية التي تلتصق بصغائر الأمور كافة. وعلى الرغم من أنها ترفض العاطفية بعناية شديدة، فهي تقدم، مع كل تلك القسوة في القرية، ثروة من أشكال الود

الصغيـرة والحقيقيـة. والأكثر مـن ذلك، أن بطلتـي الرواية، آنا وكاتـري، وهمـا النقيضان فـي «القصـة الحقيقيـة»، تعلمتا في النهاية أن تغيّرا مواقفهما.

هـذا التغييـر لا يأتـي دون انكسـار، فالجليد سينكسـر أثناء الذوبان، ومع كل ذلك، ففي نهاية هذه الرواية الذكية والغامضة، غيّـرت هاتان المرأتان لحنيهما القديمـين بلحنين جديدين. إنها واحدة من كتابات جونسون الأكثر إدهاشا وهدوءا خادعا.

المقدمة

توف جانسون كاتبة فنلندية من أصل سويدي، وتكتب باللغة السويدية.

ولدت في العاصمة الفنلندية هلسنكي في 9 أغسطس 1914، وتوفيت فيها في 22 يونيو 2001.

نشأت في عائلة فنية، إذ كان والدها نحّاتا ووالدتها مصممة جرافيك ورسّامة.

درست الفنون الجميلة بأنواعها في ستوكهولم (1930-1933) وفي هلسنكي (1933-1937) وفي باريس (1938).

اشتهرت في بداياتها ككاتبة ورسّامة للأطفال من خلال أعمالها التي توّجتها بسلسلة المومينز (رسومات لمخلوقات في هيئات غريبة تعيش في أماكن مختلفة وتتناول قضايا متنوعة للأطفال) في الفترة من 1945 إلى 1970. وعلى الرغم من أن أعمالها كانت موجهة للأطفال، لكنها امتازت بالتنوع والعمق، وحتى بعض التعقيد.

اشتهرت رسوماتها الكاريكاتيرية في جميع أنحاء العالم، وحازت جائزة هانز كريستين أندرسون الفنلندية في العام 1966 عن آخر عمل لها في أدب الطفل. كما حازت فيما بعد (1994) جائزة الأكاديمية السويدية.

بدأت رحلتها في الكتابة للكبار عام 1968 في كتابها «ابنة النحّات»، الذي ينحو منحى السيرة الذاتية، تلته خمس روايات؛ إحداها المخادع الحقيقي 1982، وهي الرواية التي نحن بصدد تقديمها للقارئ العربي.

ترجم هذه الرواية من السويدية إلى الإنجليزية توماس تيل، وحازت جائزة أفضل كتاب مترجم في العام 2011.

بداية، تنقلنا هذه الرواية إلى الحياة في الدول الإسكندنافية بأدق تفاصيلها؛ إلى قرية سويدية حيث الناس يقضون حاجاتهم اليومية البسيطة في جوّ يلفّه البرد والثلج والظلمة، وحيث يتطلع الجميع إلى قدوم فصل الربيع لتختفي الظلمة وتسطع الشمس وتظهر الطرقات التي تئن تحت وطأة الثلج من جديد. لكن الربيع يبقى حلما في هذه الرواية، إذ تسدل توف جانسون الستار على قصتها مع أول ظهور لأرض الغابة بعد ذوبان الجليد.

يفتتح الراوي هذه الرواية بالقول: «كان صباحا عاديا مظلما في يوم شتوي والثلج لا يزال يتساقط. لم يظهر أي نور خلال نوافذ القرية»، ويستمر في سرده: «لقد ظل الثلج يتساقط على امتداد الساحل طوال شهر كامل. وحسبما يتذكر سكان تلك القرية، لم يتساقط الثلج بهذا القدر منذ زمن بعيد وبهذا الكم الثابت الذي يتراكم أمام الأبواب والنوافذ ويُثقل الأسطح بلا توقف ولو حتى لساعة واحدة. ولم يكد الثلج يُجرف من الطرقات حتى كان يعود ليملأها من جديد».

في هذا الجو القارس الذي تخيم عليه الظلمة والكآبة تنسج توف جانسون صراعا إنسانيا من الطراز الأول، بسرديّة تمتاز بالبساطة والانسيابية، وتغوص في أعماق النفس البشرية لتناقش قضايا في غاية الأهمية: علاقة الإنسان بالطبيعة (الغابة والبحر)، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بالحيوان، وعلاقة الطبيعة بالفن، وعلاقة الصدق والصراحة

بالكياسة والمجاملة، وغيرها من الموضوعات المهمة.

للوهلة الأولى، يظن القارئ أنه في حضرة رواية بوليسية مثيرة، ولكن سرعان ما يكتشف أن لهذا العمل وجهة أخرى، وجهة تركّز على التوتر الذي ينتاب العلاقات الإنسانية أثناء مناقشة أمور أساسية دون الوصول إلى العنف أو إراقة الدماء، وهو ما يجعل القارئ منجذبا إلى قراءتها حتى النهاية.

تدور أحداث الرواية في جُلِّها حول شخصيتين رئيسيتين؛ هما كاتري كلينغ وآنا إميلين، تجمعهما العزلة وتفرقهما المكانة الاجتماعية والنظرة إلى الحياة. تعيش كاتري منعزلة مع شقيقها وكلبها في عليّة منحها لها صاحب المتجر فوق دكانه مقابل قيامها بعملية التنظيف في المكان، وهي مكروهة من جميع أهالي القرية بمن فيهم صاحب المتجر بسبب عدم رغبتها بالتفاعل الاجتماعي معهم بأي شكل من الأشكال. إنها تعيش حقا في عالم مصغّر لا يهمها في حياتها سوى العناية بشقيقها (الذي وضعت نُصب عينيها تحقيق مستقبل جيد له) وكلبها الضخم الذي يأتمر بأمرها في كل صغيرة وكبيرة. وهذه العزلة تجمعها وآنا (الرسّامة الثرية) التي تقيم وحيدة في فيلّا فخمة ورثتها عن والديها تقع في أعلى التل بجوار الغابة، ويسمّي أهل القرية تلك الفيلّا ببيت الأرانب، إشارة إلى صور الأرانب الوردية التي تقحمها في تصويرها لأرض الغابة.

لآنا مهابة خاصة عند أهل القرية، إذ إنها لا تظهر في الأماكن العامة إلا نادرا، وهي الآن تشعر بالكآبة والوحدة في شتاء قارس طويل؛ توقفت فيه كليا عن الرسم منتظرة حلول الربيع من جديد، وهو الموسم الذي تجد فيه نفسها وتخرج

بريشتها وألوانها المائية لتصوير أرض الغابة بأدق تفاصيلها.

تشكل الثروة المدخل للعلاقة المتوترة التي تنشأ بين كاتري وآنا، والتي تأخذ مساحة كبيرة في سير أحداث هذه الرواية، فقد وضعت كاتري هدفا محددا لها وهو الانتقال إلى بيت الأرانب مع شقيقها وكلبها للعيش مع آنا، وتولّي أمور منزلها، بما في ذلك الدخل التي يأتيها من ناشري أعمالها الفنية، مستغلة حاجة آنا لكسر الوحدة التي تلفّها. وقد قادها هذا الهدف إلى الخروج عن مبدأ الصراحة والصدق الذي تلتزم به بصرامة حين قامت بعملية سطو صورية على منزل آنا كي تبرز الحاجة الماسة إلى وجود أناس آخرين معها في المنزل، وكانت هي المرشحة الأولى وكلبها الضخم الذي يمكنه القيام بالحراسة، وهذا ما حدث بالضبط. بررت كاتري خروجها عن مبدئها بأنها قامت بذلك من أجل شقيقها وليس من أجلها هي، وهو تناقض ينمّ عن خداع الذات الذي يمثّل مغزى مهمّا في هذه الرواية.

بدأ الارتياب يشوب العلاقة بين كاتري وآنا في المنزل منذ اللحظة الأولى، حيث أعطت كاتري لنفسها الحرية بالتصرف في أمور خاصة بالمنزل دون استشارة آنا، ولكن سرعان ما كانت كاتري تقنعها بوجهة نظرها التي تعتمد على المنطق الصارم وتتجاهل العاطفة، فتقبلها آنا على مضض، وطبقا لذلك المنطق، انتهى الأمر بكمٍّ هائل من الأشياء في المنزل ملقاة خارجا في الغابة تنتظر ذوبان الجليد لتَغرَق وتُغرِق معها الماضي الذي يكتنفها. ومن ثم بدأت لعبة الأرقام التي استطاعت كاتري من خلالها مضاعفة الدخل الذي تجنيه آنا من أعمالها التجارية مرات عدة، مخصصة في كل صفقة جزءا معينا لماتس (شقيقها) بعلم

ورضى آنا. وهنا تبرز الأرقام التي تبرُع كاتري بالتعامل معها كموضوع مهم في الرواية.

بالنسبة لكاتري، لا وجود للعاطفة والكياسة في التعاملات اليومية بين الناس، فالحياة مجرد أرقام، وهذا يغاير نظرة آنا، وهي الفنّانة ذات الأحاسيس المرهفة، التي تعودت على رؤية الحياة من منظار آخر؛ منظار العاطفة الذي تحكمه المجاملة الاجتماعية لا المنطق، وقد ظل هذا التوتر في النظرة إلى الحياة بين مدّ وجزر حتى آخر الرواية؛ «انحنت آنا من فوق الطاولة وقالت: (يا كاتري، ثمة شيء فيك يتجاوز الحدود).. كانت تبحث عن الكلمة المناسبة.. شيء مطلق، (وهو لا يقودك إلى أي وجهة)». وعلى النقيض من كاتري، وجدت آنا في ماتس شخصا يشاطرها اهتمامها بقراءة قصص المغامرة، إذ كانا يجلسان ساعات طويلة في المطبخ لقراءة تلك القصص ويتبادلان أطراف الحديث حول موضوعاتها، على الرغم من محدودية التواصل الاجتماعي بينهما خارج ذلك النطاق.

وثمة شيء آخر غيّرت كاتري من خلاله مسار حياة آنا، ألا وهو إقناعها بأنها تتعرض للغش والخداع من جميع من تتعامل معهم، مستخدمة الأرقام أيضا. فبدل التخلص من الوحدة الضيقة التي كانت آنا تعيشها في المنزل قبل أن تلج كاتري حياتها، غدت تعيش وحدة أوسع نطاقا تتوجس فيها من جميع معارفها، إذ لم تعد تثق بأحد. وعندما اكتشفت كاتري مع نهاية الرواية أنها أفسدت حياة آنا من خلال ذلك الطرح، وحاولت إصلاح الوضع بإخبارها أن كل ما قالته لها كان مجرد أكاذيب، سخرت منها آنا: «أنتِ شخص غريب جدا»، قالت

آنا «تقدمين حساباتك وبراهينك، تجدين الشر في الجميع، وتقنعينني بذلك، ثم تأتين إليّ لتقولي، تجرُئين على أن تأتي إليّ لتخبريني بأن كل ذلك غير حقيقي؟ لماذا تفعلين هذا؟».
في الحقيقة لم تكذب كاتري على آنا، وإنما كانت تأخذ الأمور بمنطق الأرقام، وهو ما لا يتماشى مع العلاقات الإنسانية التي يحكمها الود والمجاملة، وليس حكم المنطق الصارم الذي يفسدها كما هو حال كاتري في علاقاتها مع أهالي القرية، وكما حدث مع آنا بسبب كاتري.

والسؤال الذي يبقى حاضرا في ذهن القارئ هو: من يخدع من في هذه الرواية؟ إن الإجابة على هذا السؤال في غاية الصعوبة، إذ إنها تتلمس أطرافا مختلفة؛ فظاهريا ثمة أناس يمارسون الخداع بعضهم على بعض سعيا وراء مصالحهم الخاصة، سواء مادية كانت أم نفسية. ولكن قراءة متعمقة تكشف عن حقيقة أن الخداع الذي يمارسه الإنسان في جُلِّه موجَّه نحو الذات، فكاتري تخدع نفسها، وتتخلى عن إنسانيتها عندما تقمع العاطفة، وتتبنى منطقا صارما في تعاملها مع الآخرين. وآنا تخدع نفسها من خلال فنّها بإقحامها الأرانب الوردية في تصويرها لأرض الغابة من أجل رواج أعمالها، وكذلك من خلال مجاملاتها الاجتماعية المفرطة في تعاملها مع الآخرين.

أين يكمن الحل، إذا؟

لا تطرح هذه الرواية حلا لمسألة الخداع في العلاقات الإنسانية المتشابكة، وإنما تضعنا أمام فسيفساء نستطيع من خلالها أن نتأمل نماذج مختلفة من الخداع قد توصلنا إلى تحقيق التصالح مع الذات أولا ومع الآخرين ثانيا.

وثمة سؤال مهم آخر تحاول الرواية الإجابة عليه: هل يمكن تغيير نظرة المرء، أو حتى الحيوان، إلى الحياة التي يعيشها، ومن ثَمّ عكسها؟

تقدم الكاتبة آنا كمثال صارخ على عدم إمكانية الجزء الأول من السؤال، وربما استحالة الجزء الثاني، فقد استطاعت كاتري بمنطقها السليم الذي لا يشوبه لبس أن تغيّر إلى حدّ كبير نظرة آنا الرومانسية للحياة على الرغم من مقاومة آنا المترددة لذلك التغيير، ولكن آنا فشلت بالعودة إلى ما كانت عليه من قبل بعد أن اتضحت لها الأمور، إذ نجدها عاجزة عن الرسم من جديد في آخر مشهد في الرواية: (جلست آنا بانتظار أن تنقشع غشاوة الصباح عبر الغابة. كان السكون الذي تحتاج إليه تاما، وحينما اختفت جميع العناصر الدخيلة، ظهرت أرضية الغابة، رطبة داكنة وعلى أهبة الاستعداد لتنفجر بكل ما تختزن من نباتات. كانت فكرة إقحام الأرانب الوردية في أرضية الغابة ضربا من المحال).

أكان هذا فشلا عاما في ممارسة الفن من جديد أم فشلا جزئيا يتعلق بممارسة الخداع في ذلك الفن، والمتمثل في إقحام الأرانب الوردية في تصويرها لأرض الغابة؟

ذلك تساؤل لا نعرف له إجابة على وجه اليقين، فالأرانب الوردية هي المسوغ الأول لشهرتها بين الأطفال وعنوان تهالك الناشرين عليها، فهل سيبقى الفن الخالص (تصوير أرض الغابة كما هي) دون خدعة الأرانب الوردية؟ هذا سؤال برسم الإجابة!

وهناك مثال آخر يتمثل بعلاقة كاتري بكلبها، وهي علاقة تكتنف سيطرة تامة لها على تصرفاته، فهو يفعل ما تأمره به ولو

بإيماءة بسيطة هكذا دون أي اعتراض أو تذمر، ولا يتلقى أوامر من أي شخص آخر، حتى ولو كان شقيقها الذي نذرت حياتها كلها من أجل إسعاده وتحقيق حلمه بامتلاك القارب الذي يحلم به. لكنها طالما تأملت فيما يتفاعل في داخل ذلك الكلب وفي نظرته إلى السلوك البشري من حوله. وبعد انتقالها للعيش في بيت الأرانب، اكتشفت متأخرة أن آنا، التي لم تكن تطيق ذلك الكلب، قد استطاعت التقرب منه وجعله يطيع أوامرها. استشاطت غضبا وحاولت أن تعيد تصرفات الكلب إلى سابق عهدها، ولكن دون جدوى، فقد جنّ ذلك الكلب ولجأ إلى البرية، بل إنه هاجمها مرة وحاول قتلها؛ لقد تحول من حمل وديع إلى ذئب مفترس دون رجعة.

من الناحية الفنية قدّمت توف جانسون نثرا خالصا بامتياز، بعيدا عن اللغة الشعرية التي قد تثقل الكثير من الأعمال؛ أرادت لشخوصها أن تعبّر عن أحاسيسها بلغة عفوية بسيطة تسبر أغوار النفس البشرية دون تكلّف أو تقعّر في اللغة: «هل تعرفين، يا كاتري»؟ قالت آنا، وقد استدارت «نوعا ما، فإنني أستهويك أكثر عندما تضحكين مقارنة بك عندما تبتسمين. هذا الغطاء قطعة رائعة، ولكن اللون الأخضر ليس في مكانه المناسب، الأخضر لون صعب للغاية، والآن أظن أن القيام بنزهة في محله. لمَ لا تأتين بالكلب تيدي وتمتّعينه بشيء من الهواء الطلق؟». تنساب اللغة على هذا المنوال في الحوار الذي يغطي مساحة واسعة من بداية الرواية حتى نهايتها، ثم يأتي دور الراوي الذي يتحدث بصيغة الغائب بصفة عامة، وفي حالات قليلة جدا بصفة المتكلم، مستخدما ذات اللغة السلسة التي تنأى

بنفسها عن التعقيد: دخل الشتاء مرحلة جديدة، كان الشاطئ ساكنا، في الخارج على الجليد، حفرت الرياح بقعا بلورية بين قطاعات الثلج الممتدة، كان هناك الكثير من الصيد عبر الجليد، وكانت تظهر العربة الثلجية لإيميل من جزيرة هوشلوم أحيانا متوجهة إلى الحفر الجليدية البعيدة، وزوجته على مزلاج من خلفه، تقلصت الأجراف الثلجية وأصبحت هشة، ولكن الجليد ما زال قويا، حتى في الخليج وحول الرؤوس البحرية، ويوما بعد يوم، بدأ الجو يعتدل.

ختاما، تفتح هذه الرواية للقارئ العربي نافذة على الأدب الإسكندنافي، وعلى حياة الناس في تلك المنطقة من العالم. وبعيدا عن التنظير والجدل، لقد استطاعت توف جانسون أن تقدم صورة رائعة لنمط حياة روتينية في قرية سويدية يلفّها الثلج والظلمة في شتاء قارس، وهي صورة يحتاج القارئ العربي إلى التأمل بها، لكونها غريبة عن بيئته وخياله؛ إنها صورة للطبيعة بتجلياتها المتنوعة: البحر والثلج والغابة، وتفاعل الإنسان الإسكندنافي بمكنوناته المختلفة معها. ومن المؤكد أن من يبدأ بقراءة هذه الرواية فلن يتركها قبل أن ينهيها، فهي تفعل فعل المغناطيس عند اقترابه من المعدن.

1

كان صباحا عاديا مظلما في يوم شتوي والثلج لا يزال يتساقط، لم يظهر أي نور خلال نوافذ القرية. غطت كاتري المصباح كي لا توقظ شقيقها وهي تحضّر القهوة، ووضعت الوعاء الحافظ بجوار سريره، كانت الغرفة باردة جدا، وكان الكلب الضخم مستلقيا بالقرب من الباب ينظر إليها وأنفه يظهر من بين قدميه، منتظرا إياها لتأخذه إلى الخارج.

لقد ظل الثلج يتساقط على امتداد الساحل طوال شهر كامل، وحسبما يتذكر سكان تلك القرية، لم يتساقط الثلج بهذا القدر منذ زمن بعيد وبهذا الكمّ الثابت الذي يتراكم أمام الأبواب والنوافذ ويُثقل الأسطح بلا توقف ولو حتى لساعة واحدة. ولم يكد الثلج يُجرف من الطرقات حتى كان يعود ليملأها من جديد. وجعل البرد العمل في أسطح القوارب مستحيلا. وكان السكان يستيقظون متأخرين، إذ لم يعد هناك نهار، لقد بقيت القرية ساكنة تحت الثلج الذي لم يُمَس حتى خرج الأطفال ليحفروا الأنفاق والكهوف ويصرخوا مطلقين العنان لأنفسهم، وقاموا برمي كرات الثلج على نافذة كاتري كلينغ رغم أنه تم منعهم من ذلك. لقد كانت تسكن في العِلّية فوق دكان صاحب المتجر مع أخيها ماتس وكلبها الضخم الذي لا يحمل اسما. وقد كانت

تخرج قبل الفجر لتمشي مع الكلب في شارع القرية تجاه المنارة على الرأس البحري، وحيث إنها كانت تفعل ذلك كل صباح، أخذ الناس يقولون عند استيقاظهم: ها هي تذهب ثانية مع كلبها والثلج لا يزال يتساقط، مرتدية ياقة مصنوعة من جلد الذئب. من غير الطبيعي ألا يحمل كلبك اسما، إذ ينبغي أن يكون لكل كلب اسم.

يقول الناس عن كاتري إنها لا تكترث سوى بالأرقام وبشقيقها، وقد تساءلوا عن سرِّ عينيها الصفراوين، فعينا ماتس بزرقة عيني والدتهما، أما والدهما فلا أحد يتذكر هيئته بعد أن غادر شمالا منذ زمن بعيد لشراء شحنة من الخشب ولم يعد قطّ، فهو لم يكن من السكان المحليين. لقد اعتاد الناس على أن تكون أعين الجميع أكثر أو أقل زرقة، ولكنّ عيني كاتري كانتا باصفرار عيني كلبها تقريبا. كانت تنظر للعالم من حولها بعينين تضيقان وكأنهما شقان، إذ نادرا ما كان الناس يكتشفون لونهما الغريب الأقرب إلى اللون الأصفر منه إلى الرمادي، لكن شعورها الدائم بالارتياب الذي يسهل استثارته قد يجعلها تفتح عينيها محدقة فجأة ومباشرة بانعكاس معيّن يجعلهما صفراوين حقا. فيشعر الناس بانزعاج شديد، فقد شعروا بأن كاتري كلينغ لا تثق أو تهتم بأحد غير نفسها وشقيقها الذي ربَّته وحمته مذ كان في السادسة من عمره. وهذا أبقى الناس بعيدين عنها، وهم الذين لم يروا كلبها غير المسمى يهز ذيله قطّ، هذا علاوة على أن ابنة كلينغ وكلبها لم يقبلا البتة أي تودد من أحد.

لقد تولت كاتري بعد وفاة والدتها أمر المساعدة في المتجر، حيث قامت أيضا بإدارة الحسابات، فقد كانت ذكية جدا، لكنها

تركت العمل في أكتوبر، وكان أغلب الظن أن صاحب المتجر أرادها أن تغادر المكان ولكنه لم يجرؤ على إخبارها بذلك. أما الفتى ماتس فلم يكن في الحسبان، إذ كان في الخامسة عشرة، أي أنه أصغر بعشر سنواتٍ من شقيقته، وكان فارع الطول وقوي البنية، وكان يُنظَر إليه على أنه ساذج نوعا ما، حيث يقوم بأعمال غريبة في القرية، ولكنه غالبا ما كان يذهب إلى الإخوة ليليبيري في ورشة القوارب في الأوقات التي لم يكن العمل فيها متوقفا بسبب البرد، فقد كانوا يعطونه مهامَّ صغيرة ليست بتلك الأهمية.

لم يذهب أحد لصيد السمك في فاستربي منذ وقت طويل، فذلك لم يكن مجديا، كان هناك ثلاثُ ورشٍ لصنع القوارب تُدخِلُ إحداها القوارب شتاء على مزالق للتخزينٍ والترميم، وكان الإخوة ليليبيري هم أفضل صنّاع للقوارب؛ كانوا أربعة وكلهم غير متزوجين، كان إدوارد أكبرهم سنا، وهو من كان يصمم القوارب، يقود خلال فترات عمله عربة نقل البريد إلى المدينة حيث المتاجر التي يشتري منها البضائع والسلع لصاحب المتجر الذي كان يملك هذه العربة، وهي الوحيدة في القرية.

كان صنّاع القوارب في فاستربي يفخرون بأنفسهم، ويوقّعون كل قارب بحرف (و) وكأن اسم قريتهم ما زال واستربي المُهابة كما في الأيامٍ الخوالي. كما أن النساء كن يحِكْنَ أغطية الأسرَّة بأنماط قديمة قوية ويوقّعنها أيضا بحرف (و)، وحينما يصل المصطافون في شهر يونيو يشترون القوارب وأغطية الأسرَّة، ويقضون حياة الصيف المريحة ما دام الجو دافئا، وتعود الأمور إلى طبيعتها لتهدأ من جديد باقتراب نهاية أغسطس، ليحل الشتاء شيئا فشيئا.

تحول غسق النهار الآن إلى اللون الأزرق الداكن، وبدأ الثلج باللّمعان، وأضاء الناس مصابيحهم في المطابخ، وسمحوا لأطفالهم بالخروج. ظل ماتس نائما بسكينة رغم أن أولى كرات الثلج أصابت النافذة.

أنا، كاتري كلينغ، أستلقي عادة مستيقظة ليلا مستغرقة بالتفكير، وتعد أفكاري، مقارنة بأفكار المساء التقليدية، أفكارا عملية بشكل غير اعتيادي، غالبا ما أفكر في النقود، الكثير من النقود وكيف أحصل عليها بسرعة وأجنيها بحكمة وأمانة، أفكّر بمبالغ كبيرة تتيح لي ألا أعود للتفكير في النقود قط، مبالغ سأسددها فيما بعد، سيحصل بها ماتس أولا على قاربٍ كبير صالح للإبحار بمقصورة ومحرك داخلي، سيكون أفضل قارب تم صنعه في هذه القرية البائسة لولا وجود ذلك القارب. أستمع كل ليلةٍ لهمس الثلج الناعم يتساقط على النافذة قادما من البحر، وهذا جيد لأنني أتمنى أن تُغطَّى وتُمحى القرية بأكملها لتغدو نظيفة أخيرا.. فلا شيء يُضاهي هدوء وديمومة ظلمة شتاء طويل يستمر وكأنك تعيش في نفق تستغرق فيه الظلمة لتصبح ليلا أحيانا أو تخف لتغدو غسقا، وتظل أنت مغطى ومحميا من كل شيء، وحيدا أكثر من المعتاد، تظل تنتظر وتختبئ كشجرة، يقولون إن للنقود رائحة كريهة، ولكن ذلك غير صحيح، فالمال نقيّ كالأرقام، الناس هم من تصدر عنهم الروائح الكريهة، فلكل واحد منهم نتانة خفية تزداد حدة عندما يشعرون بالخزي أو الخوف، يشّمها الكلب ويعرفها على الفور، فلو كنتُ كلبا لعرفتُ الكثير. ماتس وحده ليست له رائحة كريهة، فهو نقي كالثلج. إن كلبي كبير وجميل ومطيع، ومع أنه لا يحبني، فنحن نحترم

بعضنا، أنا أحترم غموض الكلاب والبرية الطبيعية الكامنة التي تلازم الـــكلاب الضخمة، ولكنني لا أثق بها، فكيف للمرء أن يثق بكلـــب ضخم يقظ؟ يمنح الناس صفات آدمية تقريبا لحيواناتهم ويعنـــون بذلك صفـــات نبيلة وجذابة. الـــكلاب صامتة ومطيعة ولكنها تراقبنا وتعرفنا وتشـــتم كم نحن بائســـون، لذا ينبغي أن يدهشـــنا، ويؤثر فينا، ويغمرنا كيف أن كلابنا تستمر في اتباعنا وطاعتنا بشكل لا يُصدق، ربما هي تحتقرنا، ربما هي تسامحنا، أو ربما هي تفضّل عدم تحمّل أي مســـؤولية، لن نعرف الحقيقة أبدا، قد تكون ترانا كنوع من سلالات تعيسة مفرطة النمو تنتمي لكائنـــات غريبة شـــبيهة بخنافس بليدة ضخمـــة، لا كآلهة، لابد أن الكلاب ترى مـــن خلالنا، وتمتلك بصيرة نافذة تقيّدها آلاف الســـنين من الطاعة. لماذا لا يخاف الناس من كلابهم؟ إلى متى قد يظل ما كان حيوانا بريا ذات يوم ناكرا لطبيعته البرية؟ يعتبر الناس حيواناتهم مثالية، ويتغاضون في نفس الوقت أثناء رعايتهم لها عن حياة الكلب الطبيعية، بما في ذلك صيد البراغيث ودفن العظام القذرة والتمرغ في القمامة ونهش شـــجرة جوفاء طوال الليل.. ولكن ما الذي تفعله بأنفســـها؟ تدفن أشياء ستتعفن في الخفاء، ومن ثم تنبشـــها وتعيد دفنها وتأخـــذ بالنباح والهيجان تحت الأشـــجار الميتة، وتلك الأشياء التي تتدحرج فيها! لا، فأنا وكلبي نحتقرها، نظل مختبئين في حياتنا الســـرية، متواريين في بريّتنا الدفينة.

كان الكلب واقفا ينتظر عند الباب، ثم نزلا الســـلم وعبرا من داخـــل المتجر، ارتدت كاتري حذاءها فـــي الردهة، في حين ظل عقلها يطحن أفكار النســـاء المشـــؤومة دون إيحـــاء خارجي لهذه

الأفكار، وعندما خرجت في البرد ووقفت ساكنة، تتنفس نقاء الشتاء، بدت كنُصُب أسود عالٍ، والكلب المرعب إلى جانبها وكأنهما أصبحا شيئاً واحدا، فهو لم يُقَدّ برسن قطّ.

هدأ الأطفال وساروا بعيدا عبر الثلج، وبوصولهم لزاوية أول منزل، أخذوا يطلقون صيحاتهم ثانية وبدؤوا في الشجار. مضت كاتري نحو المنارة، وكان ليليبيري قد أوصل بعض علب الغاز للمنارة أمس فقط، ولكن آثار قدميه قد غطاها الثلج تقريبا، وهبت الرياح الشمالية الغربية من البحر مباشرة بالقرب من الرأس البحري حيث الطريق الجانبي المؤدي إلى التل الذي يقع عليه منزل الآنسة إميلين. توقفت كاتري وتوقف كلبها كذلك على الفور، لقد حوَّلَهُما الثلج القادم مع مسار الريح إلى اللون الأبيض، وقد أخذ بالذوبان على الفرو الذي يغطيهما.

نظرت كاتري إلى المنزل بتمعن كما اعتادت أن تفعل لبعض الوقت كل صباح وهي في طريقها إلى المنارة، تعيش في هذا المنزل آنا إميلين وحدها، هي وثروتها المالية لا غير، ولا تخرج أبدا تقريبا طيلة الشتاء البارد بكامله، فالمتجر يُرسل لها كل ما تحتاج وتأتي فرو سندبلوم مرة في الأسبوع للتنظيف، ولكن مع بدايات كل ربيع يظهر معطف آنا إميلين الباهت على أطراف الغابة وهي تتمشى ببطء بين الأشجار، فقد عاش والداها حياة طويلة ولم يسمحا لأحدٍ بقطع أي أشجار من غابتهم، لقد كانا ثريّين ككائنات خرافية عند وفاتهما، وما زالت الغابات كما كانت لم يمسها أحد، وشيئا فشيئا صار اختراقها شبه مستحيل، حيث وقفت كالجدار خلف «منزل الأرانب» كما كانوا يسمّونه في القرية، وكان عبارة عن فيلّا مكسوة بخشب رمادي اللون،

وبنوافذ ذات إطارات بيضاء منحوتة، وبدا بياضها الرمادي كلون غابة مغطاةٍ بستار طويل من الثلج، لقد كان المبنى يشبه بالفعل أرنبا ضخماً رابضا بأسنان أمامية مربعةٍ تشبه ستائر الشرفة البيضاء، والنوافذ المضحكة الناتئة تحتً حاجبين من الثلج، والمداخن التي تمثل أذنين متيقظتين، كانت كل النوافذ مظلمة، ولم يكن الثلج قد جُرِفَ عن الطريق إلى أعلى التل.

إنها تسكن في ذلك المنزل، سنسكن أنا وماتس هناك أيضا، ولكن يجب أن أنتظر، يجب أن أفكر بحذر قبل أن أمنح آنا إميلين هذه مكانة مهمّة في حياتي.

2

ربما كان السـبب الذي يجعل الناس يعتبرون آنا إميلين ودودة هو أنه لم يسبق أن حدث ما قد يدعوها لإظهار أي حقد، ولأنها تمتلك قدرة غير عادية على نسيان الأمور المزعجة، إنها ببساطة تتخلص منها وتمضي بأسلوبها الخاص الغامض والعنيد.

فـي الواقع، إن نزعتها المفرطة إلى الخير مثيرة للريبة، ولكن لم يملك أحد وقتا كافيا ليلحظ ذلك، وكانت تتخلص من زوّارها ممن يأتون نادرا إلى بيت الأرانب سـريعا بلطفٍ شـارد الذهن يجعلهم يشـعرون وكأنهم أدَّوا واجب الاحترام نحو نُصب صغير نوعا ما.

لم يكن الأمر أن آنا كانت تحمي نفسـها بهذا السـلوك، كما لا نستطيع القول إنها كانت تخفي وجهها الحقيقي، الأمر ببساطة أنها كانت تشـعر حقا بأنها على قيـد الحياة فقط حينما كانت تكرس نفسـها لقدرتها المميزة على الرسم، وكانت دائما وحيدة بطبيعة الحال عندما ترسم.

لقد كانت آنا إميلين تمتلك قوة عظيمة ومقنعة في الانغماس بعمل واحد، تسـتطيع مـن خلاله أن ترى وتتبنـى فكرة واحدة وتهتم بشـيء واحد فقط، وقد كان ذلك الشيء الوحيد هو أرض الغابـة، كانت آنا إميلين قادرة على عرض أرض الغابة بوفاء لكل

التفاصيل الصغيرة، دون أن تفوتها حتى أصغر إبرة، تستخدم ألوانها المائية الدقيقة والطبيعية للغاية، وكانت هذه الألوان بجمال الثوب الربيعي من الطحالب والنباتات الرقيقة جدا، لدرجة أن المرء قد يمر عبر غابة كثيفة، ولكن نادرا ما يلحظها فعلا، لكن آنا إميلين جعلت الناس تلاحظها، فصاروا يرون ويتذكرون روح الغابة ويعيشون لِلَحظةٍ حنينا غامضا يُشعرهم بالسعادة والأمل، ولكن كان من المؤسف أن تُفسد آنا رسوماتها بإقحام الأرانب فيها، وذلك برسم ذكر وأنثى وأرنبٍ صغير، والأكثر من ذلك، فقد بدّدت الكثير من لغز الغابة الدفين برسمها زهورا صغيرة على الأرانب.انتقدت صفحة كُتّاب الأطفال الأرانب في بضع مناسبات، وهذا أزعج آنا وهزّ من ثقتها، ولكن ماذا عساها أن تفعل؟ كان عليها أن تظهر الأرانب فيها من أجل الأطفال والناشر، فكل عامين تقريبا يصدر كتاب صغير جديد، حيث يقوم الناشر بكتابة النص، وكانت آنا ترغب أحيانا في أن ترسم الأرض فقط بنباتاتها القصيرة وجذور أشجارها بمزيد من الدقة وعلى مقياس أكثر صِغَرا وعمقا وقربا من الطحالب ليبدو عالمها الصغير باللونين البني والأخضر وكأنه غابة ضخمة كثيفة تسكنها الحشرات، كان بإمكانها أن تتخيل عائلة من النمل بدلا من الأرانب، ولكن الأوان قد فات الآن بالطبع. رتّبت آنا الصورة الذهنية للمنظر الطبيعي الخاوي والمتحرر لديها، كان فصل الشتاء مخيّما، وهي لم تكن لترسم قبل أن تبدأ الأرض الجرداء بالظهور، وخلال انتظارها، كانت تكتب رسائل لأطفال صغار جدا أرادوا أن يعرفوا كيف أمكن الأرانب الحصول على فرو بالورود.

ولكن آنا لم تكتب أي رسائل في اليوم الذي بدأت فيه القصة الحقيقية لآنا وكاتري، جلست في ردهتها تقرأ كتابا ممتعا للغاية، وهو مغامرات جيمي في إفريقيا، كان قد ذهب إلى ألاسكا في المغامرة الماضية.

بدت غرف آنا الطويلة الواسعة جميلة في الضوء المنعكس من الثلج؛ بأفرانها ذات القرميد الأزرق والأبيض والأثاث ذي الألوان الزاهية الموزع على امتداد الجدران والمنعكس على أرضيات الخشب المزخرف التي تقوم فرو سندبلوم بتلميعها مرة كل أسبوع، لقد كان والد آنا رجلا ضخما جدا، لذا فقد أراد دائما مساحة من حوله، وقد أحب الأزرق، الأزرق بدرجته المعتدلة الذي بدا في كافة أرجاء المنزل، وكان يبهت شيئا فشيئا بمضي السنين، وقد خيّمت على منزل الأرانب سكينة عميقة ومسحة من الانتقائية بين عناصره.

وضعت آنا كتابها جانبا، وقررت أنه ينبغي عليها الاتصال بالمتجر، وهو شيء تكره فعله، كان الخط مشغولا، فجلست تنتظر بجوار النافذة المطلة على الشرفة، وكان خارج الشرفة الصيفية ركام ضخم من الثلج حملته الرياح الشمالية الغربية بانحناء صارخ، يجمع في طياته التلاعب والقسوة، ودارت هَبَّةٌ خفيفة شفافة من الثلج فوق الحافة الحادة للجبل، ويسلك هذا التدفق للثلج نفس المسار كل شتاء، ويكون دوما بنفس الجمال، ولكن لم يتسنَّ لآنا أن تلاحظه بسبب حجمه الكبير وبساطته المتناهية، اتصلت ثانية وأجاب صاحب المتجر، هل عاد ليلييري؟ لقد نسيت أن تذكر له الزبدة وحساء البازلاء؛ ليست تلك الكبيرة، بل العلبة الصغيرة، لم يتمكن صاحب المتجر من سماع ما قالت، وأخبرها

بأن الثلج لم يُجرف بعد من الطريق، وبالتالي لم تتمكن عربة البريد من أن تصل، لكن ليليبيري تزلج إلى المدينة، وسيحضر البريد وقليلا من الكبد الطازجة.

صرخت آنا إميلين: «لا أسمعك! الكرب؟ هل حصل شيء ما؟».

كرر صاحب المتجر: «الكبد، سيحضر ليليبيري قليلا من الكبد الطازجة معه، وسأضع البعض منها جانبا لك خصيصا آنسة آميلين، قطعة جيدة من الكبد..»، ومن ثم تلاشى صوته في العاصفة الثلجية بسبب مشكلة أخرى في خط الهاتف، أسدلت آنا الستارة بينها وبين العالم الخارجي، وعادت ثانية إلى كتابها، وقد بدا عليها الارتياح، وفي حقيقة الأمر أنها لم تكترث حقا بحساء البازلاء، أو بالبريد.

حينما عاد إدوارد ليليبيري من المدينة، قام بخلع مزلاجيه، وأنزل حقيبة الظهر على عتبة المتجر، فقد آلمه ظهره، ولم يكن في مزاج ليتحدث مع أحد، ألقى بمؤن صاحب المتجر في صندوق كرتوني وحملها إلى داخل المتجر وهو لا يزال مبللا بفعل الثلج.

«لقد استغرق هذا وقتا طويلا»، قال صاحب المتجر، وقد كان مسترخيا خلف المنضدة وهو في مزاج سيئ لفقده مساعدته في المحل، لم يُجب ليليبيري، ولكنه عاد إلى الطاولة الموجودة في الشرفة المُسيَّجة ليفرز البريد، رأته كاتري كلينغ من نافذتها وهو يتزلج نحو المبنى، وصارت الآن مباشرة في الشرفة تنظر من فوق كتفه، وسيجارتها في فمها كالعادة متفحصة البريد عبر الدخان، «هذا بريد الآنسة إميلين»، خاطبته قائلة، من السهل معرفته، فأغلب رسائلها كانت مزينة بالورود والعناوين مكتوبة

بخط أطفال صغـــار جدًا، أضافت كاتري: «هل كنت ســـتوصله إليها حالاً؟».

«أليس باستطاعة المرء أن يلتقط أنفاسه؟» قال ليليبيري: «إن عمل ساعي البريد في هذه القرية ليس مريحا بتاتا».

كان بإمكانها وبســـهولة أن تعلّــق على صعوبة التزلج في هذا الجو، أو أن تســـأله كيف اســـتطاع أن يرى الطريق أمامه أو أن تشـــتكي من عدم إرســـال الجرافات من المدينة؛ أي شـــيء على الإطلاق لتظهر اهتمامها أو تتظاهر بذلك، كما يفعل الناس عادة ليلطفوا الأجواء، ولكن لا، ليس كاتري كلينغ، وقفت هناك تجول بعينيها من خلال دخان سيجارتها وشعرها الأسود يغطي وجهها كعُرف وهي تنحني فوق الطاولة، وكانت تلفّ نفسها ببطانية من البرد، وتمسك بها بقوة بقبضة يديها، خطر ببال إدوارد ليليبيري أنها تبدو كساحرة.

«أستطيع أخذ البريد للآنسة إميلين»، قالت كاتري.

«لا أستطيع أن أدعك تفعلين هذا، فتوصيل البريد هي وظيفة ساعي البريد، وهو منصب مبني على الثقة».

رفعت كاتري رأسها وفتحت عينيها، وقد بدتا صفراوين حقا تحت ضوء الشـــرفة القوي، «الثقة»، قالت: «ألا تثق بي؟» توقفت ثم كررت: «أستطيع أن أوصل البريد للآنسة إميلين، إنه أمر مهم بالنسبة لي».

«هل تحاولين تقديم المساعدة؟».

«أنت تعرف أنني لا أفعل ذلك»، ردّت كاتري: «كل ما أفعله هو لمصلحتي تماما، هل تثق بي أم لا؟».

خلص ليليبيري بعد ذلك إلى أنها قد تكون قالت ذلك بما أنها

كانت ذاهبة مع كلبها في ذلك الاتجاه على أية حال، وبالتالي لن يسبب هذا لها أي عناء، لكن على الأقل كانت كاتري كلينغ صادقة؛ كان عليه أن يقر بذلك.

* * *

اتصلت آنا ثانية، «أستطيع سماعك الآن بشكل أفضل»، قال صاحب المتجر: «قلتِ علبة صغيرة من حساء البازلاء وزبد، أتى ليليبيري بالبريد وأحضر الكبد، إنها طازجة من البطن مباشرة، إن جاز ليَ القول! لقد وضعت بعضا منها جانبا لك خصيصا آنستي، ولكن لن يحضره ليليبيري هذه المرة، بل الآنسة كلينغ، إنها في طريقها إليك».

«من؟».

«مساعدتي السابقة في المتجر، كاتري كلينغ، إنها من ستحضر لك الكبد، وهي في طريقها إليك».

«ولكن الكبد!»، اعترضت آنا ولكنها كانت متعبة للغاية: «منظر الكبد شنيع، وهي صعبة التحضير.. ولكن إن كنت بهذا الكرم لتضع بعضها جانبا.. هذه الآنسة.. قلت، كلينغ؟ هل تعرف أن عليها أن تدخل من باب المطبخ؟».

ثم بدأ خط الهاتف يصدر صفيرا مرة أخرى كما يفعل دائما في الشتاء، توقفت آنا واستمعت لبرهة، ثم ذهبت إلى المطبخ لتحضر بعض القهوة.

كان ماتس عائدا إلى المنزل من ورشة القوارب بحلول المساء، يعمل الرجال شتاء في فاستربي في الأجواء المعتدلة فقط لتوفير الوقود، وتُغلق ورشة القوارب أبوابها قبل حلول الظلام لتوفير الكهرباء، فقد كانوا مقتصدين للغاية، وكان ماتس دوما آخر المغادرين.

«إذن، قد جعلوك تغادر الورشة»، قال صاحب المتجر: «أراهن أنك ستبقى وتسنفر في الظلام لو سمحوا لك بذلك».

«إنني أعمل في التلويح الآن، هل لي بكوكاكولا على حسابنا؟»، أجاب ماتس.

«بالطبع، يا سـيدي، وعلى الفور! كم هو مخجل أن شقيقتك لا تريد أن تخدمك هنا في المتجر بعد الآن، أمر سيئ للغاية، لقد كانت نشطة جدا في المتجر، التلويح إذا، حقا؟، أنت إذا تعمل في فرش الأرض بالخشب أيضا، من كان سيفكر بهذا؟».

أومأ ماتس برأسه موافقا دون أن يصغي له وشرب الكوكاكولا على المنضدة ببطء، وقد بدا في الغرفة الصغيرة المكتظة ضخما جدا وطويلا، وكان شـعره طويلا، تجاوز طوله كل الحدود، وهو أسود فاحم كشعر شقيقته، ليس كشعر سكان المنطقة، بدا وكأنه قد نسي أنه لم يكن وحيدا، ولكن عندما نزلت كاتري على السلم استدار وتبادل الأخوان إيماءة لا تكاد تُرى كإشارة تضامنٍ صغيرة تخصهما فقط، وقد استلقى الكلب ينتظر بجوار الباب.

قال صاحب المتجر: «لقد سـمعت أنك ستوصلين البريد إلى فيلا الأرانب، ها هي الحاجيات، وانتبهي كي لا يسـيل شيء من الكبد».

«إنهـا لا تحب الكبد»، قالت كاتـري: «أنت تعرف جيدا، لقد أعطت مهلبية الدم لفرو سندبلوم».

«الكبد ليس مهلبية الدم، هي من طلبتها على كل حال، وتذكري أن تدخلي من المطبخ، الآنسة إميلين دقيقة للغاية بشأن زوارها».

كان ذلك الحـوار هادئا وعدائيا كـدوران حيوانين متيقظين تحفزا لبدء الهجوم.

صاحب المتجر، صغير القوام هذا، لا ينسى أبدا، وهو لم يسامحني منذ ذلك الحين، كانت شهوانيته مدعاة للضحك، وقد جعلته يدرك ذلك، لم أتحلَّ بالموضوعية، والأمور تخرج عن سيطرتي كلما فقدت موضوعيتي، عليّ أن أذهب بعيدا من هنا.

* * *

بدا الثلج شديد الزرقة في بدايات الغسق، أشارت كاتري للكلب أن ينتظر عند الطريق الفرعي وصعدت التل والريح تعصف خلفها، لم يجرف أحد الثلج بعد.

فتحت آنا إميلين باب المطبخ قائلة: «آنسة كلينغ، كم أنت لطيفة، وفي هذا الجو، لم يكن هناك داع..».

كانت المرأة التي دخلت المنزل فارعةً الطول وترتدي معطفا من الفراء الأشعث نوعا ما، ولم تبتسم عندما قالت مرحبا.

كان الموقف ينبئ بعدم الأمان، لقد ظل هذا المنزل هادئا لوقت طويلٍ جدا، وهي تبدو بمظهرها كما تخيّلتها؛ كالأرنب.

كررت آنا: «نعم، إنه لطفٌ منك.. أعني، يهمني وصول بريدي، ولكن..»، توقفت آنا للحظة تنتظر ردا، ثم أكملت: «لقد حضّرت بعض القهوة، أنتِ تشربين القهوة، أليس كذلك؟».

«لا»، أجابت كاتري بلطف: «أنا لا أشرب القهوة».

تراجعت آنا وشعرت بالدهشة أكثر من شعورها بالإهانة، الجميع يشرب القهوة عند تقديمها، إنه نوع من المجاملة، ليس إلا، وتفعله إكراما للمضيفة: «ربما الشاي؟»، أضافت قائلة.

«لا، شكرا لك»، ردّت كاتري كلينغ.

«آنسة كلينغ»، قالت آنا فجأة: «يمكنك وضع حذائك بجوار الباب، سيتلف الماء السجاد».

تعجبني الآن أكثر، فلتكن خصما، ولأصارع ضد مقاومتها، آمين.

دخلنا إلى الردهة.

كان عليّ أن أحضر أحد كتبها، لا، لم يكن عليّ فعل ذلك، إذ سيكون الأمر مخادعا.

«أحيانا»، قالت آنا إميلين: «أحيانا أظن أنه قد يكون جيدا أن أضع سجادة تغطي الأرضية بأكملها هنا، نوعٌ خفيف وناعم جدا، ألا توافقين آنسة كلينغ؟».

«كلّا، هذا يفسد أرضية جميلة كهذه».

بالطبع إنها تريد أرضية مخملية، بسجاد أو من دونه، فالمكان هنا مخملي برمّته على كل حال؛ حار ومخملي، قد يكون الطابق العلوي أكثر هواء، سيكون علينا فتح النوافذ ليلا، وإلا فلن يستطيع ماتس النوم.

كانت نظارة آنا إميلين معلقة حول رقبتها بسلسلة رفيعة، وقامت الآن برفعها، وزفرت على عدساتها، وبدأت بفركهما بزاوية مفرش الطاولة، فربما كانتا مغطاتين بالرذاذ.

«آنسة إميلين، هل كان عندك أرانب من قبل؟».

«عفوا!».

«هل كان عندك أرانب؟».

«لا، ماذا تقصدين..؟ عائلة ليليبيري تربّي الأرانب، ولكنني أدرك أنها حيوانات متعبة جدا ..»، أجابت آنا بتلقائية وبطريقتها الغامضة ونبرة صوتها التي لا تُنهي أي جملة تقولها، ثم تحركت باتجاه إناء القهوة وتذكرت؛ هذه الضيفة لا تشرب القهوة، وفجأة سألت بحدة: «ولماذا يا آنسة كلينغ سيكون لديّ أرانب؟ هل لديك

أنتِ أرانب؟».

«لا، لديّ كلب، كلب من فصيلة الراعي الألماني».

كلب؟ بدأ تركيز آنا يتشتت في اتجاه مختلف، فالكلاب يصعب تصنيفها..

أزعجتِ القهوةُ التي لم تُمَسّ المضيفةَ، وقفت وأشارت إلى أنهما بحاجة إلى مزيد من الإنارة، لقد حلّ الظلام، فأنارت مصابيح مظلّلة تظليلا خفيفا، الواحد تلو الآخر، ثم اقترحت أن تأخذ كاتري معها مخطوطة بتوقيعها الشخصي، كانت آنا تتمتع بخطّ جميل، وبعدما وقعت اسمها، بدأت ترسم أرنبا كالعادة مبتدئة بالأذنين، ثم توقفت، وأخذت ورقة جديدة. كانت كاتري قد ذهبت إلى المطبخ ووضعت البريد على الطاولة والمؤن على المنضدة، وقد سرى سائل زهري من صرة الكبد.

«يا لبشاعة ذلك»، قالت آنا من خلفها: «أهذا دم؟ لا أستطيع تحمل منظر الدم..».

«دعيه، سأضعه في مكانه».

ولكن آنا قامت بفتح الصرة، وكانت الكبد في داخلها مكشوفة بلون أحمر مائل إلى البنّي، ومنتفخة بالدم وطبقات بيضاء تسري خلال اللحم. غدت آنا شاحبة اللون.

«سأطعمه لكلبي يا آنسة إميلين، وسآخذه بعيدا من هنا، أنا ذاهبة الآن».

بدأت آنا في الشرح سريعا، لطالما كانت تخاف جدا من أي شيء قد تصدر عنه رائحة كريهة؛ تضعين الأشياء في أماكنها وتنسين أمرها وتبدأ رائحتها تفوح، فتبدئين بالقلق من أنها فسدت وينبغي التخلص منها.. «وأنتِ لا تستطيعين أن ترمي

الطعام، إذا ما نظرنا إلى وضع العالم هذه الأيام..».

«أفهم ذلــك»، قالت كاتري: «تخفين الأشـياء ومـن ثم تبدأ رائحتها تفوح، فلم لا نتوقف عن شــراء ما قد تصدر عنه رائحة كريهــة؟ إذا كنت تمقتين لحوم الأعضاء، فقولي هذا، لماذا طلبت الكبد؟».

«لــم أطلبها، إنه هو! لقــد كان لطيفا ليضع لــي قليلا منها جانبا..».

«صاحب المتجر» قالت كاتري بروية: «صاحب المتجر -تذكري هــذا- إنه ليس رجلا لطيفا، إنه خبيــث للغاية، وهو يعرف أنك تخافين من الكبد».

في الفناء الخلفي، أشـعلت كاتري سيجارة، لقد بدأ الظلام يحلّ سريعا.

أســرعت آنا إميلين إلى النافذة المطلة على الشــرفة تراقب ضيفتهــا وهــي تنزل التــل، بهيئتها الطويلة المعتمــة، ولاح على الطريق خيالان، وكأن ذئبا ضخما خرج من الغسق لينضم إليها، وقد ســارا جنبا إلى جنب عائدَين إلى القرية، وظلت آنا تراقب علــى النافذة في قلق محيّــر. قد يكون فنجان مــن القهوة في مكانه الآن.. ولكنها فجأة لم تعد تريد القهوة، كانت تلك معلومة جديدة، صغيرة ولكنها قاطعة، فهي لم تحب القهوة، وفي حقيقة الأمر، لم تحبها قطّ.

3

حينما عادت كاتري إلى المنزل، جلســـت على السرير مرتدية معطفها، وكانت متعبة جدا، ما المكاســـب؟ وما الخســـائر؟ كان أول لقـــاء مهما للغايـــة، أغمضت كاتري عينيهـــا وحاولت تخيل صورة واضحة عما جرى، ولكنها لم تســـتطع ذلك، ظلت الصورة تفلت منها بخفة وتشتُّتٍ أشـــبه ما تكون بآنا إميلين نفسها، هي ومصابيحها المظللة وغرفتها الغامضة المتناغمة جيدا والطريقة المريبـــة التي تحدثتا بها مع بعضهما، ولكـــن الكبد على منضدة المطبخ كانت حقيقة وأمرا ملموســـا، هل أحضرتها معي لأجلها؟ كلّا، أكان ذلك من أجلي، لتسجيل النقاط؟ كلّا، كلّا، لا أظن ذلك، لقد كان تصرفا عمليا بحتا، كان هناك ذلك الشيء الدموي الذي أخافهـــا، وتوجبت إزالته، لم أكـــن أتصرف بخداع أو غش، ولكن المرء لا يســـتطيع أن يعرف أو يتأكد تماما أبدا إن كان قد حاول أن يتحبب لأحـــدٍ بطريقة كريهة أو متملقـــة أو أي صفة جرداء تندرج تحـــت كلٍ ما في المنظومة القذرة والمقـــززة التي ينتهجها الناس متحصِّنين بها طوال الوقت وفي كل مكان لتســـاعدهم في الوصـــول إلى ما يريدون، قد تكون مصلحـــة أو حتى غير ذلك، وغالبـــا ما تأخذ الأمور مســـارها هكذا، بأن يكـــون المرء لطيفا قدر الإمكان ليخلّص نفسه من المشكلات.. لا، لا أظن أنني كنت

لطيفـــة على وجه الخصوص، لقد أضعـــت هذه الفرصة، لكنني على الأقل لعبت لعبة شريفة.

قام ماتس ببعض الرســومات الجديدة، وكانت موضوعة على الطاولـــة كالعادة، لم يتحدث قطّ عن تصاميمـــه للقوارب، لكنه أراد أن تراها كاتري، كانت الرســومات دائما على الورق الأزرق المربع نفسه، مما ســهل عملية خلق التوازن، وكان القارب عينه؛ كبيرا بعض الشـــيء مع محرك داخلي وقُمرة. لاحظت كاتري أنه غيَّر انحناء هيكل القارب وجعل القُمرة أكثر انخفاضا، تفحّصت ملاحظاته بدقة؛ تكلفة الخشب، المحرك، أجور العمل.. أمور عليها التحقق منها لتتأكد من أنه لم يتعرض للغش، كانت الرســومات جميلـــة للغاية، لم تكن مجرد أحلام صبيانية بقارب؛ كانت عملا متقنـــا، تدرك كاتري أنها نتاج ملاحظـــة طويلة وصبورة، الحب والاهتمام الذي يكرّسه المرء لشيء واحد وفكرة واحدة مهيمنة.

اســتعارت كاتري لماتس كتبا من المدينة، كل ما كان في المكتبة عـــن القوارب وصناعتهـــا وقصص عن مغامـــرات البحر، غالبا ما كانت كتبا للفتيان، حاولت كاتري في الوقت نفســـه، بمســـحة معتذرة تقريبا، جعله يقرأ ما تسميه أدبا.

«أنا أقرأ الكتب الأدبية فعليا»، قال ماتس: «ولكنني لا أستفيد منها شيئا، ليس فيها الكثير من الأحداث، أدرك أنها جيدة جدا، ولكنها تصيبني بالحزن، فهي عادة ما تكون عن أناس يعانون من بعض المشكلات».

«ولكن ماذا عن البحارة، أولئك البحارة التي تتحطّم ســـفنهم؟ أليس لديهم مشكلات؟».

هز ماتس رأسه وابتسم: «ذلك شيء مختلف»، وقال موضّحا:

«على أية حال، هم لا يتحدثون عنها كثيرا جدا».

ولكن كاتري اســتمرت بالحديث، فإذا كان ماتس يقرأ أربعة من كتبه، توجّب عليه أن يقرأ واحدا من كتبها، واحدا فقط، لقد خشيت أن يفقد شقيقها ذاته في عالم تستتر فيه بشاعة الحياة خلف مغامــرات أبطال خارقين زائفين، قــرأ ماتس كتب كاتري ليرضيها، ولكنه لم يتحدث عنها، كانت تسأل في البداية، فيجيب فقط: «نعم كان ذلك جيدا للغاية»، لذا، توقفت عن السؤال.

نادرا ما يتحدثان مع بعضهما، كانا يملكان سوية سكوتا هادئا وصريحا.

كان الظلام قد حلّ لبعض الوقت حين عاد ماتس إلى المنزل، ربمــا كان مع عائلة ليليبيــري، وهذا لم يعجب كاتري، كان دائما ما يتســكع من حولهم على أمل أن يتحدثــوا عن القوارب، كانوا ودودين مع ماتس كما يفعل الناس مع حيوان يربونه في منازلهم، فقد تركوه يدور بجوارهم دون أن يحسبوا له أي حساب، لم يكن لشقيقها أي اعتبار، وضعت كاتري الطعام وتناولاه كالعادة، وفي يد كل منهما كتاب.

كانــت وجبات القــراءة تلك دائما أكثر أوقات اليوم ســكينة، يلفها هدوء تام ومُرضٍ، ولكن في هذه الليلة، لم تســتطع كاتري القــراءة، كانت تعود لبيت آنا إميلين مرارا وتكرارا، وكانت تتركه مهزومة مرة تلو الأخرى، لقد دمّرت مســتقبل ماتس، أشــاحت كاتري بنظرها عن الكتاب الذي لم تعد تفهم منه شــيئا، ونظرت إلى شقيقها، انكســر ظلّ المصباح الذي يفصل بينهما، وانعكس النور علــى وجهه في تمازج بين النور والظــل، مما جعلها تفكر في الظل المبرقش للأوراق تحت الأشــجار أو انعكاس الشــمس

على أرضية رملية، لم يستطع أحدٌ سوى كاتري أن يرى كم هو وسيم، وفجأة غمرتها رغبة جامحة في أن تحدّث شقيقها عن الهدف العنيد الذي لا يغادر فكرها، رغبة في أن تشرح فكرتها عن الشرف وتدافع عن نفسها. لا، لا أن تدافع بل تشرح فحسب، تتحدث معه هكذا عن كل شيء لم يكن من الممكن التحدث به مع أي أحد خلا ماتس.

لكنني لا أستطيع ذلك، فماتس لا يحفظ سرا، وهذا ما يجعله غامضا جدا، ويجب ألا يزعجه أحد، إذ علينا تركه وشأنه في عالمه النقي البسيط، وقد لا يفهم الأمر، بل يقلق فقط من أن لديّ بعض المشكلات، وماذا سأشرح له فعليا..؟ لكنني أعرف ما عليّ فعله، عليّ فقط أن أنفذ ما أنوي تنفيذه تماما وبوضوح، وأن أحارب بشرف قدر ما أستطيع. نظر ماتس من فوق كتابه: «ماذا هناك؟»، خاطبها قائلا.

«لا شيء، هل ذلك كتاب جيد؟».

«إنه رائع»، أجاب قائلا: «لقد وصلت إلى بداية المعركة البحرية».

4

كانـــت الليالي في القرية هادئة جدا فيما عدا نباح كلب أو كلبين هجينين، فقد كان الجميع في منازلهم يتناولون العشاء، وبدت الأضـــواء في كل النوافذ، كان الثلج يتســـاقط كالعادة، وكانت الأســـقف مثقلة بأحمال الثلـــج، وابيضت الدروب التي خطتهـــا الأقدام خـــلال النهار من جديـــد، وأخذت الضفاف المتجمـــدة على الجانبين تعلو أكثـــر فأكثر، وبدا داخل ضفاف الثلـــج أنفاق عميقـــة وضيقة، حيث كان الأطفـــال قد حفروا مخابـــئ لهم خلال ذوبان الثلج، وانتصبت في الخارج تماثيلهم لرجال الثلج، وأحصنة الثلج، وأشـــكال غير مفهومة بأســـنان وأعـــين وقطع من المعـــدن والفحم، وعندمـــا كانت تحل حالة التجمد الشديد التالية، كانوا يصبون الماء على هذه المنحوتات لتتصلب وتصبح جليدا.

في أحد الأيام توقفت كاتري أمام أحد هذه الأشـــكال، ورأت فيـــه شـــبها منها، فقد اســـتخدم الأطفال قطعتـــين من الزجاج الأصفر لعينيها وألبســـوها قبعة قديمة من الفرو، وقاموا بتمثيل فمها الصغير وقامتها الصلبة المستقيمة، وقد ألحقوا بهذه المرأة الثلجية كلبا ضخما من الثلج، لم يكن متقنا، ولكنها استطاعت أن تـــرى أنهم قد قصدوا به كلبا، بل كلبا مرعبا، وجثمت عند حافة

ردائها قامة صغيرة لقزم يضع قفاز فرن أحمر على رأسه. عادة ما كان ماتس يرتدي قبعة صوفية حمراء في الشتاء.

ركلــت كاتري ذلك التمثال الثلجي محطمة إياه، وعند عودتها إلى المنزل ألقت بقبعة شقيقها في الموقد، وحاكت له قبعة زرقاء جديدة، ولاحقــا احتفظت كاتري بتذكارٍ واحــدٍ فقط ذي قيمة كبيــرة من تمثال الأطفــال الكاريكاتوريّ، ألا وهــو الورقة التي ملؤوها بالأرقام وغرســوها في قلب امرأة الثلج بوتدٍ خشــبي، لقد كانت تلك الورقة، على الرغم من كل شــيء، رمزاً للاحترام الذي يكنّه لها أهل القرية. لقد استمع الأطفال لحديث أهاليهم، وعرفــوا أنها كانت بارعة فــي الرياضيات، وعرفــوا كذلك أن الأرقام كانت تتغلغل في قلبها.

ظل الناس لأعوام يلجؤون لكاتري طالبين مساعدتها في حساب المبالغ التي عجزوا عن حسابها بأنفسهم، فهي تقوم بالحسابات الصعبة والنسب المئوية بمنتهى الســهولة، وكانت أجوبتها دائما صحيحة وفي محلها. بدأ الأمر عندما كانت كاتري تقوم بمتابعة الطلبات ودفع فواتير صاحب المتجر، وعُرف عنها بعد ذلك أنها بارعةٌ وذكيــة وتجيد التعامل مع الأرقام، كما أنها اكتشــفت أن تجّارا عدة في المدينة كانوا يغشــون في معاملاتهم، واكتشــفت فيمــا بعد أيضا أن صاحب المتجر في القرية كان يفعل الشــيء ذاته ولكن دون علم أحد. كان لكاتري كلينغ كذلك حس لا يخطئ في كيفية توزيع المبالغ بإنصاف، بدءا بالحلول الواضحة ووصولا إلى المشــكلات المعقدة التي تتطلب نوعا مختلفا من الحســاب. أخــذ ســكان القرية يتوافــدون إليها مع بياناتهــم الضريبية أو ليناقشوا معها فواتير الشــراء والوصايا والحدود بين الأراضي

المملوكـــة، كان هناك بالطبع مُحام في المدينة، ولكنهم كانوا أكثر وثوقا بها، ولم يروا حاجة لهدر المال على مُحام.

قالت كاتري: «أعطهم المرج، لأنك لن تســتطيع فعل شيء به على أية حال، فهو ليس حتى مرعى جيدا، ولكن أضف بندا يفيد بأنــه غير خاضع للتطوير، وإلا فســيقطنون بجوارك عاجلا أم آجلا، وأنت لا تطيقهم».

ثــم أخبرت الطرف الثانــي أن المرج عــديم الفائدة، ولكنهم يستطيعون الاستفادة منه في سبيل راحة البال بوضع سياج عليه علامة «ممنوع التجــاوز» حتى لا يضطروا دائما لتحمل الإزعاج من أطفال الجيران، كانت نصيحة كاتري محلّ نقاشٍ واســعا في القرية، وفاجأت النــاس بصحتها وحكمتها البيّنة، وقد يكون ما جعــل تلك النصيحة فعّالة للغاية هو أنها اســتندت إلى فرضية أن الجيــران بطبيعتهم يكنون العــداوة بعضهم لبعض، وعادة ما كان يتبع جلســات الأهالي مع كاتري شــعور غريب بالخجل، من الصعب تفســيره، لأن الإنصاف كان عنوانها دائما، لنأخذ مثلا حالــة عائلتين ظلتا تزدريان بعضهما لســنين، ســاعدت كاتري الطرفين في حفظ ماء وجهيهما، ولكنها أيضا بيّنت لهما أصول عداوتهما، وبذلك ثبتت تلك العداوة إلى الأبد. كما أنها ساعدت الأهالي في أن يكتشــفوا أنهم كانوا يتعرضون للغش، وقد سَعِد الجميع كثيرا بقرار كاتري في قضية إميل من بلدة هشولم، فقد أُصيب بعدوى تســمّم حادٍ في الــدم كلفه الكثير من المال ومنعه من العمــل لوقت ليسٍ بقصير، فقالت كاتــري إنها إصابة عمل وطالبت بتعويض للعامــل، وتوجب على صاحب العمل أن يتقدم بطلب التعويض لمكتب التشغيل نيابة عنه.

«حســـنا، لكن ليس هذا ما حدث تماما»، اعترض إميل قائلا: «لم يحدث ذلك عندما كنت أصنع قاربا، كنت فقط أقوم بتنظيف بعض السمك».

ردّت كاتري: «متى ســـتتعلمون؟ العمل عمل، إن كان سمكاً أو استخدام عَتَلة، الكل سواء، كان أبوك صيادا، أليس كذلك؟ وعمل في المسمكة، أليس كذلك؟ كم مرة جرح نفسه خلال عمله؟».

«بين الحين والآخر».

«بالطبع، ولم يحصل على أي تعويض، إذن، لقد غشّته الحكومة أكثر مما كان يعلم، وبهذا تكون الأمور قد عادت إلى نصابها».

كان الناس يستشـــهدون بأمثلة كثيرة على فطنة كاتري كلينغ، فقـــد بدت قادرة على إعادة كل الأمور إلى نصابها، وإذا ما راود الأهالي الشك بها، كانوا يستطيعون دائما أن يُطلِعوا المحامي في البلـــدة على أوراقهم المهمة، ولكنه لم يُشـــكك قطّ حتى الآن في أحكام كاتري: «من هي تلك الســـاحرة العجوز الحكيمة في هذا المكان؟ وأين تعلمت كل هذا؟».

فـــي البدايـــة، أراد الأهالـــي أن يدفعوا أجـــرا لكاتري لقاء خدماتها، ولكن عندما قابلت ذلك ببرود شـــديد، توقفوا عن ذكر الأجور، لقد بدا غريبا كيف أن شخصا يفهم الكثير عن مشكلات الآخرين في مواقف اســـتثنائية كان عاجزا عن التعامل مع هؤلاء الناس أنفســـهم، فقد أزعج صمت كاتـــري الآخرين جميعا، لقد كانت تجيب عن الأســـئلة التي تتعلق بالحقائـــق، ولكنها لم تكن تتحـــدث إليهم، والأمـــرّ من ذلك، أنها لم تكن تبتســـم عند لقاء الأهالي، ولم تكن تشجعهم أو تساعدهم أو تختلط بهم.

«ولكن لماذا تذهبون إليها؟» ســـألت الســـيدة نيغارد المتقدمة

في السن: «صحيح أنها تعيد الأمور إلى نصابها، ولكنكم تفقدون الثقة بالجميع وتتغيرون عندما تعودون من عندها، إنكم مختلفون، دعوها وشأنها وحاولوا التودد لشقيقها».

كان الناس يسألون عن ماتس أحيانا بالفعل، ولكن حتى هذا لم يجعلها أكثر لطفا، فقد كانت تنظر إليهم عبر شِقَّي عينيها الصفراوين قائلة: «بخير، شكرا لكم»، وعندما كانوا يمضون في طريقهم، كان ينتابهم شعور بالتملق ويستصغرون أنفسهم، لذا، كان الأهالي يأتون إليها بمشكلاتهم، ومن ثَمَّ ينسَلُّون من المكان بأسرع ما يمكن.

5

أتى تساقط الثلوج المستمر بظلمة مبهَمة تتراوح بين وقت الغسق وبزوغ الفجر، وقد أصابت الناس بالاكتئاب، فما كان مجرد أشياء يمكن الاستمتاع بأدائها أصبحت أشياء لا بد من فعلها، وقد أصاب اكتئاب الشتاء إدوارد ليليبيري، عندما ينتهي العمل في ورشة القوارب، لم يتبق للإخوة سوى العودة للمنزل، فيعودون أربعتهم إلى المنزل، ويُعدّون وجبة العشاء، ثم يستمعون للمذياع، وقد كانت تلك الليالي طويلة جدا، فقرر إدوارد ليليبيري أن يقوم بصيانة شاملة للشاحنة، وهو عمل عادة ما كان يرفع من روحه المعنوية، فلا ضير من أن يكون المحرك في حالة جيدة عندما تعمل البلدية على جرف الثلوج أخيرا.

قبل سنوات عدة، كان إدوارد يوصل طلبة المدارس إلى المدينة، ويتقاضى أجرته بالجنيه السويسري، أما الآن فكان في القرية مدرسة للمرحلة الابتدائية، وكان الطلبة الأكبر سنا يستأجرون غرفا في المدينة، ولم يكن ثمة الكثير منهم في هذه الأيام، وعلى الرغم من ذلك، فإن صاحب المتجر لم يكن يخسر المال بتولّيه أمر الشاحنة، فقد كانت الحكومة تدفع رسوم نقل حاويات الغاز من القرية وإلى المنارة، بالإضافة إلى نقل البريد، وكانت تدفع فوق هذا كله تكلفة البنزين، ومع ذلك، فقد حرص صاحب المتجر

كلمـــا قام بدفع راتب ليليبيري علـــى أن يتحدث عن العبء الذي يتحمله للقيـــام بكل هذه الخدمات للمجتمع، ولكن ليليبيري كان يعتبر الشاحنة ملكا له، كانت خضراء من نوع فلوكسفاجن، وهي المركبة الوحيدة في فاستربي.

أضاء النور، وعدّل قبعته إلى أســفل لتغطي أذنيه، كان البرد في الداخل أشـــد منه في الخارج، وكانت صيانة الشـــاحنة أمرا خاصا لا شـــأن لأحد به ســـواه، لكن ها هو الفتى ثانية يقف في البـــاب تماما يظل منتظرا ومحدقا بليليبيري، مســـببا له تأنيب الضميـــر. هل هذا توجُّسٌ من الفتى أو من شـــقيقته؟ ماذا فعلنا في هذه القرية لنســـتحق هذين الاثنين؟ ما الذنب الذي اقترفناه حتـــى لا تكون الأمور طبيعية؟ اســـتدار ليليبيري وخاطبه قائلا: «أنت هنا ثانية؟ أنت لن تتعلم أبدا ولو شـــيئا واحدا بســـيطا عن المحركات؟».

«لا»، أجاب ماتس: «لا أعرف».

«هـــل صـــادف أن ذهبـــت إلى منجـــرة نيغـــارد وقمت بقص الخشب؟».

«نعم».

«ماذا تريد؟ أن تقدم المساعدة؟».

لم يُجب ماتس، كان الشـــيء ذاته يحدث دائما، فالفتى يتسلل إلى المرآب، ويتســـكع في المكان صامتـــا هكذا، يراقب حتى يبدأ الشـــعر خلف رقبة ليليبيري بالوقوف على نهاياته، ويفقد قدرته على التركيز، لكنّ ليليبيري لم يشأ أن يكون لئيما مع الفتى على الرغم مـــن أن الأمر كان مزعجا حقا، لذا، لم يقل ســـوى «هذا صعب، هذا الجزء بالذات، فأنا لا أستطيع الحديث الآن».

أومأ ماتس كلينغ برأسه ولم يتحرك، كان يشبه شقيقته تماما؛ الوجه المسطّح نفسه، على الرغم من أن عينيه كانتا زرقاوين، بطريقة ما بدت الشقيقة دائما في الجوار، وبدا شقيقها من خلفها، كان أمرا لا يُحتمل وقد أتعب إدوارد ليليبيري كثيرا. أخيرا خاطبه قائلا: «بإمكانك أن ترتب المكان قليلا إن أردت، أصبحت الحركة صعبة هنا».

أخذ الفتى يرتب ببطء مستفز، بدأ بطريقة منتظمة من الركن البعيد، وأخذ يتقدم وهو يحرك الأغراض ويمسح ويرتب بصمت تقريبا، ولكن ليس بالكامل، كان الوضع أشبه بوجود جرذ خلف الحائط، يصدر خشخشة ثم يصمت، ويتقدم متثاقلا ثم يصمت ثانية، مما جعل ليليبيري يستدير ويصرخ قائلا: «انس الأمر! تعال هنا، قف هنا حيث يمكن أن أراك، حسنا، إنني أقوم بتصليح شاحنتي، راقب ما أفعل، ولكنك لن تتعلمه أبدا، وأنا لن أشرح شيئا، لذا، لا تتكلم معي».

أومأ ماتس برأسه، وشيئا فشيئا، هدأ ليليبيري، ونسي وجود ذلك الفتى، وصفح عن تطفله، وأصلح المحرك بنجاح في نهاية الأمر.

* * *

عندما يكون ماتس في ورشة القوارب، فإنه يعمل ببطء بائس، ولكن هذا البطء انطوى على قدرٍ كبيرٍ من الاهتمام والصبر، كان بوسعهم أن يوكلوا إليه مهماتٍ صغيرة واثقين تماما من أنه سينجز أي أمر يعهد إليه، وغالبا ما كانوا ينسون أنه في المكان، كان الإخوة ليليبيري يعطون ماتس مهمات مملة كتلميع أو شحذ رؤوس البراغي، وكان ماتس يختفي فجأة دون أن يلحظ أحد

متـــى غادر، ربما يكون قد وعد بإصلاح شـــيء مـــا لجارٍ، أو أنه ذهب للغابة هكذا دون مبرر، لم تتسنَّ معرفة السبب قطّ، لم يكن لماتس كلينغ ســـاعات عمل محددة، ولكنه كان يأتي ويذهب متى شـــاء، مما جعل دفع أجرٍ له بالســـاعة أمرا مستحيلا. من حين لآخر، وبداعي الشهامة، كان الإخوة يدفعون له الأجر؛ ولكن ليس بالكثير، بدا الأمر لهم وكأنه رأى العمل غالبا كنوعٍ من اللعب، ولم تكـــد ثمة حاجة لدفع أجر لأحـــد مقابل اللعب، ومن وقت لآخر، كان ماتـــس يغيب لفترات أطول، ولـــم يكن أحد يعرف أو يكترث إلى أين ذهب.

وإذا ما أصبح الجو باردا جدا، لم يكن من المعقول الاستمرار في العمل؟ لم تكن الورشـــة معزولة، ولـــم يكد الموقد يعمل على تدفئتهـــا بما يكفي لحماية أيديهم مـــن التيبس، فكانوا يغلقونها ويعودون لمنازلهم، ولكن في الجهة المطلة على البحر حيث تنطلق القوارب، كانت الأبواب مغلقة بمزلاج يســـهل فتحه، فكان ماتس يأتي ســـيرا فوق الثلج حاملا ســـنارة لصيد السمك ويدخل إلى ورشة القوارب حين يتوارى الجميع عن الأنظار، أحيانا كان يكمل عملـــه بتفاصيل طفيفة جدا لا يلحظها أحـــد، ولكن وفي أغلب الأحيـــان كان يجلس بهـــدوء هكذا في ضوء الثلـــج الباعث على الطمأنينة، لم يكن يشعر بالبرد قطّ.

6

فـــي المرة التاليـــة التي تزلج بهـــا إدوارد ليليبيري إلى القرية وعاد بالبريد والحاجيّات، كانت كاتري كلينغ بانتظاره مرة أخرى لتسـلُّم بريد آنا إميلين، وهي لم تستفسر ولم تعلّق، أرادت أخذ البريد، لا غير، كشـقيقها، وقفت هكذا وانتظرته حتى سـلّمها البريد.

«حســنا، إذا»، خاطبها قائلا: «ها هو، ولكن تذكري، من الآن فصاعدا عليك توخي الدقة في أي شيء له علاقة بالأمور المالية، ينبغـي عدم وضع أي قصاصة ورق بغض النظر عن حجمها في غيـر مكانها، وعند توقيعها من الآنسـة إميلين وبوجود شـهود عيان، فإنه أنا من سيسـحب المال مـن المصرف، وعند وصوله، ستحصل على كل قرش منه».

«أنت تدهشـني»، أجابت كاتري، وكان صوتهـا باردا للغاية: «متى كنت غير دقيقة بالأرقام؟».

صمت ليليبيري لبرهة، ثم قال: «لقد تسـرعت بالحديث، لم أفكـر مليّا، في الحقيقة إنه ليس ثمة شـخص آخر أثق به فيما يتعلق بهذا الأمـر»، وأضاف قائلا: «يمكن للمرء أن يقول الكثير عنك، ولكنك محلّ ثقة على الأقل».

ذهبت كاتري إلى المتجر وواجهت كراهية صاحبه: «أنا هنا لتسلّم بريد الآنسة إميلين، هل اتصلت لطلب شيء آخر يمكن أن أحضره؟».

«لا، فالآنسة إميلين تأكل المعلبات ولا تستطيع الطهي، لكن ليليبيري أتى ببعض الكلى».

«كُلها أنت»، قالت كاتري: «كُل كل الكلى والكبد والرئات، ولكن توقف عن الإساءة لامرأة لا تستطيع الدفاع عن نفسها».

«أنا لا أسيء لها»، انفجر قائلا، وقد جُرحت مشاعره حقا: «أنا أتعامل مع القرية بأكملها، ولم يقل لي أحد قط مثل ذلك..».

قاطعته كاتري: «كيس من المعكرونة، ومكعب مرق، وعلبتا حساء البازلاء صغيرتان، وكيلو من السكر، سآخذها معي، أضفها إلى حسابها».

أجابها صاحب المتجر، بصوت خافت: «أنت من يسيء للآخرين».

تقدمت كاتري في الممر: «أرز»، قالت: «ذلك النوع سهل الطبخ»، ثم أضافت: «لا تجعل من نفسك أضحوكة»، لقد كانت تلك ذات الملاحظة غير المبالية والعارضة التي حوّلت شهوته لها إلى كراهية فيما مضى، فقد بدت كما لو أنها تعطي أمرا لكلب ما.

عندما عادت كاتري إلى بيت الأرانب للمرة الثانية، أمرت الكلب أن ينتظر في الباحة الخلفية، وقد رأتها آنا إميلين وهي تصعد التل وفتحت الباب فورا، وبعد التحيّات اللاهثة غدت هادئة ومتوازنة، خلعت كاتري حذاءها وأخذت الأغراض إلى المطبخ.

«لم أحضر لحما طازجا»، قالت كاتري: «فقط بعض المعلبات، أشياء يسهل طبخها، لقد أتى البريد بعد ظهر اليوم مع ليليبيري».

«يا للروعة»، صاحت آنا، ولم تكن مظاهر الارتياح التي بدت عليها بسبب البريد أو المعلبات، ولكن بسبب أن هذه الإنسانة غريبة الطباع قد قالت أخيرا شيئا يمكن استخدامه في حوار طبيعي: «يا للروعة.. إن المعلبات مناسبة جدا، وبخاصة إن كانت صغيرة الحجم، فهي لا تفسد.. هل أخبرتك من قبل أن اللحم النيّء يسبب لي القلق؟ كما تعلمين، فهو يفسد سريعا، إنه مثل النباتات المنزلية، بحاجة للمتابعة المستمرة، أليس كذلك؟ إما أنك لا تروينها بما يكفي وإما تتجاوزين الحدود في ريّها، فأنتِ لن تعرفي أبدا..».

«لا، لن تعرفي أبدا، لكن الجو تجاوز الحدود في دفئه هنا، والنباتات المنزلية لا تحبذ هذا الجو الحار».

«لا، لا، ربما يكون الأمر كذلك»، قالت آنا بغموض: «لا أعرف لماذا يتوقع الناس مني دائما أن أحتفظ بنباتات منزلية..».

«أفهم ذلك، النباتات، والأطفال، والكلاب».

«عفوا؟».

«يفترض أن تحبي النباتات المنزلية والأطفال والكلاب، ولكنني لا أظن ذلك صحيحا بالنسبة لك».

نظرت آنا إلى أعلى، نظرة قاسية، ولكن الوجه العريض الهادئ أمامها لم يعبر عن أي شيء: «آنسة كلينغ، يا لها من ملاحظة غريبة، هلا ذهبنا إلى الشرفة؟ على الرغم من أنك لا تحبين القهوة».

ذهبتا إلى الشرفة، حيث ذات الإضاءة الخافتة، وذات الشعور بالفــراغ والروتين والجو الحالــم، والحركة البطيئة القســرية، جلست آنا ولاذت بالصمت.

«يا آنســة إميلين»، قالت كاتري ســريعا: «أنــت تعاملينني بلطف لا أســتحقّه»، وفجأة، دون سبب عقلانيّ، أرادت كاتري الخروج من بيت الأرانب، وضعت البريد أمام آنا، وذكرت لها أن هناك حوالة بريدية تحتاج إلى توقيعها، رفعت آنا نظارتها، ثم نظرت وقالت: «أرى أن ثمة شــهادة عليها، ولكن من يكون هذا الشــخص؟ يا له من اســم غريب، هل جاء إلى القرية شخص لا نعرفه؟».

«لا، لقد ابتدعت هذا الاســم، إنه اســم غريب للغاية، أليس كذلك؟».

«لا أفهــم ذلك»، أجابت آنــا: «من المؤكد أن هذا الإجراء غير طبيعي».

«فعلت ذلك لتوفير الوقت».

«ولكن هناك العديد منها، وكل واحدة ســتحمل ذات الاســم الغريب!».

ابتســمت كاتري ابتسامة ســريعة ومخيفة نوعا ما، ابتسامة توهجت كمصباح واختفت فجأة: «يا آنسة إميلين، أنا أتقن القيام بالتواقيع، الناس يأتون إليّ بأوراقهم وفي بعض الأحيان يطلبون منــي أن أوقع لهم أســماءهم، إن كان هذا يروق لك، فســأوقع اسمك أيضا».

وقد وقعت كاتري كلينغ اســم آنا إميلين، قلّدته بدقة متناهية من التذكار الذي كان قد أعطي لها.

«شـــيء لا يصدّق»، قالت آنا : «يا لك من بارعة! أتســتطيعين الرسم، أيضا؟».

«لا أعتقد ذلك، فأنا لم أحاول قطّ».

عصفــت الرياح، ودفعــت بالثلوج نحو النوافــذ، وهي تهمس بقوة، وهو شـــيء قد غشي أهالي القرية منذ فترة طويلة، طويلة جدا، وكان الصمت يخيّم بين هبّة عاصفة وأخرى.

قالت كاتري: «سأذهب الآن».

عندمــا فتحت آنا باب المطبخ، لمحت الكلب، كان فروه مغطى بحبات الثلج، وكان يشهق دخانا ثلجيا عبر فمه المفتوح، صرخت آنا وحاولت دفع الباب من خلفها.

«إنه ليس خطيرا»، قالت كاتري: «فهو كلب حســن الســلوك للغاية».

«لكنه كلب ضخم على غير العادة! كان فمه مفتوحا..».

«إنه ليس خطيرا، إنه كلب عادي من فصيلة الراعي الألماني».

نزلــت المرأة مع الكلب أســفل التل، كلاهما رمادي ومكســو بالفــرو، راقبتهمــا آنا وهما ينــزلان التل، كانــت لا تزال ترتعد من الخــوف، ولكن اهتياجها امتزج بمســحة من الفضول، جال بخاطرها أن كاتري كلينغ امرأة مغامرة، ليس كغيرها، ولكن بمن تذكرني يا ترى، خاصة عندما تبتســم..؟ ليس بأحد من معارف آنا، أولئك المعارف الذين كانوا لديها فيما مضى؛ لا، إنها تذكرها بصورة، شيء رأته في كتاب، وفجأة بدأت آنا تضحك مع نفسها، في الحقيقة، ذكرتها كاتري المبتسمة وهي ترتدي قبعتها المكسوة بالفرو بالذئب الضخم الشرير في قصص ليلى والذئب.

* * *

كان يُنشــر لآنا إميلين كتاب مصور كل ســنتين تقريبا، كتاب صغير لأطفال صغار جدا، كان الناشــر يزود الصور بالنصوص، وقد أرسل لها الآن بيانا بحصتها من المبيعات، ومقرونة بعبارات الاعتذار والتحيّات الحارة، أرفق مراجعتين قديمتين للكتاب من الســنة الماضية، واللتان، لسوء الحظ، وُضعتا في المكان الخطأ، فتحت آنا الأوراق وارتدت نظارتها.

هــا هي آنا إميلين تدهشــنا مرة أخــرى بمعاملتها الصادقة والحميميــة تقريبا للعالم المصغر الــذي يعد ملكها فقط؛ أرض الغابة، فقــد أصابنا تصوير كل صغيرة بدقــة متناهية بصدمة من الإدراك والاكتشاف في آن معا، فهي تعلمنا أن نرى ونلاحظ حقا، والنص المصاحب ما هو في الواقع إلا تعليق للأطفال الذين لم يكادوا يتعلمون القراءة، ولا يتغير كثيرا من كتاب صغير لآخر، لكن لوحات الآنسة إميلين المائية متجددة على الدوام، فمنظورها الثاقــب، ببســاطته وكماله معا، يصوّر جوهــر الغابة، وصمتها، وظلهــا، فالذي أمامنا هو غابة عذراء لــم تمس، وأصغر القراء فقــط هو من يجرؤ على أن يدوس على طحالبها، برفقة الأرانب أو من دونها، فنحن مقتنعون أن كل طفل..

كانــت آنا تتوقف عــن القراءة دائما عندمــا يذكر المراجعون الأرانــب، احتوت المراجعة الأخرى على صــورة، تلك التي طالما اســتخدموها في مراجعاتهم، كان الرســم الســاخر وديا، ولكن الفنان كان معنيا «بالأرنب» أكثر مما كان معنيا بـ «آنا»، فقد صب جلّ اهتمامه على أســنانها الأمامية، إذ كانت مربعة مع فجوات صغيــرة بينهــا، وعلى العموم بدت مكســوة بالزغــب، وبيضاء، وخاوية. والآن ينبغي ألا أكون ســخيفة، خطر ذلك ببالها، فعلى

كل حـــال، لا يحصـــل الجميع على فرصة وضع صـــورة لهم في الصحف، ولكن عليّ أن أتذكر في المرة القادمة ألا أظهر أسناني الأمامية وأن أرفع ذقني، هذا إذا لم يصروا على ابتسامة دائما.

إن كتب آنا إميلين الصغيـــرة والأنيقة بأغلفتها المقاومة للماء تُســـتقبل بحفاوة دائما، فقد تمت ترجمتهـــا للغات عدة، ويركز موضوع هذه الســـنة في جلّه على جمع التوت البري، فمع كامل الاحترام الواجب لتصوير الآنســـة إميلين المقنع والآســـر للغابة الإســـكندنافية، ينبغي على المرء أن يتســـاءل إذا ما كانت أرانبها النمطية نوعا ما..

بلى، بلى، تحدّثت آنا مع نفســـها، إن الأشـــياء ليســـت بتلك البساطة دائما؛ ليست بتلك البساطة لي، ولا لأيّ كان..

وكان علـــى رســـائل الأطفال أن تنتظر لوقـــت آخر، آمنة في غرفتها. رفعت آنا غطاء ســـريرها وأضاءت المصباح وقد انجلى ضوء النهـــار، وفتحت الكتاب في الموضع المؤشـــر عليه وأخذت تقرأ، وحالما بدأت تقرأ حول مغامرات جيمي في أفريقيا، عادت إليها السكينة، كما كانت قد أَملت.

7

أصبح الجو باردا للغاية، ومرة تلو الأخرى اضطر ليليبيري إلى جرف الثلج عن الطريق المؤدي إلى منزل الآنسة إميلين كي تتمكن السيدة سندبلوم من صعود التل بساقيها البائستين لتنظيف المنزل، لقد كانت تذهب مرة في الأسبوع، وكان الطابق العلوي مغلقا منذ سنوات، ولكن، مع ذلك، كان هذا العمل شاقا لسيدة كبيرة بالسن، وغالبا ما كانت السيدة سندبلوم تندب حظها.

«لكنك تكسبين جيدا من حَبْكِ الأغطية»، قالت السيدة نيغارد: «أخبري الآنسة إميلين أن التنظيف لم يعد سهلا، ثمة نساء أصغر سنا يستطعن تولي الأمر، لقد استقالت كاتري كلينغ من عملها في المتجر، وهي من توصل البريد إلى بيت الأرانب، أخبريها عن فرصة العمل هناك».

«أخبرها!» قالت السيدة سندبلوم متعجبة: «أنتِ بنفسك تعلمين أنه لا يمكن التحدث مع كاتري كلينغ هكذا، على الأقل، لا أستطيع فعل ذلك، فلدي مبادئي».

قالت السيدة نيغارد: «ماذا تعنين؟».

ولكن لم يبدُ أن السيدة سندبلوم كانت مصغية، فقد كانت تنظر متجهمة عبر النافذة، وقالت ما اعتادت قوله عن الثلج، ومن ثم ذهبت إلى منزلها على عجل. عندما كان الناس يأتون

لزيارة السـيدة نيغارد، دائما ما كانت تعرض عليهم الجلوس في الكرسـي الهزاز، لكن السيدة سندبلوم كانت مضطربة ومستاءة للغايـة، فلا تتحمل الجلـوس والهزّ في ذلك الكرسـي، وكانت تجلس دائما على السـرير (الأريكـة) بجانب الباب، وربما كانت هي الشخص الوحيد الذي لم يدرك الشعور بالهدوء غير العادي في المطبخ الواسـع، على الرغم من الأجيال التي تعاقبت عليه؛ لقد كان هدوءا مطمئنا ينسي الناس صفة الاستعجال.

غالبا ما كانت السـيدة نيغارد تحوم حـول الموقد الضخم أو تجلس على كرسـيها بجانب الموقد ويداها مطويتان في حجرها قليـلا، وقد أزال كل من في القرية هذه المواقد لأنها كانت تأخذ مساحة كبيرة جدا، والآن غدت مطابخهم كئيبة وتفتقر إلى قلب نابض، ولكن مطبخ السيدة نيغارد ظل كما كان على مدى الأيام، وعندما كانت البنات والكنّات ينشـغلن بالحبك، كن يسـتخدمن تصميماتها والألوان التـي اختارتها جدتها، كانت أغطية نيغارد الأحسن مبيعا. وذات مرة، جرى حديث حول فتح متجر في سوق المدينة لبيع تلك الأغطية، وكالعادة لجأ الناس لكاتري كلينغ طلبا للنصيحة، ولكنها نصحت قائلة: «لا، لا للوسـطاء، فهم يأخذون عمولة تتجاوز الحدود، ستخسـرون المال في هذا المشروع، دعوا الناس تأتِ إلى قريتنا، لنجعلهـم يتكلفون عناء المجيء إلى هنا، لنجعلهم يبحثون عن أغطيتهم، يذهبون في صيدها».

كانت كاتري تَحْبِكُ كبقية أهل القرية، ولكنها كانت تسـتخدم الألوان الصارخة للغاية؛ والكثير من اللون الأسود.

ظل الثلج يتساقط ولم يسـمعوا ولو كلمة واحدة حول عملية جرفه، لذا اسـتمر ليليبيري بالتزلج إلى المدينة رغم أنه لم يرُقْ

لــه الأمر، ولكونه رجلا طيب القلــب، كان يأخذ عمولة خاصة، شــريطة أن تكون المبالغ زهيدة؛ كان يحضر الدواء على ســبيل المثــال، وربما الملابس الداخلية أو ســماد النباتــات المنزلية، أو الصوف إذا نفد تماما لدى بعض النساء، لم يكن لديه الكثير من المــكان في حقيبته ومزلاجه، وكان عليه أن يعطي الأولوية للبريد والأطعمة الطازجة لصاحب المتجر، كان الأهالي يرتّبون طلباتهم على شــرفة صاحب المتجر، ولكن ليليبيري رفض بشــكل قاطع طلب كاتري بالذهاب إلى المكتبة، أخبرها بأنه يمكنها اســتعارة الكتب لماتس من الآنســة إميلين التي لديهــا رفوف طويلة مليئة بالكتب، لقد رآها بنفسه.

ولكــن كاتري لم ترغب بالحديث مع آنــا إميلين حول الكتب، فهــي لم تعد تخلع حذاءها عند إحضار البريد إلى بيت الأرانب؛ كانت تلقي تحية عابرة وبعض الكلمات الضرورية فقط، ومن ثم تذهب في طريقها وكلبها، لقد استســلمت كاتري، إذ أدركت أنه ليس بإمكانها أن تســتخدم كياســة لا تمتلكها أصلا. ودّ بسيط كان سيقربها من آنا إميلين، ولكنه بعيد المنال خارج الحدود التي رسمتها كاتري لنفسها، في ظل بقائها في نطاق اكتفائها الذاتي.

* * *

اتصلت الســيدة نيغارد بآنا وسألتها عما إذا كانت ترغب في أن تأتي لتنــاول القهوة، لم يكن المكان بعيدا على الإطلاق، وكان يمكن لأحد الفتيان أن يأتي لإحضارها.

«يــا للطفك!»، قالت آنــا، التي أحبت الســيدة نيغارد كثيرا: «ولكن الجو غدا شــديد البرودة، وكمــا تعلمين، إنه من الصعب للغاية المغامرة بالخروج..».

«نعـــم، أتفهّم ذلـــك، يخرج المرء غالبا عندمـــا يكون مضطرا لذلـــك فقط، أو عندما يريد أن يكون في الهواء الطلق، ليس إلا، دعينا ننتظر ونرَ كيف ستســـير الأمور، كيف حالك؟ هل كل شيء على ما يرام؟».

«أجل، شكرا لك»، أجابت آنا: «شكرا على اتصالك».

صمتت الســـيدة نيغـــارد للحظة ثم أضافـــت: «غالبا ما كان والـــدك يتجول في شـــوارع القرية، أتذكره جيـــدا، كانت لحيته جميلة جدا».

أحضرت كاتري البريد في ذلك اليوم.

«لا تذهبي بهذه السرعة»، ترجّتها آنا: «ليس مباشرة، يا آنسة كلينـــغ، لقد كنتِ خدومة للغاية، وأتوق إلى أن أريك منزل والدي ووالدتي».

تجوّلتا عبر المنزل معا، من غرفة إلى أخرى، كل منها بترتيب خاص لا يضاهى، لم ترَ كاتري فرقا كبيرا بين الغرف، كلها بلون أزرق باهت وكآبة يكتنفها الغموض، اســـتمرت آنا بالشرح: «وهنا كرسيّ والدي حيث كان يقرأ الصحف، كان هو الشخص الوحيد الذي يسمح له بإحضار الصحف من المتجر، وكان يقرؤها دائما بالترتيـــب، علـــى الرغم من أنها ما كانت تصـــل إلا نادرا.. وهنا مصبـــاح والدتي؛ كانت تطرز الســـتائر بنفســـها، وهذه الصورة التقطت في بلدة هانكو..».

كانـــت كاتري هادئة جدا فيما عدا تلفظها بتعليق فظّ أحيانا، وأخيرا تم اصطحابها إلى الطابق الثاني حيث كان البرد شديدا: «هذا الطابق دائم البرودة»، وضّحت آنا: «ولكن لم يسكن هنا سوى الخادمة، دائما ما كانت غـــرف الضيوف خالية تقريبا، فوالدي

لم يحبّذ وجود الضيوف، إذ كانوا مصدر إزعاج لروتينه اليومي، كما تعلمين.. ولكنه كان يكتب الكثير من الرسائل ويرسلها بنفسه في المتجر.. أتعلمين يا آنسة كلينغ، على الرغم من أن والدي لم يكد يعرف أحدا في القرية، كان الجميع يرفعون قبعاتهم له عند مروره، بعفوية هكذا».

«حقّا؟» قالت كاتري: «وكان يرفع قبعته لهم؟».

«قبعته؟» كررت آنا، محتارة: «هذا إذا كان حتى لديه قبعة.. يا للغرابة؛ لا أستطيع أن أتذكر قبعته..». واستمرت بحديثها.

أدركت كاتري أن آنا في غاية الإثارة، كانت تتحدث أكثر من اللازم، والآن جاء دور والدتها، التي كانت تذهب إلى الفقراء في القرية وتوزع الخبز الأبيض عليهم في عيد الميلاد.

«لم يشعروا بالإهانة؟» سألت كاتري.

نظرت آنا إلى أعلى سريعا، ثم أشاحت بنظرها مرة أخرى، وعاودت بشجاعة الحديث حول ألبوم الطوابع الذي احتفظ به والدها، وكتاب والدتها في فنون الطبخ، ووسادة الكلب تيدي، والتقويم السنوي لوالدها الذي احتوى على ملاحظاته حول العقود الجيدة والسيئة التي ينبغي مراجعتها بالكامل في ليلة رأس السنة، تجوّلت آنا دون قيود عبر منزل والديها، كاشفة عن كل شيء فيه وهكذا، ولأول مرة، ألقت بظلال من الشك على قيمته وسحره، واستمرت بالحديث، غير قادرة على التوقف، وقد تملّكتها حرية بشعور خبيث لتحطيم المحرمات، مجبرة بذلك ضيفتها المترددة على رؤية المزيد والمزيد، وسماع المزيد والمزيد من نوادر والدها. حكايات قصيرة فقدت دلالتها حتى من قبل أن تقتحم بها صمت كاتري، كان الأمر كمن يقهقه في الكنيسة،

لقد فُتح باب المحرمات لتلقّي هجوم كبير وغادر، وقد سمعت آنا بحدوثه، ارتفع صوت آنا وغدا حادا، وتعثرت بالعتبات إلى أن أمسكت كاتري ذراعها بلباقة وقالت: «يا آنسة إميلين، عليّ الذهاب الآن حقا»، غدت آنا هادئة جدا، أضافت كاتري بلطف: «لا بد أن والديك كانا فردين مميّزين».

خارجا في الباحة، أشعلت كاتري سيجارة، وانضم إليها الكلب، ونزلا عبر الطريق، وعاد إليها الشك، مرارا وتكرارا، متسائلة: لماذا قلت ذلك؟ من أجلها كي لا تشعر بأنها قد خانت مَثَلَيْهَا الأَعْلَيَيْنِ؟ كلا! أقلت ذلك من أجلي؟ كلا! يصاب شخص بدوار ولا بد من كبحه، هذا كل ما في الأمر؛ شخص يتجاوز الحدود ولا بد من إيقافه.

بعدما غادرت كاتري، شعرت آنا بالبرد، وفجأة بدا المنزل برمته وكأنه مليء بالناس، اجتاحتها رغبة جامحة للاتصال بشخص ما، أي شخص على الإطلاق، ولكن ما عساها تقول؟ قد لا يكون لديها أكثر من ذلك، بل إنها قالت أكثر من اللازم.. على أية حال، خطر ببالها، ثمة شيء واحد لم أكشف سره، فأنا لم أرِها أعمالي.

رغم أن ذلك لا يمت بصلة لوالدي ووالدتي.

* * *

وفي يوم الأربعاء، يوم التنظيف، حين كانت السيدة سندبلوم في طريقها عائدة من بيت الأرانب، التقت بكاتري وكلبها وهما يصعدان التل، فتوقفت وقالت: «قد لا يكون هذا أمرا مهما، لم تتناول الآنسة إميلين طعاما طازجا منذ أسابيع، وكنت أنا من أحضر لها ذلك عادة».

«إن الآنسة إميلين لا تحب اللحم الطازج».

«وكيف لك معرفة ذلك؟».

«لقد قالت ذلك بنفسها».

«ولماذا أعدتِ ترتيب الثلاجة؟».

«لقد كانت تعج بالقاذورات».

احمر وجه السيدة سندبلوم ببطء، وبدت كما لو أنها تنتفخ وتملأ الطريق وهي ترد على كاتري: «يا آنسة كلينغ، إن التنظيف وظيفتي، وأنا أنظّف بالطريقة التي طالما نظّفت بها، ولا أحب الناس الذين يحشرون أنوفهم في عملي».

ابتسمت كاتري دون ردّ، ابتسامة الذئب التي يمكنها زعزعة كيان أي شخص، وصرخت السيدة سندبلوم: «حسنا! أتفهّم الأمر! أظن أنني أعرف عندما يحاول بعض الناس استمالة تلك العجوز لأغراضهم الخاصة لأنها بدأت تفقد سيطرتها»، وانسلت تلك السيدة الضخمة في طريقها نازلة التل.

عندما دخلت كاتري إلى بيت الأرانب، وضعت حقيبتها على الأرض في الردهة، وقالت إنها لا تستطيع البقاء هناك.

«أليس لديك بعض الوقت؟ ولا حتى برهة قصيرة؟».

«أجل، لديّ بعض الوقت، ولكنني لا أستطيع البقاء هنا».

«يا آنسة كلينغ، ألا تودين البقاء؟».

«كلا»، أجابت كاتري.

ابتسمت آنا، ومن دون ظهور أي أثر لحيرتها المعهودة، قالت: «أتعرفين يا آنسة كلينغ، أنتِ شخص غير عادي جدا، لم يسبق لي قطّ أن التقيت شخصا بمثل هذا الصدق الفظيع؛ وأنا استخدم هنا كلمة «فظيع» بمعنى «مخيف»، أريدك أن

تصغي إليّ، الآن، لأنني أعتقد أن ما سـأقوله مهم، أنت شابة، وقـد لا تعرفين الكثير عن الحياة، ولكـن صدّقيني، تقريبا كل شـخص يلعب دورا ما، والجميع يحاول أن يكونوا على غير ما هم عليه»، فكّرت آنا للحظة: «ولكن ليس السـيدة نيغارد، تلك مسألة أخرى.. أتعلمين، إنني ألاحظ أكثر مما يدرك الآخرون، لا تسـيئين فهمي؛ بالطبع لديهم نية حسـنة، فأنا لم ألقَ سوى اللطـف في حياتي، ومع ذلك.. أنتِ، يا آنسـة كلينغ، تتصرفين دائما بطبيعتك، وهذا يعطي شعورا ..»، ترددت للحظة: «مختلفا، إنني أثق بك».

نظرت كاتري إلى آنا التي، بشكل عابر تماما وودّية تخلو من الهزل، كانت قد أعطتها الضوء الأخضر رسـميًا للسيطرة على بيت الأرانب.

واسـتمرت آنا بالحديث: «لا تفهميني خطأ، يا آنسة كلينغ، ولكنني أجـد طريقتك في قول ما لا يتوقعه المرء منك، أجدها جذابة بطريقة ما، لا أجـد فيك، واعذريني لقول هذا، أي أثر لما يُطلق عليه الناس التأدب.. والتأدب في بعض الأحيان يمكن أن يكـون تقريبا نوعـا من الخداع، أليس كذلـك؟ أتدركين ما أعنيه؟».

«نعم»، أجابت كاتري: «أدرك ذلك».

* * *

سارت كاتري تجاه الرأس البحري مصطحبة كلبها، وقد كوّن الثلج قشـرة صلبة تتحمل السير عليها. كان الربيع قادما، ربيع تملكه كاتـري كلينغ، كاتري التي فازت أخيـرا بجولة في لعبة مفتوحة ونزيهة، كاتري التي كان كل ما تريد تحقيقه في متناول

يدها، وقد ســرت في عروقها قوة جديدة، جرت مباشرة على الأجراف الثلجية على الشــاطئ، واخترقت القشرة، ثم توقفت، غارقة في الثلج حتى ركبتيها، ورفعت ذراعيها إلى أعلى وأخذت تضحــك. أصدر الكلب، وقد تأخر علــى طريق المنارة، دمدمة تحذيرية بصوت منخفض وعميق مــن حنجرته، «اهدأ» أمرته كاتري، «اتبعني»، لقد كانت تعطي الأوامر لنفســها. فالمســألة الآن مسألة تتعلق بضبط النفس والتركيز، لا غير. وقد تستمر اللعبة، والآن يمكنها القتال بأســلحتها الخاصة؛ وهي أســلحة كانت تؤمن بنقائها.

8

«هذه بعـض الطلبات البريدية التي وقّعتها وشـهدت عليها، ولكن ينبغي عليك النظر فيها، يا آنسة إميلين، وها هو المال الذي أتى به ليليبيري في المرة السابقة».

«يـا للطفكِ»، قالت آنا، وقد دفعـت بالمظروف المليء بالنقود إلى داخل مكتبها.

«ولكن ألن تعدِّي المبلغ؟».

«لماذا؟».

«للتأكد من صحته».

«يا عزيزتي آنسـة كلينغ»، قالت آنا: «إني متأكدة من صحته، ألا يزال يتزلج إلى المدينة؟».

«أجل، إنه يقوم بذلك»، توقفت كاتري للحظة: «يا آنسة إميلين، ثمـة موضوع أود أن أتحدث معك حولـه، لقد تقاضى ليليبيري تكلفة أكثر مما يستحق مقابل جرف الثلج وتصليح المصرف؛ لكل مـن أتعاب العمل وتكلفة المواد، وقد ذكرت له ذلك وأعاد الفرق، وها هو بين يديك».

«ولكـن لا يمكنك فعل ذلك»، قالت آنا متعجبة: «إنه أمر غير مقبول.. وكيف يمكنك التأكد من ذلك؟».

«تأكدتُ من السعر الجاري، ثم سألته عن المبلغ الذي تقاضاه، بمنتهى البساطة».

«لا أصدق ذلك»، قالت آنا: «لا أصدقه إطلاقا، فالإخوة ليليبيري يحبونني، وأنا أعرف ذلك تماما..».

«صدقيني، يا آنسة إميلين، يقلّ حب الناس لك عندما يستطيعون خداعك».

هزت آنا برأسها: «يا له من موقف بائس»، قالت: «وبخاصة حين يبدأ للتو تسرب الثلج من نافذة العلية..».

«صدقيني» قالت كاتري مرة أخرى: «لا حرج في هذا الأمر، سيأتي ليليبيري ويصلح النافذة في أي وقت يناسبك، وسيقوم بعمله باحترام متجدد وبسعر مناسب».

لكن آنا لم تستطع أن تدع الموضوع يمر هكذا، وأصرت على أن الحادثة بأكملها كانت مزعجة ولا مبرر لها، وأنها وليليبيري لن يستطيعا معاملة بعضهما بشكل طبيعي، والأكثر من ذلك، لم يكن للمال دائما تلك الأهمية التي يعطيها له الناس.

«قد لا يكون لهذه الماركات والبنسات أهمية كبيرة»، ردّت كاتري: «المهم هو أن يكون الشخص صادقا وألا يمارس الغشّ، حتى لو في بنسات زهيدة، إن المبرر الوحيد لأخذ مال شخص آخر هو إذا كنت تستطيع أن تُنمّي ذلك المال ومن ثم تعطي صاحبه حقه من العوائد».

«يا عزيزتي، فجأة غدا لديك الكثير لتقوليه»، قالت آنا، وأفكارها في مكان آخر.

فقدت كاتري اهتمامها، ونتيجة لانزعاجها من الحوار قالت: «بما أننا نتحدث في هذا الموضوع، كم تدفعين للسيدة سندبلوم؟».

عدّلت آنـــا وقفتها وقالت، بجمود صـــارخ، وبذات النبرة في صــوت والدها عندما كان يخاطب خــدم المنزل من حين لآخر: «يا عزيزتي آنسة كلينغ، تلك صغيرة لا أستطيع تذكرها».

9

التقى ماتس كلينغ وليليبيري في شارع القرية.

«إذا أنت هنا تُمشّي الكلب»، قال ليليبيري.

«نعم، سأصعد لزيارة الآنسة إميلين لأتحدث معها حول نافذة عليتها».

«سمعت أنك ستقوم بتصليحها، يقال إنها تسرب الثلج».

«وحوض المغسلة مسدود أيضا».

«نعم، تتولى شقيقتك زمام الأمور هناك، ولا بأس في ذلك، بما أن الثلج آخذ بالذوبان، فكرنا بالعودة للعمل في ورشة القوارب، ولدينا بعض الأعمال الصغيرة لك. بالمناسبة، لاحظت أنك تأتي من جهة البحر».

«ولكنك لم تخبر أحدا بذلك».

«لا، ولمَ أفعل ذلك؟ أرى أن البلدية جرفت الثلج من الشوارع أخيرا».

أومأ ماتس برأسه.

«ستتوقف السيدة سندبلوم عن التنظيف للآنسة إميلين»، استمر ليليبيري بالحديث: «يقولون إن انحدار التل الشديد لن يمكّنها من الصعود بأرجلها المنهكة، ولكن يعتقد البعض أن الأمر غير ذلك».

أومأ ماتس برأسه مرة أخرى دون أن يصغي.

حيّا كلٌ منهما الآخر، وذهب كل واحد في طريقه.

كانت أشـجار التتوب قريبة جدا من بيت الأرانب، مما جعل الباحة الخلفية مظللة بشـكل دائم. هذا المـكان موحش، خطر ببال ماتس، إنه منزل موحش جدا، ربما بسـبب حجمه الضخم، اسـتلقى الكلب في مكانه المعتاد عند عتبة المطبخ واضعا خطمه بين يديه.

«إذا أنـت ماتس؟»، قالت آنا: «لطـف منك أن تأتي، وأرى أنك قد أحضرت العدة، لكن النافذة ليسـت أمرا مستعجلا، اخلـع حذاءك وادخل لبرهة»، نظرت إلى الكلب: «لمَ لا تدعه يدخـل ويحصل على بعض الدفء؟ شـقيقتك لا تدعه يدخل أبدا».

أجاب ماتس بأن الكلب قد يكون أفضل حالا في الخارج.

«ولكن ربما يشعر بالعطش؟ أو هل يلتهم الثلج؟».

«لا أظن ذلك».

«كلب لطيف»، نظرت آنا نحو الكلب قائلة: «ما اسمه؟».

«أرجوك ألا تقلقي بشأنه، إنه بخير»، ثم خلع حذاءه.

تناولا القهوة في الشـرفة، لم يحـاول ماتس أن يتحدث إلى مضيفتـه، ولكنه كان يبتسـم لها من حين لآخـر، ويجول بنظره معجبا، مما جعلها تشعر بالرضى.

«إنـه الضوء الصادر عـن الثلج»، قالت آنا: «كل شـيء يبدو جميـلا في ضوء الثلـج». أعجبت آنا بماتـس كلينغ، من لحظة دخوله المنزل، شعرت بالارتياح معه، استغربت من اختلاف طبائع الأشقاء، على الرغم من أن أيا منهما لم يكن كثير الكلام.

«أتعلم»، قالت آنا: «في البدايــة كنت تقريبا خائفة قليلا من شقيقتك، إنه لأمر بمنتهى السخف مني».

«سخيف للغاية»، وافقها ماتس وابتسم مرة أخرى.

«نعم، ذات الطريقة التي قد تقلق بها من كلب ضخم وغريب، علــى الرغم من أنــه واقف بلا حــراك إطلاقا، هكــذا. والآن أنا ســعيدة للغايــة بأن كاتري وعدتني أن تأتي وتســاعدني في التنظيف».

مرّ ظل الســيدة ســندبلوم الثقيل للحظة مشحونة بالغضب، نزعتها آنا من مخيّلتها وتنفست الصعداء، ثم خيم الصمت على الغرفة مجددا.

قال ماتس: «يا آنســة، أرى أنــك تقرئين مغامرات جيمي في أفريقيا، إنه كتاب جيد».

«إنه جيد بالفعل».

«أجل، لكن مغامرات جيمي في أستراليا أفضل حتى منه».

«حقا، هل ما يزال جاك معه؟».

«لا، بقي جاك في أمريكا الجنوبية».

«حقا!» قالت آنا: «هذا شــيء مؤســف للغاية، أعني أنه إذا بدأ صديقان بمغامرة فينبغي أن يســتمرا معا، أو يكون الأمر غير منصف، ليس إلا»، ثم انتصبت: «تعال وألقِ نظرة علــى كتبي»، خاطبتــه قائلة: «هل قرأت قصص فورســتر البحرية؟».

«لا».

«وجاك لندن؟».

«استعاره شخص ما من المكتبة».

«يا صديقي العزيز»، صاحت آنا: «لا تنطق بكلمة أخرى حتى تقــرأ تلك الكتب، تتحدث عن المغامــرات! وليس لديك أي فكرة عنها!».

ضحك ماتس، كانت مكتبة آنا عالية بيضاء مزخرفة بأعمدة منحوتــة في الزوايا. تفحّصــا معا الرفوف بكاملهــا، متلفظَين بأسئلة وتعليقات يكرّسها الناس للأمور المهمة بهذا الشأن، كانت أرفــف آنا مليئــة بكتب المغامرات لا غير؛ فــي البرّ وفي البحر، فــي المناطيد وفي باطن الأرض، وفي أعماق البحار الســحيقة، كانت معظم الكتب قديمة جدا، لقد جمعها والد آنا في مســيرة حيــاة طويلة كانت تخلو تماما فــي كل جوانبها من الخيال غير العقلانــي، كانت آنا تفكّر أحيانا أن من بين كل ما علّمها والدها احترامــه، كانت هذه المجموعة من الكتــب هي الفُضلى، ولكنها كانت فكرة خجولة، ولم تسمح لها بأن تطغى على آرائه الأخرى.

عندمــا عاد ماتس إلى المنزل وفــي جَعبته حزمة من الكتب، لم يتطرق إلى نافذة العلية، وعد بأن يأتي في اليوم التالي ومعه كتاب مغامرات جيمي في أستراليا، وقد تحدثت آنا لفترة طويلة بالهاتف مع مكتبة بيع الكتب في المدينة.

* * *

قام ماتس بتصليــح النافذة والمصرف، وجــرف الثلج وقطّع الحطــب وأوقد النار في مواقــد القرميد الجميلة في منزل آنا، ولكنــه عادة ما كان يأتي لاســتعارة الكتب فقط، نشــأت علاقة متحفظــة ومتــرددة تقريبا بــين آنا وماتس، لــم يتحدثا إلا عن كتبهما، وفي القصص حيث تكرر الأبطال أنفســهم في كتاب تلو الآخر، اســتطاعا أن يتحدثا بطريقة مألوفة عن جاك أو توم أو

جين، والأفعال المختلفة التي قاما بها حديثا، كما لو كانا يتحدثان عرضيا وبودّ عن معارفهما، كانا ينتقدان ويمتدحان ويشعران بالرعب، ويناقشان بالتفصيل النهاية السعيدة وتقسيمها المنصف للورثة وعن الزفاف وعن الشرير وعقوبته العادلة.

قرأت آنا كتبها من جديد، وبدا فجأة كما لو كان لديها حلقة واسعة من الأصدقاء، جميعهم يعيشون حياة مغامرة إلى حد ما، غدت أكثر سعادة، وعندما يأتي ماتس في المساء، كانا يشربان الشاي في المطبخ، وهما يقرأان الكتب ويتحدثان عنها، وإذا ما جاءت كاتري، كانا يلوذان بالصمت بانتظار رحيلها، وما إن ينغلق الباب الخلفي حتى تتوارى كاتري عن الأنظار.

«هل تقرأ شقيقتك كتبنا؟»، أرادت آنا أن تعرف الجواب.

«لا، إنها تقرأ الأدب».

«إنها امرأة استثنائية»، علّقت آنا: «والأكثر من ذلك، أنها بارعة في الرياضيات».

10

اندفعـــت أول عاصفة ربيعية من البحر، برياح قوية ودافئة، لقد غدا الثلج ثقيلا وهشا، وفي الغابة بسبب العاصفة سقطت أحمـــال ضخمة من الثلج من فوق الأغصان، وانكســـر العديد منها في لحظة تحررها، وكانـــت الغابة بأكملها تعجّ بالحركة. في المســـاء تجوّلت آنا تحت الأشـــجار خلف المنـــزل، وتوقفت مصغية لوقت طويل، وكالعادة، كان ينتابها جو من القلق عندما تتأهـــب الأرض لاســـتقبال الربيع، قلق كانـــت تدركه وترحب به، ومـــع إصغائها، تغير وجهها الأرنبـــي وازداد توترا، وتحلى بدرجة من القســـوة، أحدث اندفاع الريح نحو الأشجار أصواتا وموســـيقى وصيحات بعيدة، أومأت آنا برأســـها، فصل الربيع الطويل بدأ للتو.

ستستطيع قريبا أن تدنو من أرض الغابة.

* * *

اســـتمرت العاصفة في اليوم التالي، عادت كاتري إلى المنزل وأزاحـــت الثلج من فوق الدرج، كان المتجر مليئا بالناس، ونفحت منه رائحة كريهة من العرق والتوتر، وعبر الصمت المفاجئ، قالت السيدة سندبلوم: «مساء الخير؟ كيف حال الآنسة إميلين اليوم؟ أهناك تواقيع تذكارية جديدة؟».

ضحك صاحب المتجر، ســارت كاتري وقــد تجاوزتهما تجاه الدرج.

«حســنا، كما قلت مــن قبل»، قال إميل من هوشــولم: «هذه أوقــات عصيبة ومن الأفضل أن نتوخــى الحذر، فقد يأتون إلى هنــا أيضا، المكان ليس بعيدا، وســنضطر قريبا جدا إلى إقفال أبوابنا ليلا».

«ماذا قال قائد الشرطة؟» سأله ليليبيري.

«وما عســاه أن يقول؟ سيتجول في القرية ويطرح الأسئلة، ثم يعود لمنزله ويكتب تقريرا، وقد ســمعت أنهم أخذوا حتى الحبل المثبط للتيار الكهربائي أيضا».

«كان اللــه في عوننا!» صاحت الســيدة ســندبلوم متعجبة: «والآنســة إميلين، التي لا تمتلك قفلا جيدا على أي من أبوابها! يجب عليها أن تتوخى الحذر».

توقفت كاتري على الدرج.

«ألم يرَ أي شيء، ذلك المسكين؟» سأل ليليبيري.

«لا شــيء، لقد سمع حركة في المنزل، وذهب ليستطلع الأمر، وقبــل أن يعــرف ما كان يجــري، ضربوه على رأســه، وهذا هو أسلوبهم».

كان ماتس يقرأ مســتلقيا على ســريره: «مرحبــا»، حيّاها: «أسمعتِ عن اقتحام كشك العبارة؟».

«أجل، سمعت عن ذلك»، ردّت كاتري، وهي تعلّق معطفها.

«ولكن أليس الموضوع مثيرا؟».

«نعــم، مثير جدا»، أجابت كاتري، ومــن فوق الطاولة بجانب النافذة، وهي تديــر ظهرها نحو ماتس، فتحت كاتري أحد كتبه

عشوائيا، مما جعل الغرفة تنعم بالهدوء من جديد، لم تدرك كاتري قطّ أن الكتاب الذي أخفت أفكارها خلفه كان عنوانه «كارل يخدع الشرطة»، وربما كان ذلك أفضل لها، فهي لم تكن لترى الفكاهة في ذلك.

وخلال تخطيط كاتري لاقتحام بيت الأرانب الافتراضي، لم تشعر ولو للحظة واحدة بأن المشروع كان صبيانيا إلى حدّ ما، فكل ما كانت تدركه هو أن لديها فرصة سانحة يجب أن تستغلها قبل أن تغيّر الرياح اتجاهها وتهدأ الإثارة في القرية.

كان الوقت متأخرا ليلا عندما أشارت كاتري للكلب أن يتبعها، أخذت مصباحا يدويا وقفازها وكيسا للبطاطا وخرجت في العاصفة الثلجية، عصفت الرياح عبر الساحل كما لو كانت تعصف في قصة مغامرة جيدة حقا، وواجهت كاتري صعوبة في إيجاد طريقها، لم يكن للمصباح فائدة كبيرة، ومرة تلو الأخرى، كانت تتعثر في الجروف الثلجية على جانب الطريق وتضطر للتراجع، كان التقدم بطيئا، وقد فاتها الطريق الجانبي، واضطرت للتراجع متتبعة آثار قدميها. انتظر الكلب في مكانه المعتاد خارج باب المطبخ، ولكن كاتري لم تخلع حذاءها، على العكس من ذلك، فقد سحبت بحذائها أكبر قدر ممكن من الثلج على السجاد، وفي الداخل، بدت العاصفة أكثر قربا، وعصفت الرياح بعنف كما لو كانت قوة تنفذ هجوما مخططا. وضعت كاتري المصباح على الخوان حيث كانت فضيّات العائلة تقف مصفوفة -كانت كاتري قد لمّعتها بنفسها- وتحت شعاع رفيع من النور وضعت كل الفضيّات في كيس البطاطا: إبريق القهوة، وإناء السكر، وإبريق الكريمة، وإناء الشاي، ووعاء الحلوى، ثم سحبت

أدراجا عدة من الخوان بعناية شـديدة، وأفرغت محتوياتها على الأرض، وتركت باب المطبخ مشرعا عند رحيلها.

كانت عملية بسـيطة للغاية، وقد اعتبرتها كاتري أمرا عمليا بحتـا دون أي أثر درامي أو مخالفة أخلاقيـة، اعتبرتها مجرد حركة لحجر في لعبة النقود، ولم تكن آنا بالنسبة لها إلا خصما يواجه حركة جديدة في هذه اللعبة.

وأثناء نزولها في الطريـق، قذفت كاتري بكيس البطاطا في جرف ثلجي وعادت إلى منزلها، ولأول مرة منذ زمن بعيد، نامت كاتري في مهد أحلام وديعة خلت من الكآبة والقلق.

تقبّلت آنا عملية السـرقة بهدوء مدهش، ولكن أهالي القرية كانـوا منزعجين للغاية، لم يكونوا على معرفـة بآنا إميلين، ولم يكد يعرف معظمهم ملامحها، إذ كانت نادرا ما تظهر في شوارع القريـة، ولكنها كانت تشـكل مفهوما، كمعلـم قديم موجود منذ الأزل، لقد كان اقتحام فيلا آنا إميلين عملا بائسا، كالسطو على معبد أو ضريح تقريبـا. وجاء الجيران واحدا تلو الآخر ليعربوا عن تضامنهم، وقد أتاحت هذه الحادثة الفرصة لكل من لم يدخل فيـلا الأرانب القيام بذلك الآن. ظلت أدراج الخوان مبعثرة على الأرض كما كانت، ولم يسـمح لأحد بلمسها، أو تحريك أي شيء آخر إلى أن يأتي قائد الشرطة، وبررت آنا ذلك باحتمالية وجود بصمات للأصابع، وكان كيس البطاطا الممتلئ بالفضيّات منتصبا فـي باب المطبخ، ومُنع لمسـه أيضا. صنع العديـد من الزائرين أقراصا من الكيك، وأحضرت عائلة ليليبيري زجاجة من النبيذ.

استمتعت آنا جدا بلقائها مع قائد الشرطة في القرية، أعطت إفادتها، وحاولت قدر المسـتطاع أن تسـاعده في إعادة تركيب

عناصـــر تلك الجريمة، أعدّت كاتـــري القهوة للجميع، وتلقت آنا كمّا هائـــلا من النصائح الجيدة يفوق طاقتها على الاســـتذكار. كانت السيدة نيغارد هي الشخص الذي لخّص رأي الجميع: طالما كانـــت المنطقة غير آمنة، لا يمكن لآنـــا إميلين العيش بمفردها. وبكل بســاطة، لا يمكن للقرية أن تتحمل مســـؤولية تبعات هذا الأمر. اقترحت الســـيدة نيغارد بـــأن تقوم كاتري كلينغ بالحماية مؤقتـــا، وأضافت أن من الأفضل أن يبقـــى الكلب بجانب الباب لبعض الوقت، كان ينظر للسيدة نيغارد كسيدة متقدمة في السن وذات خبرة واسعة، فحتى قائد الشرطة أوصى باقتراحها. وبعد تناول القهوة، عاد قائد الشرطة إلى القرية ليكتب تقريره، وذهب القرويون كل لشـــأنه، وأخيرا لم يبق إلا آنا وكاتري وحدهما في الشرفة.

«حسنا، حســـنا»، قالت آنا: «لقد غدا الأمر مسرحية هزلية، ولكن لا أفهم لماذا لم يأخذ قائد الشرطة بصمات الأصابع، فهم يفعلون ذلك عادة، ولا أحد يســـتطيع أن يفسّر لماذا رمى السارق الكيـــس في الجرف، يا ترى من أرعبه..؟ لا يوجد أحد البتة في هذا المكان ليلا، قد يكون كلبا ما؟ فمن غير المعقول أن يعود ذلك لصحـــوة في ضميـــره.. أتظنين أن كلبا ما كان فـــي المكان الليلة الماضية؟».

«هذا ما أظنه»، ردّت كاتري.

جلســـت آنا وفكّرت لبعض الوقت، ثم ســـألت فجأة إن كانت كاتري تقرأ الروايات البوليسية.

«أنا لا أقرأها».

«ونحن لا نقرؤها كَذلك.. أجلس هنا وأفكر فيما قالته السيدة

نيغارد.. إنه ليــس من الصعب على المرء أن يكون واثقا جدا من نفسه في الصباح، ولكن هذا الشعور يتغير عند الغسق، لقد كان لطــف منك أن تعِدي بالمجيء مصطحبة كلبك، ولكن لبضع ليال فقط، ومن ثم قد أكون نسيت الموضوع برمته، فأنا أنسى بسهولة هكذا..».

11

دخلت كاتري إلى بيت الأرانب، وأخذ الكلب مكانه في الممر بجانب باب المطبخ، كانــت كاتري في حالة عصبية في اليوم الأول، إذ بدت أبســط المهام فوق طاقتها، كانت على يقين من شيء واحد؛ ينبغي أن تتحرك بهدوء شديد وتتوارى عن الأنظار قدر الإمكان، شبحٌ لا يتعدى بأي شكل من الأشكال على حياة آنا المدللة والمصونة منذ زمن بعيد، كان الوقت قصيرا، إذ كان لكل ســاعة أهميتها الخاصة، لم يكن لديها سوى بضعة أيام لتســتولي على المنزل وتُقنع آنا بأنّ الاســتقلالية ممكنة حتى وإن لم تكن وحدها، ولكن آنا جلست بجوار الموقد بلا حراك، شــعرت بالبرد أكثر من أي وقت مضى، وتساءلت لماذا لم يبدُ منزلها خاويا ومهجورا لهذه الدرجة من قبل؟

دخلت عليها كاتري لتتمنى لها ليلة سعيدة: «لا أعتقد»، قالت بحذر: «لا أعتقد بأن للقفل تلك الأهمية..».

«ماذا؟» قفزت آنا واقفة على قدميها: «أي قفل؟».

«أعنــي، ليس ثمة قفل جيد علــى الباب، ولكن إن كنت تنوين حبس نفسك الآن، فســيكون ذلك أمرا آخرَ يستدعي اهتمامنا، أعني، همًا جديدا».

كانت آنا غاضبة: «عمّ تتحدثين؟ ولماذا أحبس نفسي؟ فالمكان مُغلق بما فيد الكفاية أصلا، اهدئي واذهبي للنوم».

* * *

في الصباح، وضعت كاتري المتوارية صينية الإفطار بجوار سرير آنا، وأشعلت النار في موقد القرميد، ووضعت إناء من الزهور، وأصلحت حاشية ثوب آنا، كما وضعت كتابا مفتوحا على آخر صفحة وصلت إليها آنا بجوار طبقها، قامت بالكثير من الأشياء الصغيرة في كل أرجاء المنزل طوال اليوم، ولكن واصلت كاتري تواريها عن الأنظار، ازداد قلق آنا أكثر فأكثر، وكأن ثمة روحا كانت تتجول في المنزل، جنّية مسحورة من تلك الجنّيات المستعبدة والمطيعة التي تتردد على القلاع كما في حكايات الجن، مخلوقات متفانية، وحاضرة في أي وقت، ولكنها تتلاشى هكذا دائما، فحين تلمح حركة ما وتستدير لاستكشاف الأمر، لا تجد شيئا سوى باب ينغلق بهدوء.

وللمرة الأولى في حياتها المنعزلة، لاحظت آنا الصمت الذي يسود المنزل، مما أثار القشعريرة في جسدها، بحلول المساء، خرجت آنا عن طورها وذهبت إلى المطبخ، ملتفة حول الكلب بحذر، كان المطبخ خاليا، فصعدت أعلى الدرج ونادت من وراء باب كاتري: «آنسة كلينغ، هل أنتِ في الداخل، أو أين أنتِ بحق السماء؟».

فتحت كاتري الباب: «ماذا هناك؟»، أجابت قائلة: «ماذا حدث..؟».

«لا شيء»، أجابت آنا: «لا شيء البتة، تقومين بالتسلل في المكان ولا أعلم أين أنتِ أبدا، وكأن ثمة فئرانا في داخل الجدران!».

* * *

قامــت كاتري بتغييــر تكتيكاتها، كانــت خطواتها الحثيثة تُسمع في كل مكان، وكانت تحرّك الأطباق بطريقة مسموعة، وبدأت تضرب الســجاد في الســاحة، وغالبا مــا كانت تأتي لطلــب النصح من آنا في أشــياء مختلفة، وأخيــرا قالت آنا: «ولكن يا عزيزتي آنســة كلينغ، لماذا تقومين بسؤالي عن أشياء تســتطيعين اتخاذ القرارات بشأنها دون الرجوع إليّ؟ أنتِ لم تعودي كما أنتِ، أود طمأنتك أنه ليس هناك من حاجة للتوتر أو داع للقلق».

«ياً آنسة إميلين، لا أفهم ما تعنين».

«أتحدث عن الاقتحــام، بالطبع»، أجابت آنــا بفارغ الصبر: «اللص الذي سرقنا؟».

بدأت كاتري بالضحك، لم تمتّ ضحكتها بصلة لابتســامتها المرعبة، وكان وجهها كله يضحك بمرح لا تشــوبه شائبة، بأسنان جميلة للغاية.

حدّقــت آنا بها باهتمام وقالت: «لــم أرك قطّ تضحكين، ألا تضحكين عادة؟».

«لا، ليس كثيرا».

«وما الشــيء المســلّي جدا في الأمر؟ الســرقة التي تعرّضنا لها؟».

أومأت كاتري برأسها بالإيجاب.

«حســنا، إنه أمرٌ مســلٍ للغــاية، ومــع ذلــك، فأنــتِ لم تعــودي كما أنتِ، مهما كان الســبب، لقد كنتِ أكثر لطفا في البداية».

في الساعة الثالثة؛ رنّ جرس الهاتف، وأجابت كاتري.

«أوه، هـذه أنـتِ!!»، قال صاحب المتجر: «لم تعد الآنسة إميلين ترد على هاتفها الخاص؟ أخبريها بأن الشرطة ألقت القبض على اللصوص، لقد قاموا باقتحام منزل آخر، كيف حال الحراسة عندكم؟».

«ضعَ لنا جانبا زجاجتين من الحليب وبعض الخميرة وسجّلها على الحساب»، قالت كاتري.

«أتخبزين الآن أيضا؟ يبدو أنّ بيت الأرانب يتحول إلى مؤسسة حقيقية».

«حسنا، هذا كل شيء، سأتصل إذا احتجت شيئا آخر»، أغلقت كاتري سماعة الهاتف وهمّت بالعودة إلى المطبخ.

«لماذا اتصل صاحب المتجر؟» سألت آنا من ورائها: «فهو لم يتصل بنا من قبل؟».

«لقد طلبتُ بعض الخميرة، لدينا دقيق»، وقفت كاتري في الباب نصف المغلق، ونظرت إلى آنا مباشرة، وأخيرا قالت سريعا: «لقد أمسكوا بهم».

«ماذا قلتِ؟».

«أعني اللصوص، لقد زال الخطر».

«حسنا، تلك أخبار جيدة»، قالت آنا: «ذلك يفاجئني، إذ لم أعتقد أن مدير الشرطة بدا كفؤا لهذا الحد، بالمناسبة، وقبل أن أنسى، هلا طلبتِ من ماتس أن يلقي نظرة على الموقد في غرفتك؟ إنه لا يسحب الدخان، ولم يفعل من قبل، إذا استمر الجو على ما هو عليه، فسوف تصابين بالبرد أو شيء من هذا القبيل»، أضافت باستخفاف وعادت إلى متابعة قراءة كتابها.

* * *

ومع اقتراب المساء، أحضرت كاتري الحطب لإشعال النار في الردهـــة: «إنه مبلل جدا»، قالت كاتري: «ينبغي أن يوجد ســقف فوق كومة الحطب، سقيفة ما».

«لا يمكن فعل ذلك، لو كان حيّا، لرفض والدي وجود ســقيفة للحطب».

«ولكن سيكون لدينا الكثير من الأمطار».

«عزيزتي آنســة كلينغ»، قالت آنا: «لطالما كان الحطب بجوار المنزل، وسيفسد بناء سقيفة تصميم المنزل».

ابتســمت كاتري ابتســامتها المتجهمة وقالت: «حســنا، هذا المنزل ليس بذلك الجمال، على الرغم من أنني رأيت ما هو أسوأ منه من الفترة الزمنية نفسها».

عندما بدأ الحطب أخيرا بالاشــتعال، جلست آنا أمام الموقد وقالــت: «من الرائــع الجلوس أمام الموقــد»، وأضافت عرضيّا: «ومن الرائع أيضا أنه يبدو أنك بدأت تعودين إلى طبيعتك»».

وفــي اليــوم التالي، أعلنت آنــا عزمها إقامة حفلة بســيطة لثلاثتهــم، كان علــى كاتــري ألا تأكل فــي المطبخ اليــوم، فهم سيستخدمون الفضيات ويحتسون النبيذ على ضوء الشموع.

أشــرفت آنــا بعناية علــى طاولــة الطعام، وقامــت ببعض التغييرات فــي ترتيبات صغيرة ومفصلة؛ لم يكن لشــخص من جيــل كاتــري وخلفيّتها أن يتعلمها بحكــم الروتين. وصل ماتس في الموعد المحدد، ظريفا وخجولا بعض الشيء، أخذوا أماكنهم على الطاولة، ارتدت آنا أحسن ما لديها لذلك العشاء، لم يشكّل دور المضيفــة لهــا أي صعوبة قطّ، ولكن مواهبها وحساســيتها الاجتماعية لم تكن كما ينبغي هذا اليوم، فبعد بعض الملاحظات

غيـــر المترابطـــة التي لم تؤدِّ إلى الشـــروع فـــي الحديث بينهم، ســـمحت للبدء بتناول الطعـــام دون أن تلاحظ صمت ضيوفها، وفي كل مرة وقفت كاتري لتقديم الطعام، كانت آنا تشيح بعينيها سريعا وتنظر بعيدا. بدت الطاولة رائعة من تحت ثريا الكريستال بمصابيحها المُضاءة كلها، حتى إن الشمعدانات كانت مضاءة، ثم جاءت الحلوى.

تلمّســـت آنـــا كأس نبيذها ولكنها لم ترفعـــه، انتقل جمودها المفاجئ إلى ضيوفها، وللحظة جمود واحدة، بدت الغرفة بجمود صورة فوتوغرافية.

«أرجو الانتباه»، قالت آنا: «إن إعارة إنسان لآخر كامل انتباهه شـــيء نادر جـــدا، لا، لا أعتقد بأن ذلك يحـــدث غالبا.. تتطلب معرفة ما يريد شخص ما ويتوق إليه، دون الإعلام مسبقا، قدرا كبيـــرا من البصيرة والتفكير، وبالطبع في بعض الأحيان، لا نكاد نعرف أنفســـنا، قـــد نعتقد أننا بحاجة للعزلـــة، أو ربما العكس، الحضور مع أناس آخرين.. لا نعلم، ليس دائما..».

توقفـــت آنا عن الحديث، وبحثت عن كلمـــات تقولها، ثم رفعت كأسها وبدأت تشـــرب منه، «هذا النبيذ حامض الطعم، لربما ظل مكشـــوفا لفترة زادت عن حدها، أليس لدينا زجاجة نبيذ لم تفتح بعـــد في مكان ما في الخزانة؟ لا، لا عليكِ من ذلك، لا تقاطعيني، مـــا أحاول قوله هو أن هناك القليل من الأشـــخاص ممن يأخذون وقتهم للفهم والاستماع، والدخول إلى نمط حياة شخص آخر، لقد خطر ببالي منذ أيام كم من المدهش أنكِ يا آنسة كلينغ تستطيعين كتابة اســـمي وكأنني أنا مـــن كتبته، إنها ســـمة توحي باهتمامك، اهتمامك بي وليس بأي شخص آخر، إنه أمر نادر الحدوث للغاية».

«ليس نادرا لتلك الدرجة»، قالت كاتري: «يا ماتس، قدّم الحلوى، إنها مسألة تتعلق بالملاحظة، ليس إلا، فأنتِ تلاحظين أنماطا معينة من العادات والسلوك، تلاحظين الناقص وغير المكتمل، وتقومين بتولي أمره، إنها مسألة خبرة، لا غير، قومي بعملك على أكمل وجه تستطيعينه، ثم انتظري وسترين النتائج».

«أنتظر وأرى ماذا؟»، قالت آنا، وقد كانت منزعجة.

«كيف ستجري الأمور»، أجابت كاتري، ناظرة إلى آنا مباشرة، وقد اصفرّت عيناها للغاية في تلك اللحظة، وتابعت ببطء شديد قائلة: «يا آنسة إميلين، إن الأشياء التي يقوم الناس بها بعضهم لبعض تعني القليل فقط؛ هي مجرد أفعال، لا غير، ما يهم هو دوافعهم، إلى أين يتجهون، وما الذي يسعون إليه».

وضعت آنا كأسها ونظرت إلى ماتس، ابتسم لها، فهو لم يكن يصغي للحديث.

«آنسة كلينغ»، قالت آنا: «إنك تقلقين بشأن أمور غريبة، عندما يقوم الأشخاص بعمل شيء لمساعدتكِ أو جعلكِ سعيدة، فهذا هو كل ما في الأمر.. ماذا جرى لزجاجة النبيذ؟ أحضري أي زجاجة تجدينها، وأحضري كؤوس والدي المفضلة، فهي في أعلى الخزانة على جهة اليمين، ولا تقاطعيني، فلدي ما أقوله»، انتظرت آنا بفارغ الصبر، وعندما مُلئت الكؤوس، أعلنت آنا سريعا وبشيء من الغضب، أنه بما أن الطابق العلوي غدا شاغرا، فسيكون ترتيبا عمليا للغاية أن تقوم كاتري وماتس بالانتقال إليه، لقد غاب عنها أن تطلب رفع الكؤوس نخبا، إذ نهضت عن الطاولة، وتمنّت لهما ليلة سعيدة، مشيرة إلى أن أي مناقشة أخرى في هذا الأمر يمكن أن تنتظر لليوم التالي، وطلبت من ماتس أن يغلق الموقد عندما تخمد النار تماما.

ومـــا إن ولجت آنا غرفتها حتى ســيطر عليها الذعر، وقفت في الباب وهي ترتجف بشدة، منتظرة، ولكن كاتري لم تأتِ، كان ينبغي أن تأتي، وأخيرا، تسللت آنا تحت الغطاء مختبئة من قرار لا رجعة فيه؛ ألا وهو أنها لن تكون وحيدة بعد الآن، لقد أحست بـــدفءٍ تجاوز كل الحدود، وخيّم صمت لوقت تجاوز كل الحدود، دفعـــت آنا بالأغطية عنها وقفزت من الســـرير، كانت الشـــرفة خالية، فـــي الردهة، تعثّرت بالكلب الذي لـــم تعتد على وجوده، وتمتمت معتذرة، وأخيرا وجدت نفسها خارجا على الثلج.

انغلق الباب بعنف من ورائها بســـبب الريـــح، وما إن تقدّمت بضـــع خطوات في الغابة حتى اجتاحها الشـــعور بالبرد، محذّرا إياها بلطـــف. توقفت، وقفت كاتري بهدوء عنـــد نافذة المطبخ، تنتظر، عادت آنا، وانغلق الباب من خلفها بشـــدة، وســـاد الهدوء للحظـــة طويلـــة، ثم صرخت آنـــا بصوت عال وغاضـــب للغاية: «يا آنســـة كلينغ! إن شـــعر كلبكِ يتساقط في كل مكان، عليكِ أن تمشطي شعره».

انتظـــرت كاتري حتى خطت آنا بعيدا، ومن ثمّ أخذت نفســـا عميقا، وتابعت غسل الأطباق بصمت.

12

تمت عملية الانتقال في شاحنة ليليبيري، وكانت العملية بمنتهى السهولة؛ بضعة صناديق من الكرتون وحقيبتان وطاولة صغيرة وخزانة للكتب.

«لا يوجد أي مشكلة»، قال ليليبيري: «فمن الناحية العملية، المكان بالجوار، وليس لكل قرية وسائل النقل الخاصة بها»، كان من الجيد سماعه يضحك. قامت كاتري بتنظيف الغرفة الواقعة فوق المتجر، وقد اعتراها نوع من الغضب الشديد، تلك الطريقة التي تنظف بها النساء عندما لا يستطعن التنفيس عما يجول في دواخلهن، كانت بذلك تمحو من ذاكرتها حديث الجيران المخجل عن الحسد والخدمات الصغيرة، وكانت تمحو كل أفكار الليالي المشؤومة، والأهم من ذلك كله، أنها قامت بمحو الممر الذي كان يتسكع فيه صاحب المتجر بذريعة ما، واقفا في يقظة تواقة، منتظرا إشارة ما تنبئه إذا ما كان بإمكانه المضي قدما في كرهه أو إذا ما كان ثمة موطئ قدم حقيرة لشهوته. غدت الغرفة نظيفة كعيادة طبية وعارية كجزيرة غسلتها الأمواج.

قام ليليبيري بتحميل الحقائب: «اركبي أيتها الساحرة الصغيرة»، خاطب كاتري قائلا: «فسندريلا في طريقها إلى

القلعـــة!». وعندما شـــغّل المحرك، صاح صاحـــب المتجر قائلا: «أبلغي تحياتي للآنســـة إميلين! أخبريها أنه سيأتيني بعض لحم الأرانـــب طازجا، حديـــث الذبح! خصيصا مـــن أجلها..». جرى أطفال القرية خلف الشـــاحنة لمســـافة قصيـــرة، وهم يصرخون ويرمون بكرات الثلج.

«هذا رد فعل مناسب»، قال ليليبيري مبتسما لكاتري: «فينبغي أن يكون ثمة هرج ومرج عندما يرتقي الناس في هذا العالم».

* * *

اتصلـــت آنا بصديقة طفولتها ســـيلفيا، التـــي كانت تقيم في المدينة، لم تســـتطع التفكير بشـــخص آخر لتتصـــل به الآن دون سابق إنذار..

«لم تتصلي منذ فترة طويلة»، أجابت ســـيلفيا بصوتها الرنان: «كيف الأمور حيث تسكنين في الغابة؟».

«بخير، كل شـــيء على ما يـــرام..»، كانت آنا تتنفس بصعوبة، قد يصلون في أية لحظة، حاولت ســـريعا ودون ترتيب أن تخبر صديقتها ما قد حدث؛ كاتري، وماتس، والكلب.. كل شيء يوشك أن يتغير، كل شيء..

«هل تعنين أنك ســـتقبلين بســـكّان يقيمون عنـــدك؟»، قالت سيلفيا: «من المؤكد أنكِ لست بحاجة لذلك، أعني، أنكِ ميسورة الحـــال، أليس كذلك؟ وبالمناســـبة، هل أنتِ منشـــغلة بأي عمل جديد، حكاية صغيرة جديدة؟».

لطالما شكّل اهتمام سيلفيا بعمل آنا أمرا مهمّا خلال جدالهما، ولكـــن ليس في هذه اللحظة. أجابت آنا بعنف أنه لم يســـبق لها العمل في فصل الشتاء، وهو ما ينبغي أن تعرفه سيلفيا، وعاودت

على عجل إخبارها عن كاتري، وهي تسترق النظر إلى الطريق من خلال نافذة الشرفة.

«يا إلهي»، قالت سيلفيا في لحظة صمت: «لكنك تبدين قلقة للغاية، هل أنتِ بخير؟».

«نعم، نعم، أنا بخير..».

بدأت صديقة آنا بوصف بعض التعديلات التي قامت بها في شقتها، وتحدثت عن جمعية الأربعاء للثقافة التي نشأت حديثا، والتي ينبغي على آنا أن تنضم إليها، وينبغي على آنا أيضا أن تأتي لزيارتها، فمن المهم أن يخرج المرء من عزلته، وقد كانت تدرك ذلك بما فيه الكفاية، عبر تلك السنوات الطويلة التي عاشتها كأرملة: «ينبغي على المرء ألا يكون وحيدا، فذلك يؤدي إلى الكثير من التفكير..».

«ولكنني لن أكون وحيدة!» قالت آنا: «هذا ما أحاول أن أقوله لكِ! سنكون أربعتنا معا، ألم تسمعيني؟ أربعتنا، إذا ما احتسبنا الكلب»، كانت شاحنة ليليبيري تقترب: «إنهم قادمون»، همست قائلة: «عليّ الذهاب..».

«حسنا، سنتحدث مرة أخرى، اعتني بنفسك إذن، وفكري مليًا قبل أن تقومي بفعل أي شيء متسرع، يجب أن تكوني شديدة الحذر ممن يقيمون معك، لقد سمعت الكثير من القصص، وكما قلتُ، تفضلي بزيارتي في عريني الصغير عندما يكون لديك الوقت لذلك».

«أجل، أجل، بالطبع.. إلى اللقاء، أستودعكِ الآن، إلى اللقاء..».

«إلى اللقاء، يا صغيرتي آنا».

كانوا قادمين من فوق التل. وقفت آنا قريبا من النافذة وراقبتهم يقتربون، كان قلبها قد بدأ يخفق دافعا إياها هكذا

للهــروب، لمجرد الفرار لأبعد بقعة ممكنة، يا لها من حماقة، لماذا تصرفــت بهذه الطريقة.. لم تكن لطيفة مع ســيلفيا، وهي التي أحبتها كثيرا وأُعجبت بها، ورفعت صوتها عليها، وضاق صدرها، على الرغم من أن ســيلفيا كانت تراعي مشــاعرها فقط، وقد تذكرت أن تســألها حتى عن عملها.. كان مــن الخطأ الاتصال بها، ولكنها شعرت بضرورة التحدث مع شخص تثق به للاستماع إليها، الاستماع باهتمام، وطرح الأسئلة، وربما أن يقول لها: «ذلك أمر رائع!» أو «يا عزيزتي آنا، يا لها من فكرة مثيرة! أنت تعرفين ببساطة ما تريدين وتسعين للحصول عليه؛ بهذه البساطة!».

* * *

صعد ماتس وآنا الدرج إلى الطابق الثاني، وردد ماتس قائلا: «هل تصدقين، يا آنسة؟ لم يكن قطّ لي غرفة خاصة بي من قبل».

«حقــا؟ يــا لــه مــن أمــر مدهــش، والآن، أظــن أن بإمكانك أن تأخــذ الغرفــة الزرقــاء إذا مــا أخــذت كاتــري الغرفــة الورديــة، لقــد كانــت رائجــة جــدا فــي عصرهــا».

وقفــا في البــاب وجــالا بنظريهمــا، لــم ينبس ببنت شــفة. وأخيرا قالت آنا: «ألم تعجبك الغرفة؟».

«إنها رائعة للغاية، ولكن أتعلمين، يا آنسة، إن حجمها أكبر من اللازم بالنسبة لي».

«كيف ذلك، أكبر من اللازم؟».

«أعني، لشــخص واحد، أنا لســت معتادا علــى غرفة بهذا الحجم».

شعرت آنا بالقلق، وأوضحت أنه لا توجد غرف أصغر حجما.

«هل أنت متأكدة، يا آنســة؟ عندما يبنــي الناس منازل بهذا

الحجم، تكون لديهم عادة بعض المساحات الصغيرة المتبقية، يخطئون في تخطيطهم، وينتهي بهم الأمر بوجود مساحات إضافية تحت السطح».

فكّرت آنا للحظة وقالت: «حسنا، لدينا غرفة الخادمة، ولكنها مليئة بالأغراض، ولطالما كانت شديدة البرودة».

توجها إلى غرفة الخادمة، وقد كانت حقا باردة للغاية، أثاث وأشياء، أو ما كان ذات يوم أشياء، مما هبّ ودبّ؛ تكدست كلها عشوائيا تجاه زاوية السقف، مزيج فوضوي تخلله بصيص ضوء شتوي قادم من النافذة في النهاية البعيدة للغرفة الطويلة والضيقة.

«لا بأس بهذه الغرفة»، قال ماتس: «إنها رائعة، أين أستطيع وضع كل هذه الأشياء؟».

«لا أعرف حقا.. هل أنت متأكد من أنك تود الإقامة في هذه الغرفة؟».

«بلى، ولكن أين أضع كل هذه الأشياء؟».

«أينما تريد، في أي مكان.. أعتقد أنني سأذهب للاستلقاء بعض الوقت»، بعثت تلك الغرفة الخوف في نفس آنا، فقد بدت لها مشؤومة وباعثة على الكآبة بشكل كبير، وعلى الرغم من ابتعادها عن تلك الغرفة، لكن الغرفة طاردتها، فقد جالت صور قديمة جدا في رأسها، صور للخادمة بيدا، التي كانت معهم في المنزل منذ كانت آنا طفلة صغيرة، وكانت تقيم دائما في تلك الغرفة المخيفة في الطابق العلوي. كانت بيدا، التي غدت تدريجيا كبيرة الحجم وتواقة للنوم، تنام كلما سنحت لها الفرصة؛ تغطي نفسها وتخلد للنوم هكذا. يا لشؤم هذه الصورة!

خطر ببالها، أتذكّر أنهما كانا يرسلانني إلى الطابق العلوي كلما احتاجا إليها، وفي كل مرة كنت أجدها نائمة هكذا، ماذا حدث لها؟ هل رحلت؟ هل كانت مريضة؟ لا أستطيع أن أتذكر، وكل ذلك الأثاث؛ من أين أُتِيَ به؟ لم يكن مألوفا لي، ولكن لا بد أنه كان في مكان ما، ولا بد أنه كان له أهمية في وقت ما، كذلك لا بد أنه كان ذا أهمية لشخص ما في وقت ما..

استلقت آنا في سريرها وحدّقت في السقف، كان ثمة إكليل صغير من الجص يحيط بالمصباح المثبت في السقف، وقد تكرر ذلك في شريط طويل حول حجرة نومها، أصغت إلى ما يجري حولها، كان يتم تحريك أشياء ثقيلة في الطابق العلوي، ويتم إلقاؤها محدثة جلجلة، كان هناك وقع خطوات تذهب وتجيء، وهنيهات صمت وتّرت حاسة السمع عندها إلى أقصى درجة، والآن، مرة أخرى، يتم تحريك شيء وإلقاؤه؛ لم يبق شيء على حاله في الطابق العلوي؛ لقد كان كل ذلك الماضي الذي كان يقبع فوق حجرة نوم آنا إميلين ويبعد ساكنا بُعد قبّة السماء البريئة في حالة من التحول العنيف. على أية حال، خطر ببال آنا، لكل منا نهجه في التعامل مع الأشياء كما يريدها، وسأخلد للنوم الآن، دفعت بالوسادة فوق رأسها، ولكن النوم لم يأتها.

* * *

«ولكن أين ذهبت كل تلك الأشياء؟ كيف وجدتِ مكانا لتخزينها؟».

«لم نجد مكانا لها»، قالت كاتري: «ألقينا بالكثير منها في الخارج على الجليد، وقام ليليبيري بأخذ ما تبقّى إلى المزاد في المدينة، سيحضر لك ما يحصل عليه من النقود إذا استطاع

بيعها، ولن يكون على الأغلب بالشيء الكثير».

«يا آنسة كلينغ؟، قالت آنا: «أأنتِ متأكدة من أنك لم تتصرفِي بشيء من الحرية الزائدة؟».

«قد يكون ذلك»، قالت كاتري: «ولكن فكري بالأمر، يا آنسة إميلين، ماذا كان سيحدث لو أننا عرضنا عليكِ كل قطعة من ذلك الأثاث المتهالك، كل قطعة من تلك الأشياء المحزنة، كل تلك الأشياء التافهة؟ لكنتِ وقفتِ هناك، وحاولتِ أن تقرري ما ينبغي أن يبقى أو ما ينبغي التخلص منه أو بيعه، أما الآن، فقد تم اتخاذ القرار وتسوية الأمر، أليس ذلك أمرا جيدا؟».

لاذت آنا بالصمت: «ربما»، قالت أخيرا: «ومع ذلك، كان تصرفا فيه جرأة مفرطة».

بعيدا عن المنزل، جثمت كومة داكنة من النفايات بانتظار ذوبان الجليد، وبدت كنصب تذكاري ينمّ عن عجز والديها الكامل عن التخلص مما تهالك من ممتلكاتهم، يا له من أمر لافت، خطر ببال آنا، سيذوب الجليد، وسيغرق كل شيء، في الأسفل هكذا ويختفي، إنها حركة جريئة، ومخزية تقريبا، يجب أن أخبر سيلفيا، خطر ببالها لاحقا أن تلك الأشياء قد لا تغرق، ليس كلها على الأقل، ربما ستطفو وترسو على شاطئ آخر، وسيجدها شخص ما ويتساءل: من أين جاءت؟ ولماذا؟ على أية حال، لم تكن غلطة آنا ولو حتى بأي شكل من الأشكال.

13

عاد السكون إلى بيت الأرانب، كان ماتس يتحرك بهدوء كشقيقته، ولم تكن آنا متأكدة قطّ ما إذا كان في المنزل، وعندما كانا يتقابلان مصادفة في المنزل، كان ماتس يتوقف للحظة ويبتسم، وينحني برأسه قبل أن يتابع السير؛ إيماءة تنمّ عن شهامته. انتاب آنا شعور ببعض من ذات الخجل الذي شعرت به كاتري تجاهه، لم تفكر بأي شيء لتقوله في هذه اللقاءات، وعلى أية حال، وجدت أنه من غير الضروري مضايقته بالتحيات التقليدية التي يتبادلها الناس على الدرج لكونهم يتقابلون بمحض المصادفة فقط. كان ماتس وآنا معا فقط في كتبهما، وأي مكان آخر كان يعدّ منطقة عازلة خاصة.

أحيانا كانت آنا تسمع دقّا في المنزل، ولكنها لم تكن تذهب للتحقق من ذلك، وكما هو الحال في ورشة القوارب، كان ماتس يعمل دون أن يجلب الانتباه ودون أن يُظهِرَ عمله، كان يتجول هكذا في المكان، ويلاحظ ما يحتاج إلى تصليح ويقوم بإصلاحه، لقد غدت أشياء كثيرة في بيت الأرانب بالية أو متهالكة؛ وهو أمر ليس بتلك الأهمية؛ إذ كان مجرد منزل قديم بدأت تظهر عليه علامات الزمن، مرّ بعض الوقت قبل أن تلاحظ آنا أن أحد الأبواب لم يعد يصدر صريرا، أو أن نافذة بدأت تفتح من جديد،

أو أن تيارا من الهواء قد اختفى، أو أن لمبة منسـية أضاءت من جديد؛ العديد من التفاصيل الصغيرة التي أذهلتها، وأسـعدتها المفاجآت. خطر ببال آنا، أنا أحب أن أفاجئ، عندما كنت يافعة، كانـوا يخفـون بيض عيد الفصح في كل أنحـاء المنزل كي أعثر عليه؛ بيـض صغير بألوان زاهية عليه بعـض الريش الأصفر.. كنت تدخلـين، تنظرين من حولك، ثم تبحثين في كل مكان، وقد بدا قليل من الريش الأصفر، ناتئا بما فيه الكفاية لملاحظته..

حاولت آنا أن تشـكر ماتس عندما كانا يحتسيان الشاي في المطبخ مسـاء، ولكنها أدركت سـريعا أن ذلك يسبب له الحرج، فتوقفـت عن ذلك، انبرى في قراءة كتبهما، وكل شـيء كان على ما يرام.

وخـلال تلك الفترة بالذات بدأت آنـا تدرك، بطريقة جديدة ومثيـرة للقلق، مـا كانت تفعله بوقتها وما لـم تكن تفعله، بدأت بمراقبة سـلوكها أكثر فأكثر مع كل يوم يمضي؛ تلك الأيام التي كانت تمـر غير آبهة بها لفترة طويلة جدا، عندما كانت آنا تقيم وحدهـا، لم تلاحظ كيف أنها كانت تدع سـاعات النهار تتوارى من خلال النوم، كانت تسـمح للنوم بالاقتراب، ناعما كالغشاوة، كالثلج؛ كانت تقرأ الجملة نفسـها مرارا وتكرارا حتى تختفي في الغشاوة، ولم يعد لها أي معنى، ولاحقا تستيقظ من النوم، لتجد الصفحة التي توقفت عندها، فتتابع القراءة وكأنها أضاعت بضع ثـوان، ليـس إلا، والآن فجأة، اتضح لآنا أنهـا قد نامت، ولفترة طويلـة إلى حدّ ما. لم يعرفها أحد، ولم يزعجها أحد، ولكن، مع ذلك، غدت الحاجة البسـيطة والمغرية للتواري في قيلولة شـيئا ممنوعا. كانت تسـتيقظ بداية، وتفتح عينيها، وتمسك بكتابها،

وتصغي. كان السكون مخيما بشكل كامل، ولكنها سمعت وقع أقدام شخص يسير في الطابق العلوي.

لم تعد آنا تأوي للفراش في وقت مبكر من المساء، إذ كان يبدو طبيعيا أن تتابع إيحاءات الظلمة والفطرة أكثر من متابعة الوقت حسب الساعة، والآن كانت تحاول أن تبقى مستيقظة. كانت تتحرك في غرفتها محدثة ضجة حتى لا يعتقد من في الطابق العلوي أنه قد غلبها النوم، وأخيرا عندما سمحت آنا لنفسها بأن تأوي للفراش، لم يأتها النوم، وبقيت مستيقظة، تصغي لما يدور حولها، أصبح للمنزل حياة سرية جديدة، وكان الإصغاء لأصواته الباهتة وغير المحددة كمحاولة الإصغاء إلى محادثة مهمة من مسافة بعيدة للغاية؛ تمييز كلمة من هنا وأخرى من هناك، ولكن دون فهم واضح للسياق إطلاقا.

وفي إحدى الأمسيات عندما لم تستطع آنا النوم، غدت منزعجة للغاية، فارتدت ثوبها وخفّها، وشقت طريقها إلى المطبخ طلبا لكأس من العصير وشطيرة، كان الكلب يجثم بجوار باب المطبخ، وتابعها بنظرته الصفراء، كان ذلك الحيوان الضخم يجثم بلا حراك كتمثال محركا عينيه فقط. «كن مؤدبا»، همست آنا، عندما قامت بانعطافتها المعهودة، كانت ثمة قواعد جديدة فيما يتعلق بالثلاجة، فقد كان كل شيء مغلّفا بالبلاستيك، فلم يكن ممكنا معرفة ما في الداخل دون إزالة التغليف.

وفي هذا الشأن، كان المطبخ برمته مطبخا جديدا، ما الذي تغير؟ هذا ما لم تستطع آنا أن تكتشفه، ولكن، على أية حال، لم يعد مطبخها، في الأيام الخوالي عندما كان كل شيء طبيعيا، كانت آنا إذا ما غشيها الجوع خلال الليل أحيانا تفتح علبة من

البـــازلاء على منضدة المطبخ وتتناولها باردة بالملعقة، وهي تتأمل بهدوء الظلمة في الفناء الخلفي، ومن ثمَّ تتناول ملعقة من المربى وتعود بهدوء إلى سريرها، أما الآن، فقد اختلف كل شيء.

وفي هذا المســـاء، على وقع رغبتها الأكيدة باحتساء العصير، أخرجت آنا زجاجة على عجل، كما لو كانت تفعل شيئا محظورا، وصبّــت العصير دون النظر إليه، فانســكب ســائل أحمر كثيف على المنضدة، وبالطبع كانت كاتري واقفة هناك، وكما هو الحال دائما، دخلت بصمت ووقفت تراقب ما كانت آنا تريد القيام به.

«أردت فقط بعض العصير»، شرحت آنا قائلة.

«انتظري، سأنظفها»، قالت آنا، أخذت كاتري خرقة، وغمرتها في السائل الأحمر، ثم عصرتها في المغسلة.

«دعيه»، انفجرت آنا قائلة: «ما أريده هو الماء، الماء وحسب!»، ثم فتحت الصنبور بعنف للغاية، فاندفع الماء على الأرضية.

قالت كاتري: «أليس من الأفضل وضع صينية بجوار سريرك أثناء الليل؟».

«كلا»، ردّت آنا: «لا أريد ما هو أفضل».

«ولكنكِ عندئذ لن تضطري للذهاب إلى المطبخ».

«يا آنســة كلينغ»، قالت آنا: «ربما أخبرتك كيف أن والدي لم يرغب قطّ بتوصيل الصحيفة له؛ كان يرغب بإحضارها بنفسه، فقــد كان يأتي بها كل يوم من المتجر ويقرؤها قبل أي شــخص آخــر، ألقي بتلك الخرقة في حاوية القمامة»، جلســت آنا على الطاولــة وكررت قائلة: «تخلّصي منها، نحن نرمي أي شــيء لم نعد نحتاج إليه».

«يا آنسة إميلين، أيزعجكِ وجودنا في الطابق العلوي؟».

«لا، إطلاقا، فأنا لا أستطيع سماعكما، أنتما تتحركان بخفة دائما».

ما زالت كاتري عند المغسلة، أخرجت كاتري علبة السجائر من جيبها، لكنها فطنت لنفسها، فأعادتها إلى جيبها.

«أوه، هيا دخّني»، قالت آنا بحدة: «دخّني، فوالدي كان يدخن السيجار».

عندما أشعلت كاتري سيجارتها، قالت ببطء محاولة إيجاد الكلمات المناسبة: «يا آنسة إميلين، قد يمكننا النظر إلى هذا الأمر من الناحية العملية البحتة، لقد عقدنا اتفاقا، وقد استفدنا أنا وماتس كثيرا من هذا الاتفاق، ولكن إذا ما فكرت في الأمر، فأنتِ استفدت أيضا، إنه ضرب من المقايضة، تبادل مصالح متشابهة من حيث الأهمية، فخدمات معينة تحتسب في ضوء فوائد معينة، أعرف أن هناك نكسات، ولكنها ستقلّ بمرور الوقت، علينا أن نتصالح مع هذا الأمر، لنلبي متطلبات عقدٍ أبرمناه إراديا، ألا يمكننا تقبّله هكذا كعقد يتضمن حقوقا وواجباتٍ؟ .

«تبادل مصالح متشابهة من حيث الأهمية»، كررت آنا مبالغة في تعجّبها، وهي تنظر إلى السقف.

«إن العقد»، تابعت كاتري قائلة جدّيا: «إن العقد أكثر روعة مما تظنين، إنه لا يُلزم وحسب، لقد لاحظت أن الالتزام بعقد بالنسبة لبعض الناس يبعث على الراحة، فهو يحررهم من التردد والارتباك، إذ لا يبقى لهم حرية الاختيار، يتفق الطرفان على تقاسم المسؤوليات وتحملها، إنه اتفاق ملزم، أو هكذا ينبغي أن يكون، حيث يحاول الناس على الأقل أن يكونوا منصفين».

«أنـــا متأكدة من أنكِ على حق»، قالت آنا: «فأنتِ تحاولين أن تكوني منصفة»، وضعت آنا ذراعيها على الطاولة لتريح ظهرها، لقد أحست بالنعاس يتسلل إليها.

«الإنصـــاف؟» تابعت كاتري حديثهـــا: «لا يعرف أحد منا أبدا على الإطلاق أننا حقا نجحنا في أن نكون منصفين، ولكننا نبذل قصارى جهدنا على كل حال..».

«أنـــتِ الآن تلقين عظـــة»، قاطعتها آنا، وقـــد انتصبت: «أنت تعلمين كل شيء، يا عزيزتي الآنســـة كلينغ، ولكن أتعلمين؟ نحن نقوم بترتيب الأمور بهذه الطريقة أو تلك، وفي المحصلة الأخيرة، نحن مازلنا نترك ذيولنا خلفنا».

شرعت كاتري بالضحك.

«اعتادت أمي أن تســـتخدم هذا التعبيـــر»، قالت آنا: «أحيانا عندمـــا يملها الشـــرح، والآن أظن أنني ســـأذهب للنوم»، لكنها استدارت وهي في الباب: «يا آنسة كلينغ، ثمة أمر طالما أردت أن أسألك عنه، ألا تنزعجين وتتحدثين بتهور أبدا؟».

«أنزعجُ»، قالت كاتري: «ولكنني لا أتحدث بتهور أبدا».

لقد اعتادت آنا على أن يكون منزلها مأهولا بشكل غير مرئي، فعلى مـــدى حياتها كانت قد اعتادت على الأشـــياء إلى أن يبدو خطرها قـــد اختفى، وها هي تفعل ذلـــك الآن مرة أخرى، وبعد فترة قصيرة لم تعد تســـمع وقع خطـــوات فوقها، إذ لم يكن ذلك أكثر من سماعها صوت الريح والمطر وساعة الحائط في الشرفة، ولكن الشـــيء الوحيد الذي لم تســـتطع الاعتياد عليه هو الكلب، كانـــت تلتف من حوله، وبمجرد أن تتجاوزه، كانت تهمس للحيوان الساكن، معربة عن رأيها الراسخ والثابت في موضوع ما.

أطلقت آنا اسما على الكلب لأن الأشياء مجهولة الاسم لديها ميــل إلى النمو، لقد جردت ذلك الحيوان من تهديده بتســميتها إياه «تيــدي»، أدركت آنا جيدا أنه لن يســمح لها أن تتدخل في التدريــب الصارم لذلــك الكلب، لذا لم يكن بــوازع اللطف أنها كانت تلقي إليه ببقايا الطعام ســرا، «كُلْ»، كانت تهمس، «سريعا يا تيــدي الصغير، كُلْ قبل أن تأتي..»، ولكن أحيانا عندما كانت تمــر متجاوزة نظرته الصفراء المراقبــة، كانت تهمس: «ابقَ على بساطك، أيها الوحش الضخم والمرعب!».

14

«ســيلفيا»، صرخت آنا: «هل هذه أنتِ؟ كنت أحاول الاتصال بك مــرة تلو الأخرى ولكنك دائما خــارج المنزل.. هل هذا وقت غير مناسب؟ هل لديك ضيوف».

«ثمة ســيدات الجمعية فقط»، قالت ســيلفيا: «كما تعرفين، اليوم هو الأربعاء».

«أي أربعاء..؟».

«يوم الجمعية الثقافية»، قالت سيلفيا، بوضوح مبالغ فيه.

«صحيح، بالطبع.. أيمكنني الاتصال فيما بعد؟».

«اتصلي متى شئت، إذ يسرّني دائما سماع أخبارك».

«ســيلفيا، هل يمكنك المجيء إلــى هنا؟ إنني أعني ذلك، هلا جئت لزيارتي..؟».

«طبعــا، يمكنني ذلك»، ردّت ســيلفيا قائلــة: «يبدو فقط أنه لــم تتح لنا الفرصة لعمل ذلك قــط، ولكن ينبغي حقا أن نتقابل ونتحدث عن الأيام الخوالي، لنرى كيف ستسير الأمور، لنتحدّث مع بعضنا مرة أخرى، حســنا؟». وقفت آنا بجانب الهاتف لفترة طويلة وحملقت بالجرف الثلجي عبر النافذة دون أن تراه، تملّكها حــزن عظيم، من المحزن أن يكون لــك صديقة أعجبت بها جدا رغم عدم رؤيتك لها إلا نادرا وقمت بإخبارها أشــياء كثيرة كان

يفترض أن تبقيها في ســريرتك، فســيلفيا كانت الوحيدة التي تتحــدث آنا معهــا حول عملهــا؛ كانت، دون تحفظــات، تخلط المســرات وخيبات الأمل القاسية معا، تتحدث عن كل شيء، وكل ذلك الآن كان مع ســيلفيا، تم إعلامها به بطيش عبر السنين من خلال كتلة ضخمة من الأسرار.

كان ينبغــي ألا أتصل بها، خطر ببال آنا، ولكنها هي الوحيدة التي تعرفني.

15

وضع إيميل من هشولم حفره الجليدية لصيد السمك بضع مئات من الأمتار من أكواخ الأسماك على الشاطئ، أحيانا كانت زوجته تساعده في فحص الشباك، وأحيانا كان ماتس يقوم بذلك، كان هو من يسحب الشبك دائما، في حين كان من معه يقوم برمي الصنارة في الماء، لم يكن في الشباك الكثير عادة، سمكة أو اثنتان لإطعامهما فقط. ذهب في أحد الأيام مع ماتس، وكان المطر يسقط متجمدا والجو دافئ إلى حدّ ما، كسّر إيميل الجليد الليلي من حول حواف الحفرة وقام ماتس بجرف ما بداخلها إلى أن أصبح الماء صافيا.

«حسنا، الآن»، قال إيميل: «لديّ مفاجأة صغيرة لك، هذه المرة يمكنك أن تسحب الشبكة وأقوم أنا برمي الصنارة، ينبغي أن تكون قادرا على عمل ذلك»، لم يبدُ أن الفتى استوعب ذلك، لذا استمر إيميل بالشرح: «أعني أنني أقدّر أنك قادر على سحب الشبكة على الأقل، ظننت أنك تحب أن تكون محل ثقة أخيرا».

أدرك ماتس تلك الإساءة ببطء فقط، وقد جعلها لطفه تجرح بدرجة عالية. خطا إيميل بعيدا إلى نهاية الشبكة الأخرى حيث اختفى تقريبا بالمطر المتجمد، ومن ثم عاد ووقف مستعدا،

ينتظر وهو يمسك بخيط الصنارة، وأخيرا صرخ قائلا: «حسنا، هل ستبقى واقفا هناك هكذا؟ ألا تستطيع حتى القيام بسحب الشبكة؟».

ثــم ازداد الحنق داخل ماتس، حنــق نادر لا أحد يعرف عنه غير كاتري، أمســك بنهاية حبل الشــبكة وشــعر بثقل الشبكة ووقف ساكنا وحنقه في حالة من الغليان.

«حسنا»، هدر إيميل، وقد بدأ أيضا يفقد أعصابه: «اسحب! هل أنت أبله هذه القرية حقا؟».

أخرج ماتس مُدْيَتَهُ وقطع الحبل إلى نصفين، فغرقت الشبكة تحت الجليد، واســتدار وسار تجاه الشــاطئ، متجاوزا الأكواخ وورشــة القوارب، وقــد عبر الطريق، وصعد التــل، وولج غابة الصنوبــر خلف بيت الأرانب. كان الثلج في حالة الذوبان، وفي كل خطــوة كان يغرق في حذائه الشــتوي، ومن ثم علقت فردة من حذائه وخرجت قدمه مرتدية جوربا فقط، أخذ يلعن حظه وغرس مُدْيَتَهُ في جذع شــجرة، حيث علقت وبقيت مغروســة فيها.

مــرّ ماتــس بآنا في الردهــة، وتوقف للحظــة، وقد انحنى برأسه احتراما كما يفعل عادة، فعلت آنا الشيء نفسه، وعندما عاود مسيره، ذكّرت آنا أن بعض الكتب الجديدة قد وصلت من المدينة.

كان ثمــة الكثير من اللغط حول قطع الشــبكة، قال إيميل: «إن ذلك الفتى المسكين مخبول، إنه لطيف، ولكنه مخبول، وهذا واضح وضوح الشمس، سمحت له أن يسحب الشباك لأن ذلك عمل ممتع لفتى إن كان هناك ســمك، ولكنــه وقف في مكانه

هكذا مساء، فانزعجت قليلا وصرخت، ذلك كل ما حصل».

«لا أعرف كيف تجرؤ أن يكون معك في ورشة القوارب»، علّقت فرو سندبلوم قائلة، وتناغم معها صاحب المجر بقوله إنه اعتمادا على ما يعرفونه، فقد يقوم ذلك الغبي بتكسير القوارب، وستسفك الدماء، ولن يكون ثمة مجال لاحتواء المشكلة.

«اهدؤوا»، قال إدوارد ليليبيري: «لو كان الأمر بيد ماتس، لتعامل مع تلك القوارب بكفوف من المخمل، فهو يعشقها إلى هذا الحد، ومهما كانت المهمة التي توكل له، فهو يقوم بها وعلى أحسن وجه، على الرغم من كونه بطيئا نوعا ما، ولكنك تستطيع أن توكل له أي مهمة بغض النظر عن صغرها. أريد زجاجة من الجعة».

«على أية حال»، تمتمت فرو سندبلوم: «كلاهما من سلالة سيئة، قد لا يكون رأيي مهمّا في هذا الأمر ولكن.. أعني، كيف تجرؤ على ذلك؟».

«أوه، أظن أنني أجرؤ على ذلك»، قال ليليبيري: «سأراهن على ذلك الفتى، وعلى شقيقته، قد لا يكون من السهل التعامل معها دائما، ولكنها ربّت ذلك الفتى، إنها تمتلك الشجاعة وهي محل ثقة، ما الذي يجعلكم محتدّين إلى هذا الحد؟».

«أوه، نعم، حقا إنها تعرف ما تقوم به»، قالت سندبلوم: «على أية حال، فهما الآن يعيشون بالنعيم، فلدى العانس إميلين مال وفير».

«اصمتي، أيتها المرأة المزعجة»، قال ليليبيري فورا، أمسك شقيقه بذراعه محذرا، في حين قفزت فرو سندبلوم عن الطاولة بشكل مفاجئ أدى لانقلاب فنجان قهوتها.

«هنـــا، كما ترين»، قال ليليبيري: «أيّ شـــخص معرض لفقد أعصابه وفقدان السيطرة على نفسه، ولكن ذلك أفضل من أن يكون خسيسا، لذا، دعوني أقُلْ لكم شيئا، لكم جميعا، ويمكنكم أن تنشروا ذلك، إن كاتري وماتس أناس محل ثقة، وعلى الرغم مما يقومان بفعله، فلديهما أسبابهما المعقولة».

ثم غادر المتجر.

16

«إنه لمن الكياسة يا آنسـة كلينغ أن تفتحي رسائلي البريدية، ولكن ثمة طبع غريب عندي قد تعتبرينه شـيئا طفوليا، ألا وهو حبي لفتح الظروف البريدية، وهذا يشبه قصّي أوراقا في كتاب أو تقشيري حبة برتقال، فهو يختلف كل مرة أقوم بها».

تفحّصت كاتري آنا بحواجب مرفوعة شكّلت خطا وحيدا فوق عينيها تقريبا: «أتفهّـم ذلك»، ردت قائلة: «ولكنني أفتحها فقط لمعرفة ما يمكن التخلص منه».

«ولكن يا عزيزتي آنسة كلينغ»، ردّت آنا.

«أنتِ تعرفين، الأشياء التي ينبغي ألا تكترثي بها، كالإعلانات والطلبات، أولئك الذين يريدون المال ويحاولون خداعك».

«لكن كيف لك أن تعرفي ذلك».

«أعرف ذلك، أشـعر به، أسـتطيع أن أشم الزيف من مسافة بعيدة وأتخلص من كل شيء يفوح برائحته».

لم تعرف آنا ماذا تقول، وأخيرا أشـارت إلى أن الكياسـة قد تزيد عن حدّها أحيانا، لسـوء الحـظ، لقد وقع المحظور، ولكن في المستقبل ينبغي على كاتري أن تضع الرسائل المرفوضة جانبا ليتم الاطلاع عليها فيما بعد.

«أين؟».

«مثلا، في مكان ما في المخزن العلوي..».

«حسنا»، قالت كاتري وابتسمت: «في مكان ما في المخزن العلوي، وها هي فواتير المتجر، لقد تفحّصتها بدقة، إن صاحب المتجر يخدعك باستمرار، ليست بمبالغ كبيرة؛ خمسون بنسا هنا ومارك هناك، ولكنه يفعل ذلك».

«صاحب المتجر؟ هذا مستحيل»، نظرت آنا إلى الفواتير الملطخة بالحبر الأزرق باشمئزاز ودفعتها جانبا: «بلى، بلى، أتذكر الآن، لقد أخبرتني أنه رجل خبيث، شيء ما حول ذلك الكبد الذي أرسله.. خمسون بنسا هنا وخمسون بنسا هناك.. ولكن لماذا هو بالذات، لمَ ينبغي أن يكون هو خبيثا على وجه الخصوص؟».

«يا آنسة إميلين، هذا شيء مهم، أنا متأكدة من أنه قد قام بخداعك، عن قصد، ربما منذ البداية، ومع مرور الوقت، يصبح مبلغا لا يستهان به».

«خبيث؟» كررت آنا: «في حين كان دائما لطيفا ومؤدبا..؟».

«الناس ذوو وجهين».

«ولكن لماذا على صاحب المتجر أن يكرهني؟» قالت آنا بدهشة بريئة: «إنني من النوع الذي يحبه الناس بسهولة..».

أصرت كاتري على رأيها: «دعينا نتحدث عن الفواتير لا غير، صدّقيني، إن الأرقام لا تتطابق، أستطيع حسابها، نحن بحاجة إلى مناقشة هذا الأمر».

«لكن لماذا؟ هل هذا ضروري؟ ألا تريدين حقا أن تعاقبيه، ليس إلا؟».

علقت كاتري بسرعة أن لآنا أن تتصرف كما تشاء، بالطبع،

ولكنها بحاجة إلى معرفة ما كان يجري.

«بلى، بلى»، قالت آنا بهدوء: «ثمة أشياء كثيرة على المرء أن يقلق حولها»، ثم أضافت على سبيل الإيضاح: «فهي تتكرر هنا وهناك.. ألا تتفقين..؟».

* * *

جلست آنا إميلين على مكتبها ترد على رسائل الأطفال الصغار، وقد رتّبت رسائلهم في ثلاث رزم، كانت الرزمة «أ» من الأطفال الصغار جدا الذين عبّروا عن إعجابهم عبر الصور في رسومات للأرانب، وإذا ما كان ثمة رسالة مكتوبة، تكون أم الطفل من كتبتها. أما الرزمة «ب» فضمت الطلبات التي غالبا ما كانت مستعجلة، وبخاصة تلك التي تتعلق بأعياد الميلاد. وأخيرا الرزمة «ج» التي سمتها آنا رزمة الحالات المحزنة، وهي تتطلب الكثير من العناية والتركيز، ولكن ثلاثتها، «أ» و«ب» و«ج»، تريد أن تعرف كيف تمت تغطية الأرانب كلها بالورود.

كان عند آنا العديد من التفسيرات حول فرو الأرانب المغطى بالورود، وكانت جميعها مقنعة بمجرد كتابة بداية جيدة وعدم الإغراق في التفكير. أما اليوم، ولأول مرة، عجزت آنا عن تقديم ولو سبب واحد؛ سواء كان شاعريا أو عقلانيا أو هزليا، لقد كانت الورود ظاهرة عشوائية، وفجأة بدت سخيفة ودون أية جاذبية. في النهاية، اكتفت برسم الأرانب فقط، أرنب على كل رسالة، ومن ثم غطّتها بالورود، وكان هذا كل ما كانت تستطيع فعله. لقد انتظرت طويلا، كانت مشمئزة من نفسها تماما، وتملكها الغضب أخيرا، فربطت الحزم الثلاث «أ» و«ب» و«ج»، بشرائط مطاطية وذهبت بها إلى كاتري في الطابق العلوي.

بـــدت غرفة الضيـــوف الوردية كما كانت فـــي الماضي، لكنها اتســـمت بالغرابة، إذ ظهرت أكثر اتساعا وفراغا، كانت النافذة مفتوحـــة جزئيا، والغرفة بـــاردة في الداخل منهـــا تفوح رائحة السجائر الكريهة. كانت كاتري جالسة منشغلة بالحبك، فأزاحت عملها جانبا وانتصبت واقفة.

«هل يعجبك هذا المكان؟» سألت آنا على وجه السرعة.

«نعم، كثيرا جدا».

خطت آنا نحو النافذة، ثم توقفت، واســـتدارت، وانتصبت في منتصف الغرفة حاملة الرسائل في يدها.

«هل تريدنني أن أغلق النافذة؟» قالت كاتري.

«لا، يا آنسة كلينغ، تلك الأشياء التي ذكرتها عن الاتفاقيات.. إن للطرفين حقوقـــا وعليهم واجبات، انظري إلى هذه»، وضعت آنا الرســـائل على الطاولة: «إن الأطفال يسألون سؤالا بعد آخر، هل من واجبي أن أرد عليهم؟ ما الحقوق التي أمتلكها؟».

«ألا تردي عليهم»، أجابت كاتري.

«لا أستطيع فعل ذلك».

«لكن ليس لديك أي اتفاقية معهم».

«ماذا تعنين بذلك، (اتفاقية)..؟».

«أعني وعـــدا، لقد كتبت لكل طفل مـــرة واحدة فقط، أليس كذلك؟ ولم تعطي أية وعود».

«حسنا، في الواقع..».

«تعنين أنك كتبت لبعضهم أكثر من مرة؟».

«ماذا يفترض أن أفعل؟ فهم يكتبون ويكتبون، ويعتقدون أنني صديقتهم..؟».

«إذن، فهــو وعد»، ذهبت كاتري إلــى النافذة وأغلقتها: «أنتِ ترتعشين، اجلسي يا آنسة إميلين، سأعطيك بطّانية».

«لا أريد واحدة، وأنا لم أعطِ أية وعود، لا أعرف ماذا تقصدين».

«ولكن انظري إلى الأمر هكذا، لقد أخذت شيئا على عاتقك، وهذا يعني أن عليك واجبا، أليس كذلك؟ بالتحديد أنك ستفعلين كل ما في وسعك».

ما زالت آنا منتصبة في منتصف الغرفة، بدأت تصفّر بطريقة خلت من النغمة، صفير لم يكد يُسمع بين أسنانها، وفجأة قالت، غاضبة: «ما هذا؟».

«إنني أحِبكُ غطاء».

«آه، بالطبــع، فالجميع يحِبكُ هنا، أتســاءل كم من الأســرّة موجود في هذه القرية..».

اســتمرت كاتري بالحديث: «الاتفاقيات فــي جوهرها تتعلق بالإنصــاف..»، فقاطعتها آنا قائلة: «لقد ســمعت ذلك من قبل، فالطرفان يســاهمان ويجنيان الفائدة، ما علاقة ذلك بأطفالي؟ وما الذي سأجنيه؟».

«طبعات جديدة، الشهرة».

«يا آنسة كلينغ» قالت بوضوح: «أنا أتمتع بالشهرة».

«أو الصداقــة، إن أردتِ، إن كانت الصداقة تســليك ولديك الوقت لها».

جمعت آنا رســائلها: «لــم يكن هذا البتة مــا أردت الحديث عنــه»، ردت قائلة: «اتركيهــا». قالت كاتري: «دعينــي أقرَأها، سأحاول فهم الأمر».

* * *

في مســـاء ذلك اليوم، جلســـتا متقابلتين في الردهة وكاتري تشـــرح الأمور: «لا أعتقد أن الأمر في غاية الصعوبة، فالأطفال يطلبون بعض الأشـــياء ولديهم بعض ما يقولونه، وما يريدونه هو شيء واحد في جوهره، يمكنك كتابة رسالة موحدة يتم تصويرها طبق الأصل وعندما تريدين تنويعهـــا، يمكنك إضافة ملاحظة، وبالطبع توقيعك الشخصي».

«ويمكنك توقيعها عني»، قالت آنا على عجل.

«نعم، إن ذلك ســـيوفّر الوقـــت، أو يمكنك أن تختمي توقيعك الشخصي».

عدّلت آنا جلســـتها: «صورة طبق الأصل، رسالة موحدة؟ هذا ليس من أســـلوبي، وماذا ســـيحدث عندما يكتب أفـــراد العائلة الواحدة لي، أو الأطفال الذين يدرسون معا في الفصل الدراسي، ثم يقارنون رســـائلهم؟ أنا لا أســـتطيع أن أتذكر كل الأسماء وكل العناوين».

«يمكن لفهرس البطاقات الكرتونية أن يحل المشـــكلة، وينبغي أن توظفي سكرتيرة في نهاية المطاف».

«سكرتيرة!» كررت آنا: «سكرتيرة! أهذا رأيك، يا آنسة كلينغ؟ وماذا، على ســـبيل المثال، ســـتكتب للحالات المحزنة؟ على فكرة، لقد خلطـــت رزمي الثلاث «أ» و«ب» و«ج».. والآن اختلط الحابل بالنابل.. كيف لسكرتيرة أن ترد على (عزيزتي آنسة إميلين، ماذا ينبغـــي عليّ مع والديّ؟) أو (لماذا تتم دعوة الجميع إلا أنا؟)، وما إلى ذلك من أمور مشـــابهة.. إنهم يســـألونني أنا، وليس غيري، وطبعا كل واحد منهم حزين بطريقته الخاصة، ويبدو لي أن لهم الحق في ذلك!».

«أنـــا لســـت متأكدة من ذلـــك»، قالت كاتـــري بصوت جاف: «يا آنســـة إميلين، لقـــد قرأتها كلها بدقة، وأســـتطيع القول إنه يمكـــن إدراج الرزم الثلاث تحت عنـــوان واحد لا غير، فجميعها تريد شـــيئا -العطف مثلا- وتريده سريعا قدر الإمكان لأنه أمر مستعجل، ويمكن اعتبار هذه الرسائل في حقيقة الأمر محاولات صغيرة على سبيل الابتزاز، لا، لا تقاطعيني، هذه الرسائل ركيكة وتعج بالأخطاء الإملائية، لذا فأنتِ تتأثرين بها وتشعرين بتأنيب الضميـــر، ولكنهـــم ســـيتعلمون ويصبحون أكثر كفـــاءة، وعندما يكبرون، ســـيكتب العديد منهم مثل تلك الرسائل التي ساعدتك بالتخلص منها».

«أعرف ذلك، نرميها خارجا على الجليد».

«لا، هل نسيت الأمر، نلقيها في المخزن العلوي».

بعـــد لحظة من الصمت، أشـــارت آنا بعدوانيـــة أنه لا يمكن خداع الأطفال، واسترخت في جلستها، وجعلت تصفّر ببطء بين أســـنانها. انتصبت كاتري وأشـــعلت النور: «أنتِ تعطفين عليهم لكونهم صغارا» علّقت قائلة: «لكن الشـــكل غير مهم، لقد تعلمت تدريجيـــا أن الجميع، الجميع بالحرف الواحد وبغض النظر عن أحجامهم، ينشدون شيئا ما، الناس يجرون وراء مصالحهم، وهذا شـــيء طبيعي، بالطبع يصبحون أكثر مهارة مع تقدمهم بالعمر، ولا يعودون بلا أســـلحة هكذا، ولكن الهـــدف لا يتغير، أطفالك ببســـاطة لـــم يتعلموا بعد كيف تســـير الأمور، وهذا ما نســـميه البراءة».

«وما الذي يســـعى إليه ماتس؟» قالت آنا بحرارة: «هل لك أن تخبريني؟»، واستمرت بالحديث دون انتظار الرد: «هذا ليس ما

أردت الحديث عنه؛ موضوعي هو كيف أجيب عن سؤالهم: كيف كان للأرانب أن تغطى بالورود؟».

«أخبريهم أن هذا ســـر، أخبريهم أنهم ليســوا بحاجة لمعرفة ذلك».

«بالضبط»، قالت آنا: «أنتِ محقة، هذا أحســن ما قلته هذه الليلة، فهم ليســوا بحاجة لمعرفــة ذلك، وأنا لا أريد معرفة ذلك أيضا، وجدنا الحل!».

17

كان لدى آنا إميلين طلب شـــراء من بائع الكتب في البلدة لم يســـتوف بعد، ومن فترة لأخرى كان يرســـل لها الكتب مع ليليبيري؛ قصص المغامرات، كتب عن البحار السبعة ومناطق لا يمكـــن النفاذ منها ورحلات استكشـــافية قـــام بها رجال فضوليون يتحلون بالشـــجاعة أيام كانـــت لا تزال هناك بقع بيضـــاء غير معروفة على خريطة العالم، أحيانا كان يرســـل قصصـــا كلاســـيكية وأحيانا أخـــرى قصصا للفتيـــان، لكن الموضـــوع العام الذي اختارته العانـــس إميلين لم يتغير قط، وشـــكّلت تلك الكتب حلقة الوصل في الصداقة التي نشـــأت بين ماتس وآنا.

كانـــت الكتب تأتي ملفوفة بورق بنـــي، والعنوان مخطوطا بالأصفر، لم تفتحها كاتـــري قط، وكانت تضعها على طاولة المطبخ، لا غير، كانت آنا وماتس يخرجان الكتب من لفافاتها في المســـاء. ماتـــس يختار أولا، وكان خيـــاره دائما كتابا عن البحـــر، وبعد قراءته يذهب الكتاب إلـــى آنا، وفيما بعد كانا يتحدثـــان عنه. كان ذلك طقســـا متبعا، يقـــولان القليل عن نفسيهما أو عن الأشياء التي كانت تحدث حولهما، يتحدثان فقط عن الأشـــخاص التي كانـــت تعيش في كتبهما في عالم

من الفروسية الراسخة والعدالة المطلقة، لم يتحدث ماتس قط عن قاربه، ولكنه غالبا ما تحدث عن القوارب بشكل عام.

* * *

استطاعت آنا أن تنسى الرسائل غير الضرورية التي بدأت تدريجيا تتكوّم في جزء من المخزن العلوي، ولكن في إحدى الليالي لمعت تلك الرسائل في أحلامها، رأت في منامها أنها تحمل تلك الرسائل التي لم تقرأ خارجا إلى الجليد، بعيدا عن تلك الكومة المعتمة من الأشياء التي كانت عزيزة يوما ما وتم التخلص منها، وهي الآن ملقاة في كومة بلا رحمة، وتقوم بالتخلص منها هناك؛ تلك الطلبات من مراسلين مجهولي الهوية، أسرارهم، اقتراحاتهم الذكية، قامت بإلقائها هكذا، وتطايرت بعيدا في عاصفة من الرسائل، عاصفة بريدية لا نهاية ولا حدود لها، علت إلى السماء في عتاب عظيم مرة واحدة، فاستيقظت آنا من حلمها وقفزت من سريرها وقد غرقت في العرق وتأنيب الضمير.

خرجت إلى المطبخ، وهو المكان الأكثر أمانا في المنزل، ما زالت الكتب الجديدة جاثمة على الطاولة، تلمع بألوان المغامرات المغرية، فاحت منها رائحة زكية، رفعت آنا كتابا تلو الآخر إلى خدّها واستنشقت الرائحة اللحظية لكل كتاب جديد، وهي فريدة من نوعها، فتحت الصفحات المقصوصة بخفة، محدثة حفيفا عند لمسها لأول مرة، وتفحّصت الصور الفاقعة والعاصفة، وهي صورة لغير المرجح كما تصوَّره الفنان على كل حال، لم تعتقد آنا أن هذا الفنان بالذات قد جرّب قط المرور بعاصفة حقيقية أو جال تائها في إحدى الغابات، لذلك، خطر

ببالها أنه يجعل الأمر أكثر سوءا وضراوة لأنه لا يعرفه، أشك في أن جول فيرن قد قام بالترحال قط.. أما أنا، فأرسم ما أرى، لست بحاجة لأتوق لأي شيء، قلّبت آنا الصفحة تلو الأخرى وتفحّصت كل صورة، ورويدا، بدأ قلقها يتلاشى.

كانت فاتورة بائع الكتب لا تزال على الطاولة، طوت آنا الفاتورة مرة تلو الأخرى، وأمسكت بالورقة في قبضتها وأخذت تفكر: هذه فاتورة لن يكون بمقدور كاتري رؤيتها أبدا، بطريقة ما من المؤكد أنها ستكتشف أن بائع الكتب يغشني أيضا.

* * *

بعد حادث الشبكة مع إيميل من جزيرة هوشولم، توقف ماتس عن القيام بأعمال غريبة في القرية، ولكنه استمر بالذهاب إلى ورشة ليليبيري لصناعة القوارب كالعادة، هناك لم يكن يتحدث أحد عن أي شيء سوى القوارب، إذا ما تحدثوا أصلا، عندما كانوا ينتهون من يومهم، كان ماتس يذهب إلى المنزل للتأمل في تصميماته لقاربه المنتظر، وقد كانت الجدران في غرفته زرقاء كبقية المنزل، ولكنها الآن قد بهتت لتصبح بلون غير واضح يشبه شريط جلد أزرق قديما أو نبتة جريس في معشب، لقد لطّخت الرطوبة وبيّضت الغرفة الضيقة بسقفها ذات الزوايا، واعتقد ماتس أن الجدران والسقف شابهت سماء تتطاير فيه غيوم عاصفة.

شعر بسعادة غامرة، لم يكن هناك أي شيء غير ضروري في غرفته، كانت النافذة صغيرة تطل على الغابات، وكانت أشجار الراتينج الضخمة والقديمة تملأ المشهد مثل جدار معتم مرقط بالثلج، كان وكأنه وحيد في ورشة القوارب، كانت كاتري قد

وضعت أحـد الأغطية التي حبكتها على السـرير، الغطاء أزرق أيضا، لكنه فاتح الزرقة، مثل إشـارة ضوء، وكالعادة، نام ماتس دون أن يرى أحلاما ولم يصحُ من نومه خلال الليل قط.

لـم تكـن كاتري ترى ماتـس إلا قليلا، في أوقـات الوجبات فقـط في معظم الأحيان، كانت صلة القرابة الصامتة التي طالما جمعتهما قد فقدت بعدها الزماني والمكاني، أحيانا كانت كاتري تذهب إلى المطبخ لقضاء بعض الحاجات، وقد اعتاد ماتس وآنا أن يجلسا مقابل بعضهما على طاولة المطبخ وينهمكا في القراءة، فكانـا دائما يتوقفان عن القراءة عندما تكون كاتري في الغرفة، ولم يعودا يسألانها فيما إذا كانت تريد كأسا من الشاي.

18

كانت آنا منزعجة جدا، لقد أمضت يوما كاملا تحاول وضع رسالة موحدة، رسالة مثالية يمكنها أن تجيب وتعلّم وتواسي وتناسب كل طفل، ولكن كيفما حاولت، كانت الرسالة تزداد تكلّفا.

«انظري إلى هذه»، قالت: «انظري إليها فقط، يا آنسة كلينغ! هل ترين الآن أنني كنت محقة؟».

قرأت كاتري الرسالة وقالت إنها غير واضحة وتفشل في الإيحاء، بشكل لبق، وإن المراسلات المستقبلية غير مرغوب بها.

«ولكن ألا تدركين أن الفكرة برمتها مستحيلة؟ فكل طفل بحاجة إلى رسالة شخصية».

«أدرك ذلك، عليك فقط أن تقومي بذلك بطريقتك الخاصة».

ارتدت آنا نظارتها، ثم نزعتها من جديد ولمّعتها لفترة طويلة، قالت: «لا أعرف ماذا جرى لي، فأنا لم أعد قادرة على كتابة الرسائل، اختفى ذلك الإحساس».

«ولكن ألم تقومي بكتابة الرسائل لسنوات طويلة؟ أعني، أنك كاتبة».

«هذا كل ما تعرفينه!» قالت آنا: «إن الناشر هو من كان يكتب النص، أنا أرسم الصور، الصور فقط! هل رأيتها من قبل؟».

«لا»، قالت كاتري، انتظرت ولكن آنا لم تقل شيئا: «يا آنسة

إميلين، لدي اقتراح، هل لك أن تعطيني بعض الرسائل وتدعيني أرد عليها؟ على سبيل التجربة؟».

«لا تستطيعين الكتابة»، قالت آنا على وجه السرعة، ثم هزّت كتفيها وانتصبت من فوق الطاولة وغادرت الغرفة.

* * *

كانــت كاتري تســتطيع تقليد الأصــوات واختيــار الكلمات وأسلوب الكلام لشخص آخر بذات السهولة التي كانت تقلد فيها التواقيع الشــخصية، تلك موهبة راســخة الجذور، كانت أحيانا تُسلي ماتس بتقليد أصوات الجيران، ولكن لم يرق له ذلك.

«إن واقعيتها تفوق الخيال»، كان يعلّق قائلا.

«كيف ذلك؟».

«إنني أرى كم هي بغيضة».

توقفت كاتري عن القيام بلعبة غابت عنها المتعة، ولكن بالنسبة إلى رسائل آنا، فقد وُضعت موهبتها في مكانها، بسهولة ومهارة، اســتطاعت إعــادة صياغة تردد آنــا ودماثتها الركيكــة التائهة فــي تفاصيل صغيرة لا حاجة لها، تحــتَ الدماثة ما زال هناك ومضــات من الأنانيــة، ولكن وقت التردد في عــدم القدرة على قــول «لا» قد ولى، لم يعد ثمة أنصاف وعود تغري يافعا ليصبح صديقا بالمراســلة، فقد ذيلت كاتري رسائلها لهم بكلمة وداعية صادقــة لا يمكن أن تفــوت إلا طفلا في غايــة الغباء أو طفلا ينقصه الذكاء، قرأت آنا ما كتبت كاتري وأصابتها الدهشة، كان صوتهــا مع أنه ليس صوتها، صورة مشــوهة كانت تقترب رويدا رويدا مع كل رسالة تقرؤها إلى أن طرحت الرزمة بكاملها جانبا وجلست صامتة لفترة طويلة.

من الأشـــياء التي كانت تميز كاتـــري أن الصمت لم يكن قط مصدرا للارتياح بالنسبة لها، انتظرت، ليس إلا، وأخيرا، أخذت آنا الرســـائل مرة أخرى وجعلت تبحث فيها، مركّزة نظرها على كاتري، وقالت: «هذا ليس صحيحا! أنتِ لســـت آنا هنا! إذا كان طفـــل غاضب من والديه، ليس من المواســـاة القول إنه قد يكون للوالدين مشكلاتهما الخاصة بهما، هذه مواساة غير مناسبة! من غير الممكن أن أكتب شيئا من هذا القبيل، فينبغي على الوالدين أن يتمتعا بالقـــوة والكمال، وإلا فلن يؤمن بهما الطفل، إن عليك إصلاح الأمر».

اتصفـــت ردة فعل كاتـــري بالعنـــف فجأة: «ولكـــن إلى متى يستطيعون الاعتماد على شيء لا يمكن الاعتماد عليه؟ إلى متى نستطيع أن نخدع هؤلاء الأطفال للإيمان بشيء ينبغي ألا يؤمنوا بـــه؟ عليهم أن يتعلموا مبكرا، وإلا فلن يتمكنوا أبدا من الاعتماد على أنفسهم».

«لقـــد اعتمدت على نفســـي»، قالت آنا بمـــرارة: «وقد قمت بعمل جيد جدا، انظري إلى هذه: تقولين إن كل طفل، عاجلا أم آجلا، ســـيغضب من والديه وهو أمر طبيعي، هل تظنين أنه كان باستطاعتي كتابة ذلك؟».

«لا، كان ذلك خطأ منك، أنا لست أنتِ في ذلك المكان».

«كلا، ذلك ينقصه الكياسة، إذا شعر جميع الأطفال بالغضب، فذلك الطفل على وجه الخصوص لا يتمتع بالأهمية الكافية، إنه مثل بقية الأطفال، ليس إلا».

«حسنا، ربما، ولكنهم يتحركون في مجموعات»، قالت كاتري: «فهم يبذلون كل ما في وسعهم ليكونوا متشابهين، إنه ضرب من

المواساة لهم أن جميع الآخرين يتصرفون بالطريقة نفسها».

«ولكن لبعضهم صفاته الفردية!».

«هذا محتمل، ولكنهم بحاجة للاختباء في المجموعة أكثر فأكثر، هم يعرفون أنهم إن كانوا مختلفين، فسيطردون من المجموعة».

«وماذا عن هذا الطفل؟» استمرت آنا بالحديث: «أين القيل والقال؟ قد حاول أن يرسم أرنبا -من الواضح عدم تمتعه بالموهبة البتة- لذلك تستطيعين هنا أن تكتبي شيئا مثل (لقد علقت رسمتك فوق مكتبي).. وهذه التي تتعلم التزلج، واسم قطتها توبسي، يمكنك أن تملئي الصفحة كاملة تقريبا عن التزلج والقطة إن كنت تكتبين بنفس طويل، أنتِ لا تستخدمين المادة المتوفرة».

«يا آنسة إميلين»، قالت كاتري: «أنتِ في الحقيقة تهزلين هنا، كيف كان لك أن تخفي ذلك؟».

لم تكن تصغي لما قالت كاتري، وضعت يدها على رزمة الرسائل وقالت: «المزيد من العطف! المزيد من الكتابة! تحدّثي عن قطتي، صفيها، تحدّثي عنها..».

«ولكنك لا تملكين قطة».

«هذا غير مهم، جوهر القضية أن نرسل لهم رسالة لطيفة.. عليك أن تتعلمي كيف تقومين بذلك، ولكنني أتساءل إن كنت تستطيعين ذلك، أكاد أظن أنك لا تحبينهم».

هزّت كاتري كتفيها وابتسمت ابتسامتها الذئبية السريعة: «ولا أنتِ»، ردّت قائلة.

ارتفع احمرار آنا المزعج إلى خدّيها، ووضعت نهاية لتلك

المحادثة: «ما أعتقد به غير مهم، لكنهم بحاجة لأن يؤمنوا بي، أن يعرفوا أنني لا يمكن أن أخدعهم أبدا، والآن أنا أشعر بالتعب».

* * *

آوه، يا آنا إميلين، إن الشيء الوحيد الذي تكترثين به هو ضميرك الخاص، هذا ما تعتزين به، أنتِ كذابة فاتنة يا عزيزتي، يكتب أحد الأطفال «أحبك، وأنا أوفر المال لآتي وأعيش معك ومع الأرانب»، وأنت تجيبين «يا للروعة، أهلا وسهلا بك»، مع أنها كذبة، فالوعود الناتجة عن تأنيب الضمير لا تسمن ولا تغني من جوع.. أنتِ لا تستطيعين الاختباء، في نهاية المطاف، لن يكون بمقدورك حتى تسهيل الأمر على نفسك بعدم جرأتك على قول «لا»، بإيهام نفسك أن كل شخص في المحصّلة الأخيرة لطيف ويمكن إبقاؤه على مسافة من خلال الوعود أو المال.. أنتِ لا تعرفين شيئا عن لعبة الإنصاف! أنتِ خصم صعب، ينبغي إيصال الحقيقة عبر فلِّ الحديد، ولكن لا أحد يمكنه دق المسامير في الفراش!

* * *

أدى الاستغناء عن كتابة رسائل للأطفال إلى حدوث فجوة غير متوقعة في يوم آنا الاعتيادي، والذي أصبح سهلا وخاويا ويصعب ملؤه، ولكنها استمرت بإضافة توقيعها الجميل وبرسم أرنب في نهاية كل رد تضعه كاتري أمامها. في أحد الأيام، عندما كانت آنا متعبة، ارتكبت كاتري هفوة، فقد وقّعت الرسائل ورسمت الأرانب بنفسها، لقد تم تصويرها من الخلف، وهي جاثمة في العشب، مما جعل الأمر أكثر سهولة، ومع ذلك، فإن أرانب كاتري رُسمت بجرأة وعدم اكتراث، نظرت آنا إلى الصور

ولم تتبس ببنت شـفة، ولكن نظرتها وشــت ببرودة تعادل برودة الثلج المتهافت خارج المنزل، وتوقفت كاتري عن رسم الأرانب.

* * *

لقد اتصلت آنا بسيلفيا بضع مرات، ولكن لم يكن هناك رد.

19

مــا زال الناس يأتون إلى كاتري من وقت لآخر طلبا للنصيحة في مشــكلات مســتعصية، ولكن ذلــك كان نــادر الحدوث، لم يحبــذوا الذهاب إلى بيت الأرانب فــي أمور تخصهم، فهذا كان يجعل أمورهم الخاصة ظاهرة للعيان إلى حد ما، وبالطبع كانت كاتــري مَن تفتح الباب عندما يدق الجرس، ولكن العانس إميلين كانت تهرع من خلفهــا مثل طائر مرعوب وتنظر من فوق كتفها، متســائلة عمّا يكون الأمر، وفيما إذا كان عليها أن تصنع قهوة أو ربما شايا، وكأن الأمور على رأسها. عندما كانوا يصعدون الدرج إلى غرفة كاتري، كان المشــهد يبدو مخجلا، مثل التسلل لطلب النصيحــة من عرّافــة، وكانت تلك تقريبا هــي الفترة التي بدأ الأطفال يصرخون بلقب «الســاحرة» كلمــا مرت كاتري؛ لا أحد يعرف من أين جاءتهم تلك الفكرة، فالأطفال يشــمون الأشــياء الصغيرة في الهواء، كالكلاب الصغيــرة، كانوا يلوذون بالصمت عندما تمر كاتري، ومن ثم، وبصوت واحد ونبرة موحدة، يبدؤون ترنيمتهم.

في هذه المرة دخلت إلــى المتجر، انتظر الكلب خارجا والتزم الأطفال بالهدوء.

سأل صاحب المتجر عن الأوضاع في بيت الأرانب.

«بخير، شكرا»، ردت كاتري.

«إذن الآنسة إميلين بخير؟ هل كتبت تلك العجوز وصيّتها؟».

كانـــا وحدهما في المتجر، كانت كاتـــري تبحث على الرفوف، وسألت إن كان عنده خبز مصطلى، من النوع الطريِّ.

«لا، هل فقدت أسنانها؟ أو أعصابها؟».

قالت كاتري: «احترس، إني أحذرك».

ولكنـــه لم يتوقف: «إن الآخرين هم من يملكون الأســـنان في هذه الأيام»، قذفها تجاهها مباشرة، «أليس كذلك؟».

استدارت كاتري سريعا، وكانت عيناها مفتوحتين ومصفرّتين جدا: «كن حذرا» قالت: «إن الكلب ينفّذ كل ما آمره به، وله أسنان كما ترى».

دفعـــت ثمن الأغراض، واتجهت إلى المنـــزل برفقة كلبها، من خلفها اســـتمر الأطفال بغناء تلك الترنيمة البغيضة. نزل ماتس ماشـــيا عبر شـــارع القرية، وتوقف فجأة عندما ســـمع الأطفال يترنمون: «الساحرة، الساحرة»، فابيضّ وجهه.

«دعك منهم»، قال ماتس: «لن يؤذوك».

ولكن شـــقيقها ســـار ببطء تجاه الأطفال ويـــداه تتدليان إلى أسفل، ولكنهما مفتوحتان وكأنهما مستعدتان للإمساك بالأطفال، فهرب أولئك بصمت.

«دعـــك منهم»، قالت كاتري مرة أخرى: «أنت تعرف أنه ينبغي ألا تفقد أعصابك، لا حاجة لذلك، أنا لا أدع أيّ شيء يزعجني».

* * *

في ذلك المســـاء جاء ليليبيـــري إلى بيت الأرانـــب، وأراد أن يتحدّث مع كاتري عـــن خلاف له مع صاحب المتجر، فذهبا إلى غرفتها في الطابق العلوي.

«إن الأمر يتعلق بالشاحنة»، قال ليليبيري: «فهو يدفع تكلفة الوقود، ويمنحني خصما على ما أشتريه من المتجر، ولكنني أريد زيادة الأجر، سألت السائقين في البلدة وعلمت أنهم يحصلون على أجر أعلى، لكنه يخبرني بأنه سيستخدم شخصا آخر لقيادة الشاحنة إذا ما أصررت على زيادة الأجر».

«هل ثمة أشخاص آخرون في القرية يمكن أن يقوموا بهذا العمل؟».

«نعم، ثمة شخص أو شخصان، وهما مستعدان لتقاضي أجر أقل لأنهما يظنان أنه عمل ممتع».

«كم قيمة الخصم الذي تأخذه؟ وكم أجرك؟».

أخرج ليليبيري ورقة وأعطاها لها: «هذا ما أحصل عليه، وهذا ما أطالب به، ولكنه لن يتنازل».

قالت كاتري: «ثمة شيء قد لا تعرفه، إنه لا يدفع تكلفة البنزين، الحكومة هي من تقوم بذلك لقاء سحب حاويات الوقود من رصيف السمك إلى المنارة، لكنها لا تعرف أن الرحلة تستغرق دقيقتين فقط، وهي لا تعرف أنه يحصل مخصصات أخرى من مكتب البريد رغم أنه يسحب بضائعه في شاحنة البريد، لقد زوّدهم بمعلومات خاطئة، ويمكنهم تجريده من رخصه إذا ما أرادوا ذلك».

لم ينبس ليليبيري ببنت شفة لفترة ليست بالقصيرة، ثم سأل بحذر كيف يمكن لكاتري أن تكون متأكدة إلى هذا الحد؟

«لقد كنت أقوم بالحسابات في المتجر لفترة طويلة إلى حد ما».

«يا للعجب»، قال ليليبيري ولاذ بالصمت مرة أخرى.

علق أخيرا أن ذلك سيكون من قبيل الابتزاز تقريبا، قد يكون صاحب المتجر مخادعا، ولكن لا يمكن للمرء أن يذهب إلى السلطات واشيا؛ إنه أمر غير وارد.

«افعل ما شئت، دعه يعرف أنك تعرف ما يجري وحسب، سيرفع راتبك».

«حسنا، إن كان هذا رأيك، ولكنه ليس بشيء أحبذ فعله، شكرا لك على كل حال».

عندما غادر ليليبيري، استمرت كاتري في الحبك، لفّ السكون التام المنزل، كانت كاتري تحبك بسرعة دون النظر إلى العمل الذي يشغل يديها، كان الحبك وسيلة لإراحة أفكارها، ولكن الأفكار جاءتها على كل حال، الواحدة تلو الأخرى، إلى أن انحنت فجأة تحت وطأة فكرة عنيدة أثارت فيها الرعب، فقد احتاجت أن تتحدث مع ليليبيري الآن، وعلى الفور، هرعت إلى الردهة وارتدت معطفها، وأشارت للكلب بأن يتبعها، كان الظلام قد غشي المكان، لقد نسيت المصباح وهي في عجلة من أمرها، ولكنها لم تشأ أن تعود لتحضره.

كان الطريق المختصر إلى منزل الإخوة ليلبيزغ غير مطروق، ومرة تلو الأخرى كانت تصطدم بالأشجار، وتتوقف لبرهة، ومن ثم تشق طريقها ويداها ممدودتان أمامها، بدأت تشم رائحة مزرعة الأرانب التي يملكونها قبل أن ترى نافذة المنزل عبر الأشجار، عكس ذلك المربع المضاء ضوءا خافتا على الثلج، ربما كانوا يتناولون العشاء، كان بإمكانها الانتظار حتى الصباح؛ لم تتصرف حسب الأصول، ولكنها هنا الآن، ولا بأس في ذلك،

تركت كاتري حذاءها على الشـــرفة، فتح إدوارد ليليبيري الباب، وكان إخوته يتناولون وجبتهم المسائية.

«ثمة شـــيء أردت أن أقوله»، قالت كاتـــري: «لن يأخذ الأمر طويلا، سأنتظر».

«لا حاجـــة للانتظار»، قال ليلبيزغ: «لن تتأثر وجبتي، لنذهب إلى الردهة الصغيرة».

كانت الردهة شديدة البرودة، وكان الإخوة ينامون جميعهم في الغرفة الكبيرة، لم تـــرد أن تجلس: «لقد كنت مخطئة»، أوضحت بسرعة وقسوة: «إن راتبك طبيعي، والخصم الذي تحصل عليه على الطعـــام يعتبر عاليا تقريبا، لربمـــا غشّ بعض الناس هنا وهناك، ولكنه لم يغشّك، لذا، أتراجع عما قلته لك، لم أكن منصفة».

شعر إدوارد ليليبيري بالحرج، عرض عليها فنجانا من القهوة، لكنهـــا ردّت بالنفـــي، وقبل أن تغادر، قالت: «تذكّر شـــيئا واحدا فقط: إن اســـتمرارك بقبول شيء ما لا يعني الاستسلام له، تابع مراقبتـــه، ومهما كانت النتيجة، فأنت ما زلت الرابح، لأنك تحب قيادة الشاحنة، وهو لا يعرف ذلك».

ضايقت رائحة الأرانب القوية كاتري وهي خارجة إلى الساحة، لقـــد قامت بما يتوجب القيام به، ربما لـــن يثق بها ليليبيري من الآن فصاعدا، وهذا شـــيء ســـيئ للغاية، فأولئك الإخوة هم من ســـتوكل لهم صناعة قارب شقيقها، وســـيكون عليها طلب ذلك قريبـــا إذا ما أريد له أن يكـــون جاهزا بحلول الصيف، ليس ثمة أحد يستطيع أن يقنع ليليبيري بمال لم يتبلور بعد، أو بوعد امرأة وضعـــت ثقتها على المحك بفقدانها الطريق الصالح الذي خطّته بشق الأنفس.

20

دخل الشتاء مرحلة جديدة، كان الشاطئ ساكنا، وقد حفرت الريـــاح بقعا بلورية بين قطاعات الثلج الممتدة على الجليد في الخارج، كان هناك الكثير من الصيد عبر الجليد، وكانت تظهر العربة الثلجية لإيميل من جزيرة هوشلوم بين حين وآخر وهي متوجهـــة إلى الحفر الجليدية البعيدة، وزوجته على مزلاج من خلفه. تقلصت الأجراف الثلجية وأصبحت هشة، ولكن الجليد ما زال قويا، حتى فـــي الخليج وحول الرؤوس البحرية، ويوما بعد يوم، بدأ الجو يعتدل.

وفي صباح أحد الأيام، نزلت آنا إلى رصيف السمك ونظرت عبر الجليد علّها ترى كـــوم الأثاث الضخم الذي كانت كاتري قد رمته ليبتلعه الجليد، ولكن الضوء القادم من السماء أعشى بصرهـــا ولم تر شـــيئا، أتى صوت الدقّ من ورشـــة القوارب؛ رجلان يدقان في إيقاع منتظم كان يتوقف متزامنا ثم يبدأ من جديد. جلســـت آنا على صندوق وأغمضت عينيها تحت أشعة الشمس.

«يـــوم جميل»، قالت كاتري من خلفها: «لقد نســـيت نظارتك الشمسية».

شكرتها آنا وحشت النظارة في جيبها.

«وقد وصل البريد، رسالة أخرى من شركة المواد البلاستيكية».

تصلب ظهر آنا وأغمضت عينيها بإحكام أكثر، وأخيرا ذكرت أن الشمس بدأت تنعم بالدفء، وجعلت تصفّر بنعومة لنفسها. وقفت كاتري في مكانها لبرهة قبل أن تعود إلى بيت الأرانب.

* * *

استطاعت آنا أن تنسى شركة المواد البلاستيكية مع أشياء أخرى كثيرة، وقد ألقت ما كانت تدعوه الظروف البنّية المطبوعة التي لم تزيّن بالورود قط ظلالا على حياتها لسنوات كثيرة زادت عن حدّها، وفي أغلب الأوقات، كانت آنا تكتفي بشكرهم على اهتمامهم وعلى استخدامهم الرائع لصور أرانبها، وتعبّر لهم عن قبولها لشروطهم ممتنة، ولكن أحيانا كان لهم طلبات صعبة التحقيق تستلزم البحث عن معلومات؛ حقائق لم تستطع آنا إيجادها في ذاكرتها أو في أدراج خزانتها، ومن ثم يدفعها يأسها الجبان إلى أن تضع تلك الرسائل الصعبة في الدرج لدراستها في المستقبل فتتمكن بذلك من نسيانها نوعا ما.

وطبعا كان على شركة المواد البلاستيكية اتباع الأسلوب نفسه، لقد كانوا قد كتبوا قبل أسابيع عدة يطلبون نسَخا من كل العقود التي تم توقيعها فيما يخص الأرانب، كانت آنا في طريقها إلى الخزانة حين همّت كاتري بطرق السجّاد خارجا في الساحة. توقفت آنا والرسالة في يدها، ثم عادت أدراجها وقرأت الرسالة مرات عدة، ولكنها لم تتمكن من إيجاد أي شيء قد تكون أساءت فهمه، وفي النهاية، فتحت عشوائيا أدراجا عدة في خزانتها وكان كل واحد منها يعجّ بالرسائل

والأوراق غير المفهومة، فبدا من الطبيعي جدا إغلاقها من جديد والتخفي خلف كتاب ما.

ولكن في الصباح التالي، سيطرت عليها صحوة ضمير جديدة، واشتعلت أحرف عبارة «بأقصى سرعة» من خلال أظرف رسائل شركة المواد البلاستيكية، وعلى عجل كي لا تعطي مجالا لتغيير رأيها، أفرغت آنا أدراجا عدة على سريرها، وبدأت تبحث بدقة عبر الرسائل، وأدركت سريعا أن عليها أن تصنّفها في رزم مختلفة. لم يتسع السرير لكل هذا، إذ بدأت الرسائل تتساقط على الأرضية ويختلط الحابل بالنابل، كان عليها الاستمرار بالفرز على السجادة، وقد كان من الاستحالة أن تتذكر كيفية التمييز بينها، لذا كانت تضع الرسائل في غير مكانها الصحيح باستمرار، وبدأ الألم يغزو ظهرها، ومع اقتراب وقت الظهيرة، ذهبت تنشد كاتري.

«انظري إلى هذه الفوضى التي سبّبوها لي»، قالت: «يريدون أن يطّلعوا على كل عقودي! كيف لي أن أعرف أين هي الآن؟ بالإضافة إلى ذلك، فإن الرسائل التي تعود لوالدي ووالدتي اختلطت برسائلي الآن، وكذلك كل كروت عيد الميلاد وكل فاتورة منذ القرن التاسع عشر!».

«هل ثمة المزيد من هذه؟».

«إن الخزانة كلها ممتلئة بها، والأشياء التي اعتقدت أنني لن أحتاج إليها موجودة في الجزء العلوي، أو ربما في الوسط..».

«وهل هم في عجلة من أمرهم؟».

«نعم».

«عليهم الانتظار»، قالت كاتري: «سيستغرق هذا بعض الوقت، ولكنني أجيد ترتيب الأشياء».

حمل ماتس الأشياء كلها إلى غرفة كاتري، فقد غدت الخزانة خاوية، كان الأمر بمثابة هزيمـــة كبرى لآنا، ولكن الارتياح الذي شعرت به كان أعظم من ذلك.

* * *

بخفة ودهشة متزايدة، بدأت كاتري ترتب الأمور عبر طوفان من الفوضى يمكن أن يأتي به شـــخص يعوزه الانتباه والخبرة إذا مـــا أعطي وقتا كافيا، قرأت كاتري من هنا وهناك وبدأت تتوقع الأســـوأ، ولكن عليها أن تجد العقود فقط الآن، وعندما وجدتها، رأت أنـــه لا يمكـــن أن تريها لأحد، فلا يمكن إقناع أي شـــخص عاقل بعرض شـــروط أفضل لآنا، إن تبـــين لديه كيف أنها كانت ضحية للغش بشكل سافر، وقد شرحت كاتري هذا الأمر لآنا.

«ولكنهم ينتظرون الآن»، ردت آنا معترضة، لقد كانت في غاية القلق.

«عليهم أن ينتظروا، ســـنكتب ونخبرهم أننـــا نتوقع عرضهم بأسرع ما يمكن».

«ولكن ماذا نقول لهم عن العقود؟ قد نقول إننا فقدناها؟».

«العقود لا تفقد، لمَ ينبغي أن نكذب؟ لن نقول شيئا عنها».

* * *

عندئذ بدأت الملفّات البنّية تأتي إلى المنزل، لقد طلبتها كاتري من البلدة، توقفت عن القيام بالحبك، ومســـاء بعد مساء وبدقة متناهية كانت تتفحص رســـائل العمل التي تلقتها آنا، كانت غير مؤرخة، وكانت الصفحـــات التي لم ترقم قط موجودة في أدراج مختلفة، بصبر وشـــيء يشـــبه غريزة كلب صيد، تمكنت كاتري من فهم معظمها، فعبر مســـيرة حياتها، كان لديها حاجة ماســـة

للوضوح ولوضع كل شيء في مكانه، وقد منحها التعامل مع رسائل آنا إميلين شعورا بتحقيق ذلك بهدوء، فمع مرور الوقت، أصبح لدى كاتري صورة واضحة إلى حد ما عما كان يحدث خلال فترة طويلة جدا، وبدأت تجري حساباتها، قامت بجمع المبالغ التي فقدتها آنا إميلين بسذاجة جنائية تقريبا أو ببساطة من خلال عدم الاكتراث والكسل، يمكن أن يعزى بعضها إلى عدم القدرة على الرفض أو إلى نوع من الضمير الاجتماعي، ولكن كان ذلك أقل مما تتوقعه، وفي معظم تلك الحالات، لم تعر آنا الأمر الاهتمام وحسب. دوّنت كاتري المبالغ المفقودة في دفتر أسود.

«كيف تجري الأمور؟» سألت آنا وهي واقفة في الباب: «يا عزيزتي آنسة كاتري، أظن أنني كنت غير مبالية بعض الشيء..».

«نعم، لسوء الحظ، لقد عقدت اتفاقات طائشة جدا، وليس ثمة الكثير مما يمكن إنقاذه»، وبينما استمرت كاتري بالحديث عن النسب المئوية والحدود الأدنى المكفولة، وقفت آنا بصمت كئيب أمام صف الملفّات البنّية الذي حمل كل واحد منها ملصقا مربعا مكتوبا بخطها الجميل يبيّن محتويات الملف. لم تكن مصغية، فقد جعلتها الملفات تشعر بالكآبة، كان الأمر كأن كل ما قامت أو ما لم تقم به قد تم تصنيفه فجأة وعرضه بترتيب فوضوي أمام الجميع للنظر به والحط من قدره.

فجأة قاطعتها كاتري وقالت: «توقفي عن الصفير».

«هل كنت أصفّر؟».

«بلى، يا آنسة آنا، فأنت تصفّرين كل الوقت، أرجوك ألا تفعلي ذلك، على كل حال، كما قلت، بما أن لديك هذه الملفات الآن،

سيكون الأمر أكثر سهولة، فيمكنك أن تجدي ما تريدينه مباشرة والحصول على صورة واضحة عن الموقف».

وجّهت آنا نظرة طويلة لكاتري وقالت: «الموقف..».

«موقف عملك التجاري»، قالت كاتري بتأن ولطف: «اتفاقاتك، ما قلته وما قاله الطرف الآخر، فعلى سبيل المثال، أنتِ بحاجة لمعرفة النسبة التي حصلت عليها في المرة الأخيرة إذا أردت أن تطلبي زيادتها، أليس كذلك؟».

«ما تلك الأشياء التي تبقينها على الأرضية؟»، سألت آنا فجأة.

«إني أحبكها معا على شكل غطاء، أحاول أن أنسق الألوان مع بعضها».

«أوه، هكذا إذن، تنسقين الألوان مع بعضها»، أخذت آنا أحد المربعات المحبوكة عن الأرضية وتفحّصته مليا، استدارت وقالت بفظاظة: «إنه لأمر رائع أن تقوم كاتري بترتيب مراسلاتها، إذ إن بإمكانهما الآن أن يجدا أي شيء، هب أنهما يريدان ذلك، وهو أمر أملِت ألا يكون ضروريا، فإذا ما أخذنا كل شيء بعين الاعتبار، فهذا أمر طواه الزمن».

«هذا صحيح»، قالت كاتري بصرامة: «طواه الزمن، ولكن ما طواه الزمن سيعيده الزمن كذلك إذا لم يتم استدراكه»، توقفت لبرهة، ثم سألت: «يا آنا، هل تثقين بي؟».

«ليس تماما»، قالت آنا بعذوبة.

بدأت كاتري بالضحك.

«هل تعرفين، يا كاتري»؟ قالت آنا، وقد استدارت: «نوعا ما، فإنني أستهويك أكثر عندما تضحكين مقارنة بعندما تبتسمين،

هــذا الغطاء قطعة رائعة، ولكن اللــون الأخضر ليس في مكانه المناسب، الأخضر لون صعب للغاية، والآن أظن أن القيام بنزهة فــي محلها، لمَ لا تأتين بالكلب تيدي وتمتّعينه بشــيء من الهواء الطلق؟».

تجهّم وجه كاتــري مرة أخــرى: «كلا»، ردت كاتري: «أنتِ لا تصلحين لذلــك الكلب، فهو لا يذهــب إلا بصحبتي أو بصحبة ماتس».

هــزّت آنا كتفيها وعلّقت، بــازدراء مفاجئ، أن اهتمام كاتري بالمــال بدا مبالغا فيه إلى حد ما، ففي أوســاط عائلتها، لم يكن المال موضوعا مناسبا للنقاش.

«حقــا؟» قالت كاتــري، خرجــت الكلمة من فمهــا كصفعة: «لا تقولي ذلك! موضوع غير مناســب؟» غدت شاحبة، وتقدمت خطوة ينقصها الثقة نحو آنا.

«مــا الأمر؟» قالت آنا، متراجعة إلى الوراء: «هل أنتِ على ما يرام؟».

«لا، لســت على ما يرام، أنا أشــعر بالغثيــان حقا عندما أرى كيف أنك ترمين المال هكذا دون ســبب على الإطلاق، فما ترمينه وتحتقرينــه بشــكل كامل هو ببســاطة إمكانيات مســتقبلية، ألا تفهمين ذلك؟ إمكانية أن تشعري بدرجة عالية من الأمان بحيث لا تفكرين بالمال، إمكانية أن تعطي بسخاء، إمكانية أن تقدمي أفكارا جديدة لا يمكــن أن تنمو دون المال. في غياب المال، يضيق تفكير المرء، يصيبه الذبول! أنتِ لا تملكين الحق بالســماح لهم بخداعك بهذه الطريقة..». كانت كاتري تتحدث بصوت هادئ للغاية؛ صوت جديد مرعب، وقد توقفتْ الآن، طال الصمت وغدا مقلقا.

«أنا لا أفهم ذلك»، قالت آنا.

«كلا، أنتِ لا تفهمينه».

«تبدين شاحبة جدا، هل ثمة ما أستطيع فعله..؟».

«نعم، ثمة شيء تستطيعين فعله»، قالت كاتري: «يمكنك أن توكلي إليّ إدارة أعمالك، أنا أعرف كيف أديرها، أؤكد لك ذلك، باستطاعتي أن أضاعف دخلك»، عندما ساد الصمت مرة أخرى، أضافت قائلة: «أنا آسفة، لقد تجاوزت حدود الكلام».

«فعلا»، قالت آنا: «ولكن يبدو أنك تشعرين بالتحسّن»، كانت تتحدث بصوت والدتها، ذلك الصوت الخيّر والمتغطرس الذي مضى منذ زمن بعيد: «يا عزيزتي كاتري، يمكنك القيام بما تريدين، ولكن ينبغي ألا تساورك فكرة أنه ينقصني الأمان أو الكرم، أما عن أفكاري، فأؤكد لك أنها مستقلة عن دخلي». وجّهت آنا إيماءة صغيرة لكاتري، مجرد انثناء بسيط في الرقبة، وغادرت الغرفة، شعرت بالتعب فجأة خلال صعودها الدرج، وكان عليها التوقف للحظة، ثم مرّت تلك الحالة.

«أي تهور هذا؟» همست آنا بازدراء: «تهور؟ من كاتري التي تظن أنها لا تتحدث بتهور أبدا؟ وماذا كانت تعني؟ ما الخطأ الذي ارتكبته؟».

في الطابق السفلي كان الكلب يحملق فيها بعينيه الصفراوين، ذلك الكلب المتعالي والخطير الذي ليس لها أن تلمسه أو تطعمه، ولأول مرة، ذهبت آنا مباشرة إلى ذلك الحيوان الضخم وربّتت على رأسه، ربّتت بقوة يمكن وصفها بأي شيء خلا كونها ودية.

* * *

«السادة المحترمون، يؤسفنا أن الفرصة لم تؤاتِ الآنسة إميلين للرد على رسـالتكم حول..»، نظرت كاتري إلى الرسالة، كان قد مضى عليها سـنتان، ولكن ربما لم يفت الأوان بعد، كان العرض مغريا، ألقت كاتـري القلم وحدّقت دون هدف عبر النافذة، كان بجانبها على الطاولة مرشـد للمراسلات التجارية ومعجم للغة الإنجليزية. كانت الرسـائل الإنجليزية صعبة، ولكنها استطاعت التعامـل معها، مطبقة أسـنانها، شـرعت آنا بكتابة رسـائلها الواضحة جدا، رغم تعثّرهـا، إلى أولئك الذين رأوا في الأرانب الوردية مصدرا للربح، لأسبابهم المختلفة.

وقد أضاف الأسـلوب البسيط المحتوم لتلك الرسائل مسحة غائية تقترب من الصرامة، وكلما نجحت كاتري في زيادة الرسوم أو اسـتبدال حقوق المؤلف بدفعة ماليـة لمرة واحدة، كانت تدوّن نجاحها في الدفتر الأسـود، وكانت تـدوّن أيضا المبالغ التي تم توفيرها من خلال رفض جميع أنواع طلبات المؤسسات الخيرية وجمعيّات الهواة ومناشـدات المسـاعدة العامة مـن قبل أفراد غيـر عمليين لكنهم يتصفـون بالعند، كان يتم تدوين كل شـيء في الدفتر، ويتم تسـجيل كل سنت بإخلاص، وكانت كاتري تقول لنفسـها إن ذلك مال تم كسـبه لماتس من خلال مثابرتها وعدم التجاوز في الطلبات بشـكل متهور قـطّ، واتصفت الردود التي جاءتها لرسـائلها بالبرودة، ولكن بالاحترام، ونادرا ما كان عليها تعديل طلباتها، ولم يكن الطرفان يذيّلان الرسـائل بجملة حول الطقس على سبيل المجاملة.

ألصقت كاتري على غلاف الدفتر الأسود ملصقا يحمل عبارة «لماتس»، وهذه اللعبة الخطرة في التحدي والاسترجاع أصبحت

لعبة نفعية في المجازفة هيمنت على أفكارها باســتمرار، غدت كاتري في قبضة الحمّى الغريبة لهاوي جمع الأشياء، فكلما دوّنت مبلغا مسترجعا في دفترها، كان يأتيها شعور هاوي جمع الأشياء بالرضى العميق عن أنه أضحى أخيرا يملك قطعة نادرة وثمينة، بدقة متناهية. حسبت كاتري ما ينبغي أن تملكه آنا وما يمكن أن يملكه ماتس، في قدر آنا وضعت كاتري كل ما كانت آنا نفســها ســتقبله، أما في ما استطاعت كاتري أن تســترجعه أو ترممّه، فقد حصلت آنا على الثلثين، ولكن عندما كان الأمر يتعلق بأولئك الذين يريدون شــيئا دون عرض أي شيء في المقابل، كان الربح كلــه يذهب إلى ماتس، برزت حالات غير واضحة حيث إن ليونة آنــا كان من الممكن أن تعني مبيعات إضافية، وقد وزّعتها كاتري بالتساوي.

* * *

«تمت تســوية الأمور مع شــركة المواد البلاســتيكية»، قالت كاتــري: «جــرت الأمور أفضل ممــا كنت أتوقع، ولــن يتعارض خيارهم مع خيار شركة المطّاط المتحدة».

«حقا»، قالت آنا.

«ثمة رسالة أخرى من الناشر الذي يخصك».

قرأت آنا الرسالة وعلّقت بأنها ليست بدرجة الودية المعتادة.

«طبعــا لا، فهم يعرفون أنهم لا يســتطيعون خداعك من الآن فصاعدا، نريد في المرة القادمة جزءا من الأرباح بدل الرســوم المحــددة، آمــل ألا تكوني قــد أعطيتهم خيارا بالنســبة للكتب المستقبلية».

«ربما، لا أتذكر بالضبط..».

«لا يوجد أي شيء عن ذلك في أوراقك، وعلى أي حال، ينبغي أن تفكري بتغيير الناشرين إذا لم يوافقوا على شروط أفضل».

عدّلت آنا جلستها، وقبل أن تستطيع التلفظ بأي شيء، استمرت كاتري بالحديث: «لدينا هنا مسرح للهواة يريد استخدام الأرانب الوردية، وسيرسمون الورود بأنفسهم، ليس لديهم المال، ولكنهم سيحصلون عليه مقابل التذاكر، لقد اقترحت جزءا بسيطا من الأرباح».

«لا»، قالت آنا بشكل قاطع: «لا شيء البتّة».

«لقد وافقوا على اثنين بالمئة، لا نستطيع تغيير موقفنا، وهنا لدينا شركة أقمشة عرضت ثلاثة بالمئة، ولكنني رفعتها إلى خمسة، قد ننتهي إلى ثلاثة ونصف بالمئة أو أربعة كحد أعلى، لا، لا تقولي ما ببالك، فهم يفقدون احترامهم لنا إن لم نحاول بهذه الطريقة، وهنا لدينا شركة المطاط المتحدة مرة أخرى، يريدون تخفيض نسبة الأرباح كي يستطيعوا وضع مكبّرات للصوت داخل الأرانب، سيكون ذلك مكلفا ولكن سيرفعون الثمن، ما الذي يمكن أن نقبله؟».

«ماذا يقولون؟».

«ثلاثة بالمئة».

«لا، أعني الأرانب».

«الرسالة لا تبيّن ذلك».

«الأرانب لا تصدر أصواتا، لكنها تضغب إن تمت إخافتها، أو عندما تموت».

«أرجوك يا آنا، هذا عمل علينا الانتهاء منه، إنه عمل».

«بلى وكلا»، انفجرت آنا قائلة: «لا أريد أرنبا ضاغبا؛ إنه أمر

مضحك».

«ولكـــن ليس عليك أن تريه أبدا، فهو ســيضغب في مكان ما وسط أوروبا، ولا أحد هناك يعرفك ولا تعرفينهم أنتِ».

«ماذا يريدون أن يعطونا؟».

«ثلاثة بالمئة».

«اثنين!» صاحت آنا واتكأت على الطاولة، وقد اتّشحت رقبتها باللون الأحمر الفاقع، «اثنين بالمئة! واحد لي وواحد لك».

لاذت كاتري بالصمــت، وعندما طال صمتها، أدركت آنا أنها تفوهــت بشـــيء مهم، كرّرت مــا قالت: «واحد لــي وواحد لك، سنتقاســم ذلك، سنتقاســم وســط أوروبا»، بدا الأمر محفوفا بالمخاطــر، قالت ذلك مــرة أخرى، أخذت كاتري نفســا عميقا وقالت، بشــيء من الجفوة، إن ذلك شــيء مستحيل، ولكن إن لم يكن لآنا أي اعتراض، فمن الممكن تخصيص نصف الأرباح الآتية من شركة المطاط المتحدة لماتس.

«افعلي ذلك»، قالت آنا: «هذا أمر جيد، ولا أريد أن أسمع أي كلمة أخرى عن شركة المطاط المتحدة أبدا».

فتحت كاتري دفترها الأســود ودوّنــت بيدها الجارفة: «1% لماتس».

«هل ثمة أي شيء مهم آخر؟».

«لا، يا آنا»، قالت كاتري: «لقد قمنا بأهم الأشياء».

21

عند الشـــفق، ومع انتهاء العمل في ورشـــة القوارب لذلك اليــوم، ذهبت كاتري إلى أرصفة الســمك، كانت الرياح تهب بقوة مرة أخرى، كان الإخوة ليليبيري يسيرون إلى المنزل حين قابلتهــم كاتري فــي الطريق، توقفت أمـــام إدوارد ليليبيري، استمر الآخرون بالمسير.

«الريــاح قوية جدا»، قالت كاتري: «هل لنا أن نحتمي منها لبرهة؟».

«لا أدري»، ردّ ليليبيــري: «مـــا الأمر؟» تذكّــر محادثتهما الأخيرة بدرجـــة عالية من الوضوح، وكان حذرا منها إلى حدّ ما.

«يتعلق الأمر بشراء قارب، أريد أن أطلب قاربا معينا».

استمر ليليبيري في النظر إليها، لذلك صرخت كاتري عبر الرياح العاصفة: «قاربا! أريدك أن تصنع قاربا لماتس!».

لــم يجب ولكنه عاد إلى الورشـــة وفتح البـــاب، لم تدخل كاتري الورشـــة من قبــل، كانت الرياح تســبب ضجيجا في الســطح المعدني، ولكن الغرفة الواسعة كانت هادئة ومطمئنة للغاية، بدا هيكل لقارب تحت الإنشـــاء مرئيا في ظل الضوء الضعيــف، وخيال قفصه الضخم ظاهـــر على الجدار البعيد

للنوافذ، وتدلّت من السـقف مجموعات من الألواح العريضة التي سـتغطي الخشب قريبا، ونفحت من المكان رائحة النشر والقار وزيت التربنتين. فهمت كاتري لماذا أراد شقيقها العودة باسـتمرار إلى هذا العالم المحميّ حيث كان كل شـيء مرتبا ونظيفا. اسـتدارت تجاه ليليبيري وسألته إن كان لديه الوقت لصناعة قارب كبير بمقصورة.

«كم حجمه؟».

«تسعة أمتار ونصف، بأعلى المواصفات».

«قـد يكون لدينا الوقت الكافـي لذلك، لكن قد يكون ذلك القارب مكلفا جدا، ماذا عن المحرك؟».

«محرك بأربع إسطوانات يعمل بالبرافين»، أجابت كاتري: «بقوة أربعين أو خمسين حصانا حسب مواصفات فولفو بنتا، لقـد عمل ماتس تصاميـم القارب، أعتقد أنهـا جيدة، على الرغم من أنني لا أعرف شيئا عن القوارب».

«يبدو أنكِ تعرفين شيئا لا يستهان به»، قال ليليبيري.

«لقد اطلعت على ملاحظاته».

«حسنا، حسنا، أجل، لا بد له الآن أن يعرف بعض المعلومات عن ذلك، ربما يمكنني النظر إلى تلك الرسومات».

«ثمة مشكلة بسيطة فقط»، قالت كاتري: «لا أريد أن يعرف ماتس عن الأمر حتى أتأكد من ذلك».

«تعنين التأكد من القدرة على دفع التكلفة».

أومأت كاتري بالإيجاب.

«وهل تستطيعين ذلك؟».

«نعم، ولكن ليس الآن، لاحقا في فصل الربيع».

«ينبغـــي أن أقول»، قال ليليبيري: «آخذين كل شـــيء بعين الاعتبار، إنه لطلب غريب جدا، ماذا ســـأخبر الآخرين؟ لا بدّ من وجود مشتر، هل هـي الآنسة إيميلين؟».

«لا، لا، ليست هـي».

«وأنتِ لا تريدين أي دور مكشوف في ذلك؟».

«لا، ليس بعد».

«أصغي إليّ»، قال ليليبيري وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: «ما الذي تريدينني أن أقوم به؟ هل يفترض أن أسرد القصص نيابة عنك لأنك تعجزين عن فعل ذلك بنفسك؟».

لم تجب كاتـــري، توجهت إلى الجدار حيث تتدلى الأدوات لامعـــة، كل منها على رفّه المحـــدد، بترتيب يصل إلى الكمال، بتردد، لمست الأداة تلو الأخرى، خطر ببال ليليبيري أنها تبدو تماما كشـــقيقها، فهما يأخذان الأشـــياء بأيديهما بالطريقة نفســـها. لا يمكنني تجاهل مثل هذا العرض، بوجود مثل هذا الطلب المشـــكوك به في الورشـــة، ســـيطاردها الجميع، تلك الســـاحرة الصغيرة، وإذا لم تتمكن من دفع الثمن، فأنا متأكد أنني أستطيع بيعه لشخص آخر. قال، بفظاظة ملحوظة: «هيا بنا، سأرى ما أستطيع فعله».

* * *

لاحقا في ذلك المساء، جاء ليليبيري إلى بيت الأرانب وسأل عن ماتس، كان قد ســـمع شـــيئا عن تصاميم لصناعة قارب، وأراد أن ينظر إلى تلك التصاميم، تفحّصوا الرسومات سويا: «هـــذا جيد جدا، في هذا المكان»، قـــال ليليبيري: «ولكن ثمة مجال لتحسينها، أحضرها في الصباح، ولكن لا تخبر أحدا».

عندمـــا عاد إلى المنــزل، قال إنه تلقّى طلبـــا لصنع قارب بحجم تســعة أمتار ونصف وبأعلى المواصفات، وإن المشتري يريد أن يظلّ مجهولا.

«ومتى سمعت عن هذا الطلب؟».

«قبل وقت قصير»، قال ليليبيري، ومرت الكذبة هكذا، مثل هدية لشخص تقدّره.

22

غدت آنا هادئة ومتجهمة، سـيطر عليها ارتياب سـيئ، وهو أنها - المـرأة اللطيفة والودودة - كانت ضحيـة للخداع بالتمام والكمـال، ولأول مرة في حياتهـا، أصبحت آنا لا تثق بالآخرين، ولم يتوافق ذلك الشـعور معها أو مع الذين من حولها، دخلت في دوامة التفكير السيئ بهم جميعا؛ الجيران، والناشرين، والأطفال الصغار الأبرياء، والجميع، فالكل كان يخدعها.

حفـرت بذاكرتها عبر الزمن الماضـي، وتوقفت فقط عندما وصلت إلى والدها ووالدتها، وبالطبع، سـيلفيا، أصبح كل شيء خارج بيت الأرانب عالما غامضا من التفاهة والسخرية المكتومة، لا أحد يحترم الشـخص السـاذج كما قالت كاتري، والآن كانت كاتـري تجلس مرة أخرى مع أوراقهـا وصوتها الصبور والحازم تحثّ آنا على الإصغاء، والتوقف عن العمل ضد مصالحها بقولها «لا» ببساطة قبل أن تعرف حتى الموضوع ذا الصلة؛ ذلك لأنه كان هناك مبلغ كبير من المال، والتفكير بما يمكن أن تفعله بذلك المال الوفير إن كانت تستطيع فقط أن ترى كم سيصبح ذلك المبلغ إذا تم إقناع الطرف الثاني بأن يتعامل بشرف، وما إلى ذلك من أمور مشابهة.

«كاتــري»، قالت آنا: «الآن أصغي لما ســأخبرك به، ألا وهو: إننـــي أفضل أن أتعرض للخداع على أن أفقد ثقتي في الآخرين هكذا».

ثم ارتكبت كاتري خطأ. «ولكن لقد فات الأوان، أليس كذلك؟» ردّت كاتري قائلة: «هذا الخيار غير ممكن لأنك لم تعودي تثقين بهم البتة، أليس الأمر هكذا؟».

انتصبــت آنا من الطاولة وغادرت الغرفة، في الردهة، فتحت الباب المؤدي إلى الســاحة على مصراعيه وســارت مباشرة إلى حيث كلب كاتري وهمســت: «اغرب عن وجهــي!». كانت يداها تتلمسان عضلات الحيوان الضخم القوية من تحت فروه الأجعد، ولكنها لم تكن خائفة منه، قامت بدفعه بقوة وأخرجته إلى الثلج، انتزعت عودا من كومة الحطب ورمته إلى أقصى مسافة ممكنة، صائحــة: «أحضره! عد به إليّ!». نظر الكلب إليها هكذا دون أن يتحــرك، رمت آنا عودا آخرا: «أحضــره! العب! افعل ما آمرك به!». كانت تتنهد بغضب، كان الجو باردا جدا، عندما عادت إلى الداخل، تركت الباب مفتوحا على مصراعيه.

* * *

ركبت آنا رأســها، ففــي كل مرة كانت تعــرف أن المنزل خال، كانــت تطرد الكلب إلــى الخارج، وبعناد، مطبقة أســنانها، كانت ترمي العيدان إلى داخل الغابة، مرة تلو الأخرى، ويوما تلو الآخر، وأخيرا، أعاد الكلب واحدا منها، ببطء شديد، ومن ثم تنحى جانبا وقد حرك أذنيه إلى الخلف ووقف ساكنا في الثلج، محدّقا بها.

«ماذا تفعلين؟» ســأل ماتس الذي كان قد صعد التل وتوقف عند زاوية المنزل.

«يقوم تيدي باللعب»، قالت آنا، مشـدوهة: «كل الكلاب تحب إحضار الأشياء..».

«ليس هذا الكلب»، قال ماتس: «ليس مسـموحا له أن يتلقى الأوامر إلا من كاتري، ادخلي المنزل». لم يسبق لماتس أن يخاطب آنـا بهذه الصرامة مـن قبل، أبقى البـاب مفتوحا، فدخلت من أمامه إلى الردهة.

لقـد وصلت كتب جديـدة.. «خذ منها ما تريـد»، قالت آنا: «ولكنني لا أريد القراءة هذا المساء».

رفع ماتس الكتب واحدا تلو الآخر، ثم وضعها على الطاولة من جديد، وأخيرا قـال بقلق إن الكلاب المدرّبة تختلف عن بعضها، وإنـه لا يمكنكِ إزعاجها وإرباكها، وإن عليك توخي الحذر معها، فكاتري لم تطلب من الكلب أن يحضر الأشياء قط.

«لكن ذلك الكلب غير سعيد».

«لا أعـرف إن كان الأمر كذلك»، قال ماتس: «إن حياته جيدة جـدا إلى حد ما، على أية حـال أظن أنه قد فات الأوان لتغييره في هذه المرحلة».

«حسـنا، أي كتاب تريد؟» قالت آنا بفـارغ الصبر: «دعني أرَ ما أرسـلوه.. رحلة الصغيـرة إريك البحرية، شـيء مخز، يبدو أنهم يرسـلون ما يريدون التخلص منه، ليس إلا، قد أكون عرفت ذلك.. هل قرأت جوزيف كونراد؟ الإعصار؟».

«لا».

ذهبت آنـا لإحضارها: «ها هي، ولو لمرة واحدة، اقرأ شـيئا يعكس صورة حقيقية للحياة، (الإعصار) هي أفضل رواية كُتبت حول سـفينة تواجه عاصفة، إنها أكثر كثيـرا من مغامرة، وهي

أكثــر من عاصفة.. صدّقني، حتى شــقيقتك المهتمة بالأدب قد تكــون قرأت جوزيف كونراد»، بعــد لحظة أو لحظتين، أضافت: «إن كانت فهمته».

تجنّب ماتس النظر إلى آنا، فتح الكتاب وقلّب صفحاته بلطف كما يفعل مع كل شــيء يلمسه، وذكر بحذر أن كاتري تفهم معظم الأشياء، إذ إنها ذكية جدا: «أكثر ذكاء من كلينا»، قال ماتس.

«هذا محتمل»، قالت آنا: «ولكن تكلم عن نفســك، ثمة شــيء واحــد أعرفه، يا صديقــي الصغير، وهو أنها ليســت موهوبة، فذلك شيء مختلف تماما».

بعدما ذهبت آنا، صنع ماتس لنفســه كأسا من الشاي وجلس على طاولة المطبخ وبدأ يقرأ، غدا المنزل ساكنا وسط العاصفة.

* * *

فقدت آنا رغبتها فــي القراءة، أضحى أبطال البحار والغاب والبريــة فجأة صــورا لا حياة فيها، ليس إلا، لــم يعودوا يمثلون مدخلا لها إلى صحارى منصفة، وصداقة أبدية، وعقاب عادل، لم تســتوعب آنا كيف حدث ذلك، وشــعرت أنهــا غدت معزولة تماما.

صرّحــت في أحد الأيام، بطريقة غير رســمية، أنها لا تريد في المســتقبل أن تقوم بأي شــيء يتعلق بأعمالها التجارية مهما كان شكله، إذ إنها لا تريد الحديث عنه أو معرفته، فكاتري، التي تعرف الكثير عن النسب المئوية، تستطيع توزيعها كما تريد.

«لكن يا آنا، لا أســتطيع فعل ذلك، لا يمكننــي تحمل المسؤولية التي تتعلق برســائلك المهمة، هذه مســألة جدّية، فنحن لا نعبث بها، كلعبة هكذا».

«لا، فأنتِ لا تستطيعين اللعب»، قالت آنا على نحو قاس قليلا: «إنك لا تستطيعين اللعب؛ تلك هي المشكلة بالضبط».

* * *

في ذلك الوقت تقريبا استطاعت آنا أن تفهم لعبة التعامل مع النسب المئوية، التي سمّتها لعبة ماتس، كانت في غاية السهولة، تكونت من كروت مربعة مدون على كل منها نسبة مئوية واضحة: 5%، 4%، 5%، 7%، 10%، وهكذا، وكانت توزّعها كأوراق اللعب، كانت تؤدي اللعبة بسرعة ودون قوانين كثيرة.

كاتري: «هؤلاء الناس يعرضون أربعة بالمئة، ماذا ينبغي أن نعرض؟».

آنا، وهي ترمي بكرت على الطاولة: «خمسة بالمئة، لا تدعيهم يخدعونا!».

«وكم نصيب ماتس؟».

«اثنان ونصف بالمئة».

كاتري: «لا، سأخفض ذلك، أربعة لك وواحد له، لكنكِ رفعتِ النسبة واحد بالمئة إلى خمسة، سنضع ذلك في الصندوق المشترك».

«وماذا سنفعل بالصندوق المشترك؟».

«أنتِ من تقررين ذلك».

آنا، ضاحكة: «غطاء لتيدي، حسنا، في العرض القادم؟».

«إنهم يعرضون سبعة ونصف بالمئة».

«عشرة! ولكن أربعة فقط لماتس».

«أنتِ تغشّين، يا آنا، فليس لديك عشرة».

«حسنا، ثمانية إذن؛ لكن ماتس سيحصل على أربعة مع ذلك،

كما أسلفت، بل خمسة، خمسة بالمئة».

فقامت كاتري بتدوينها.

استرخت منافستها في كرسيّها وقالت: «حسنا، الآتي؟».

«ليس ثمة أي شيء آخر الآن، لقد أجبنا على كل ما وجدته في الخزانة».

«ولكن يمكننا اختراع العروض»، قالت آنا: «فأنا أريد الاستمرار».

بدأتا تلعبان بمبالغ وهمية، عادة عند حلول الظلام، كانتا توقدان نارا، وتشعلان شمعتين على الطاولة، وتحضران قلما وورقة، وتدرسان العروض، وتردان عليها، وتدفعان بالكروت على الطاولة، كل منه يمثل مبالغ ضخمة قد تنمو لتصل إلى الملايين، كانت كاتري مسؤولة عن التسجيل، وقد كانت تجامل آنا من خلال لعبة الملايين الجديدة هذه، وعادة ما كانت تدع آنا تفوز، ولكن طبيعة اللعبة الوهمية كانت تؤرقها، وبدا الأمر كأنه اعتداء على حرمة الأرقام الحقيقية، فعندما كانت اللعبة تتعلق بالأعمال التجارية لآنا أو، بالأحرى، بطريقة آنا في التحدث عن أعمالها التجارية، كان ينتاب كاتري إحساس بعدم واقعية صعّبت عليها إعادة التوازن والدلالة المناسبين للأرقام، وعلى الرغم من ذلك، كانت تسجل المبالغ التي تم كسبها بطريقة منصفة في اللعبة وتضيفها إلى المبالغ التي تم تحصيلها سابقا، والتي تعتقد أنها كانت من حقّ ماتس، ومن ثم، وبدرجة أعلى من الدقة، كانت تدون النسب التي تعود إلى آنا.

ولكن اللعب بمبالغ وهمية غدا أكثر إزعاجا لها، فطريقة آنا في التلاعب بالأصفار كانت مربكة، ولأول مرة في حياتها

فقــدت كاتري القدرة على المتابعة وجلســت في غرفتها لفترات طويلــة وهي تطبق بيديها على عينيهــا، في محاولة للفصل بين ما هو لعب حقيقي وما هو لعب افتراضي، فقد طاردتها الأرقام بلا هــوادة، ولكن تلك الأرقام لم تعد حليفــا لها، وانتاب كاتري شعور بأن لعبة آنا كانت بمثابة عقاب لها، لقد تمت الإجابة على الرسائل التي كانت منسية لوقت طويل، ونادرا جدا ما كانت تأتي رسائل جديدة. بدت آنا مصابة بخيبة الأمل: «أليس ثمة شخص نستطيع أن نخدعه اليوم؟ إذن، لنلعب لعبة الملايين»، كانت اللعبة تســمح لك بإخافة منافسك بالنسب المئوية، ولم يكن مهما البتة إن كنت تعرضين بسعر أعلى أو أقل.

حاولتــا التغيير إلى المراهنة علــى ورق اللعب، ولكن ذلك أتى بنتائج عكســية، كانت آنا الخاســر الأكبر، ممــا جعلها غاضبة ونزقة، فعادتا إلى لعبة الملايين من جديد.

* * *

وفــي الأيام التي كانت آنــا وحدها في المنــزل، كانت تخرج بالكلب إلى الساحة وتجعله يحضر الأشياء، لقد تغيّر ذلك الكلب، فعندما كان يمر به أحد بالردهة، كان ينتصب ويكشّر عن أنيابه.

«انبطــح أرضا» كانت كاتري تأمره، وكان الكلب ينبطح أرضا، ممتثلا للأمر.

23

امتـــدت منضدة بيضـــاء لوضع الورد مصنوعـــة من الحديد الصلـــب تحت النافذة فـــي غرفة آنا، كانت تقـف فارغة لزمن طويـــل جدا، أرادت كاتري أن تســـتخدمها لترتيب ملفات آنا في صفوف تحتوي على رســـائل آنا الخاصة والمراسلات التي تعود لوالديها، كانت الملفات من القماش الأبيض لتتناسب مع الأثاث، «أوه، نعم»، قالت آنا: «رسائل والدي ووالدتي، ظننت أنك رميتها خارجا على الجليد منذ زمن طويل، هل قرأتها أيضا؟».

تصلب جســـد كاتري، وفجأة لاحظت كـــم تغيّر وجه آنا، لقد تقلص واكتسب مسحة من دهاء تعوزه الجاذبية: «لا، لم أقرأها»، ردت قائلة.

«يـــا للروعة»، قالت آنا: «كل ســـنة مدونة على الجزء الظاهر من الملف، أستطيع الآن أن أجد أي شيء أريده، ومتى شئت، على سبيل المثال، رسالة خطّها والدي في عام 1908».

تأمّلـــت كاتري في وجه آنا للحظة، ثم مضت في طريقها دون أن تنبس ببنت شفة.

* * *

تجوّلت آنا في غرفتها، محركة قطع الأثاث واحدة تلو الأخرى قبـــل أن تعيدهـــا إلى مكانها مـــن جديـــد، وكان مزاجها المتعكر

يطاردها إلى أن أصبحت الحاجة للسلوى ملحة، وأخيرا، أخذت ملف رسائل سيلفيا الأبيض وجلست على حافة سريرها.

كانت الرسائل معدة حسب الترتيب الزمني، تخطّت أيام المدرسة وزواج سيلفيا والبطاقات البريدية التي تتعلق بزيارة سيلفيا إلى إيطاليا، هنا كانت رسائل التعزية عندما توفي والداها على التوالي بفارق بسيط. استمرت آنا بالبحث بفارغ الصبر؛ لا بد أن تظهر قريبا، أولى رسومات الألوان المائية، ها هي: «عزيزتي آنا، كم هو رائع أن تجدي شيئا تشغلين به نفسك، فهواية صغيرة دائما ما تجعل الأمر أكثر سهولة».

لا، ليس بعد؛ فلم تصبح مهمة بعد.. أتى ذلك لاحقا عندما رأتها سيلفيا لأول مرة، أو عندما نُشر أول كتاب، لم تستطع أن تتذكر ذلك.. على أية حال، كانت أول مرة تتحدث فيها الرسائل عن عمل آنا، تتحدث بشكل جدّي، وقد قالت سيلفيا.. لقد ساعدت آنا، ساعدتها بطريقة ما للمضي قدما، ربما هنا: «الحياة قصيرة لكن الفن باق، ثابري وإلى الأمام، يا آنا الصغيرة»، أو هنا: «لا تحمّلي الأمر أكثر مما يتحمّل، الإلهام سيأتي هكذا بشكل طبيعي»، أو: «أعتقد أن أرانبك ساحرة جدا، ولا داعيَ للقلق حولها».

وفي واحدة من رسائلها الأخيرة: «ماذا تعنين عندما تقولين إنك تريدين المحافظة على مناظر الطبيعة دون أن تضللي أحدا؟ هل وصلتك هدية رأس السنة الصغيرة التي أرسلتها..؟».

ثم بدأت الرسائل تتباعد زمنيا إلى أن اقتصرت تدريجيا على بطاقات عيد الميلاد، بحثت آنا في الرسائل السابقة من جديد علّها تجد تلك الفقرة المهمة؛ الشيء الحاسم الذي قالته سيلفيا

عن عملها، ولكن ذلك لم يكن له وجود، فسيلفيا لم تستوعب الأمر ولم تعره الانتباه اللازم، وكانت عاطفية بشكل مفرط.

أعادت آنا الملف الفارغ إلى مكانه المناسب، ووضعت الرسائل في حقيبة بلاستيكية، ذهبت إلى القبو ووضعت قطعا من أواني ورد مكسورة في الحقيبة، وربطتها بإحكام، لم يكن في المنزل إلا الكلب، ارتدت آنا ملابس تقيها من البرد وشقت طريقها إلى الشاطئ، كان الجليد زلقا للغاية، وقد قطعت مسافة أوصلتها إلى كوم الأثاث المرمي دون أن تدرك ذلك، كان كوما رائعا من القمامة.

أشبه ما يكون بنصب تذكاريّ، حاولت أن تميز وتتعرف على الأشياء، ولكن دون جدوى، رمت بحقيبتها وعادت أدراجها إلى المنزل، لم يرها أحد تودّع سيلفيا. في الردهة، خاطبت الكلب قائلة: «حسنا، ما قولك فيما جرى؟»، ولكن دون الزهو بالانتصار هذه المرة، لقد كان الأمر مجرد ملاحظة، ليس إلا.

24

كان ماتس يمضي أيامه في ورشة القوارب، وكان يصعد في كل مساء بعد العشاء إلى غرفته، ولم تكن كاتري تطرح عليه أية أسئلة.

قد يكون جالسا يرسم شيئا هنا أو هناك يريد أن يقوم بإنجازه، لم يعد ينشغل بالقراءة، فهمّه الأول والأخير هو القارب، قريبا سأحتاج إلى الدفعة الأولى لليليبيري، وهي ثلث التكلفة، والدفعة التالية ستكون عند تركيب الألواح والجوانب، والأخيرة عندما يتم إنجازه، عندما أكون متأكدا من الدفعة الأولى، سأخبر ماتس بأن القارب الذي يقوم بصنعه هو قاربه، ولكن ليس بعد، لا أجرؤ على التحدث مع آنا بعد، إذ لا يمكن التنبؤ بردة فعلها، يمكنها أن تمارس الخداع وتلغي نسبة ماتس المئوية، وتقول إن الأمر كان مجرد لعبة لا غير.

عليّ أن أنتظر وأكون حذرة جدا معها، إنه الانتظار دائما، فإذا ما عدت بذاكرتي إلى الزمن الماضي قدر المستطاع، أجد أنني لم أفعل شيئا سوى الانتظار، الانتظار لأقوم بالعمل أخيرا، لأقامر بكل فطنتي وبصيرتي وجرأتي، لأنتظر التغيير الكبير الحاسم الذي يضع الأمور في نصابها. إن القارب مهم جدا، ولكنه مجرد البداية، يمكنني أن أضاعف ميراثها مرتين وثلاث

مــرات؛ المال الميت يرقد ســاكنا؛ يمكنني أن أســتثمره بحكمة، وأعيده إلــى الحياة، ثم أعطيه لها مضاعفا مرات عدة في لعبة ملايين لم تعد وهمية، لعبة أستحقها، لم يفت الأوان بعد، ينبغي ألا يفوت الأوان!.

25

في أحد الأيام عندما كانت كاتري في الخارج مع كلبها، فتحت آنا الدرج الذي يخص عملها، وهو الدرج الوحيد في خزانتها الذي كان دائما مرتبا لدرجة الكمال، كان مغلقا طوال فصل الشتاء، كانت آنا تقوم بطقس تكرره دائما عندما يأتي ضباب الربيع لأول مرة من البحر. رفعت الصندوق المصنوع من خشب الساج بزخرفه البالي الذي زُيت بدقة، وجعلت تتفحّص طلاءه مطولا، لم يكن ثمة حاجة لأية إضافات، تلمّست الرؤوس الناعمة لفراشيها، من فرو حيوان الدلق، وهي أفضل فراشي يمكن شراؤها، تأملت كل موادها بتأن، وكان كل شيء في مكانه الصحيح، ثم أعادت الأشياء كلها إلى المكان نفسه، خرجت إلى الغابة خلف المنزل وحفرت حفرة في الثلج، كان ثمة طحالب في الأسفل، ضغطت بيدها على التربة المتجمدة وشعرت كيف أن الجليد بدأ بالذوبان ببطء، ولكن اللحظة لم تحن بعد، ليس قبل مرور بعض الوقت.

26

خرجت كاتري وسارت تجاه الرأس البحري، كان يمكنها سماع طلائع الدجاج البري الأســود تصيح وتنقر في حافة الغابة، كان الجليد رماديا كالإسفلت، والغيوم المظللة بزرقتها الغامقة تتحرك مـن فوقه في أشـرطة طويلة. كان الكلـب مضطربا ولم يواكب مسـيرها، وحين اقتربـا من المنارة، ذهب بعيـدا، أمرته بالعودة مسـتخدمة تلك النغمة المنخفضة التـي يعرفها الكلب ويطيعها، اسـتدار منحرفا كذئب، لكنه لم يعد، أخرجت كاتري سجائرها، وأمرتـه بالعودة مرة أخرى في نغمة أكثر انخفاضا، ولكن الكلب لم يتحرك.

اسـتدارت للجهة الأخرى، كان الضوء ساطعا وشفّافا، وبدت المناظر الطبيعية حبلى بالتوقعات، لقد تكسّر الجليد على امتداد الشاطئ، وكانت المياه المفتوحة تتنفّس بين الشقوق، تصعد وتفيض على الجليد، ومن ثم تسقط في مكانها من جديد، أشعلت كاتري سـيجارة، ثم طوت العلبة الفارغة وألقت بها بعيدا على الجليد، فقام الكلب بالتقاطها، واندفع عبر مياه الشاطئ، ممسكا بها في فمه، وأعادها إلى حيث قدميها، كان الشعر منتصبا على ظهره، ورأســه مائل لجهة واحدة، فأدركت كاتري أن كلبها غدا خصما لها. في المنزل ذهبت إلى آنا وقالت: «يا آنا، لقد أفسـدت كلبي،

هذه حركة خبيثة، لا يمكنني الاعتماد عليه من الآن فصاعدا».

«تعتمدين وتعتمدين»، ردّت آنا سريعا: «لا أعرف ما تعنين.. الكلاب تحب اللعب، أليس كذلك؟!».

سارت كاتري إلى النافذة، معطية ظهرها لآنا، واستمرت بالكلام: «أنتِ تعرفين تماما ما فعلتِه، فالكلب لم يعد يعرف ما أتوقعه منه، هل من الصعب جدا فهم هذا؟».

«أنا لا أفهم ذلك!» صاحت آنا: «أحيانا يفترض أن ألعب وأحيانا ألا ألعب..».

«ينبغي ألا تلعبي مع كلب لمجرد التسلية، أنتِ تعرفين ذلك».

«وماذا عنك، يا كاتري كلينغ؟ فلعبتك حول المال غير مسلية أصلا، ولا تحاولي إقناع نفسك أن ذلك الكلب سعيد، إنه يطيع الأوامر، ليس إلا..».

استدارت كاتري: «يطيع؟» قالت: «أنتِ لا تعرفين معنى هذه الكلمة، فهي تعني الإيمان بشخص وتنفيذ الأوامر المتّسقة، وهذا يوفر راحة، إعفاء من المسؤولية، إنه البساطة بعينها، فالمرء يدرك ما عليه القيام به، إنه لمن الأمان والطمأنينة أن يؤمن المرء بشيء واحد فقط».

«شيء واحد فقط!» صاحت آنا: «يا لها من محاضرة، ولماذا بحق السماء عليّ أن أطيعك؟».

كان ردّ كاتري باردا: «ظننت أنك تتحدثين عن الكلب».

27

صرّحت آنا في صبيحة أحد الأيام بأنها ستذهب إلى المتجر وتحضر البريد بنفسها.

«قومـــي بذلك»، قالت كاتـــري: «لكن الطريق زلـــق جدا، لذا ينبغـــي أن ترتدي حـــذاءك المصنوع من الجلد، وليـــس اللبّاديّ، ولا تنسي نظّارتك الشمسية».

ارتدت آنا حذاءها اللبّاديّ، كان التل في أسوأ حالاته، وعندما وصلـــت إلى المتجر تقريبا، انزلقت واســـتقرت في الثلج، نظرت سريعا من فوق كتفها لكن جميع النوافذ كانت فارغة.

«أهلا وسهلا»، قال صاحب المتجر: «من الغريب جدا أن نراك في المتجر من جديد، يا آنســـة إميلين، لقـــد انتابنا بعض القلق، أعني أنه لم يكن بوسعنا معرفة ما يجري في منزلك.. أعني في هذه الأيام، كيف لي أن أخدمك؟».

«أردت بعض الحلوى، ولكنني لا أتذكر اسمها.. كان ذلك منذ زمن بعيد، شيء عليه قطط صغيرة، علبة مستطيلة عليها قطط صغيرة».

«كيتـــي - كيت»، قال صاحب المتجـــر مداعبا: «إنه نوع قديم، ولكن لدينا نوع جديد أيضا، عليه صور جراء».

«لا، شكرا، تلك التي عليها صور قطط صغيرة».

«حسنا، ليس من السهل وجود كلب ضخم في المنزل، يقال إنه متوحّش».

«ذلك الكلب يتصرف بشكل جيد»، قالت آنا بحذر، تذكّرت أن صاحب المتجر كان يخدعها، لم تكن ابتسامته ودية، ولا حتى مؤدبة، أدارت بظهرها نحوه وسارت إلى حيث الأطعمة المعلبة، ولكن كالعادة كان من المستحيل أن تقرر ما الذي تريده حقا. دخلت فرو صندبلوم وحيّتها بدهشة مبالغ فيها، واشترت قهوة ومعكرونة، وأخذت قارورة من شراب الليمون وجلست على الطاولة عند النافذة للإصغاء.

قال صاحب المتجر: «لقد أصبحت الآنسة كلينغ مدبّرة منزل رائعة، لطالما قلت إنها تعرف ما تقوم به، ويبدو أن شقيقها أذكى مما كنا نعتقد، وها هم الآن يصنعون قاربا قام بتصميمه، أليس ذلك صحيحا؟».

«ما هذا؟»، سألت آنا.

«إنه خميرة، يستخدمها الناس عندما يصنعون الخبز».

تمتمت فرو صندبلوم وصبّت لنفسها مزيدا من شراب الليمون.

«القوارب»، عاود صاحب المتجر الحديث: «القوارب أشياء رائعة حقا، لطالما أحببتها، لقد طلبتِ ذلك القارب، أليس كذلك، يا آنسة إميلين؟».

«كلا»، ردّت آنا: «لا أعرف أي شيء عن القوارب، لسوء الحظ، إنني أقرأ عنها فقط، هذا كل ما أريده؛ أضفه إلى حسابي».

فجأة بدت الغرفة تعجّ بالحقد، وحينما همّت آنا بالمغادرة، نادتها فرو صندبلوم: «أبلغي سلامي إلى الآنسة كلينغ، أرجوك أن تنقلي لها تحيّاتي الحارة!».

سارت آنا تجاه منزلها، وقد نسيت أن تحضر البريد، ما الذي تلفظـوا به؟ مجـرد حديث المتاجر المعهـود.. لا، أوه، لا، لم يعد باسـتطاعتهم استغفالها، لقد أدركت ذلك، كانوا ينفثون سموما، وكانوا يسخرون منها داخليا، من آنا إميلين، ويسخرون من كاتري وماتـس.. لن تعود للمتجر مـرة أخرى، ولن تذهب إلى أي مكان آخر، خلا الغابة، كانت بحاجة للعمل، بأقصى سـرعة ممكنة.. مباشرة..

لم يكن مـذاق الكيتي-كيت كما كان قبل أربعين عاما، وقد علق بأسـنانها بطريقة مزعجة، أسـرعت آنـا الخطى، وهي تنظر إلى الطريـق لا غير، مر بها العديد من الجيران ولكنها لم تلاحظ سـلامهم عليها، فكل ما كانـت تريده هو الوصول إلى المنزل، إلـى كاتري المرعبة، إلـى عالمها الخاص الجديد الذي غدا قاسـيا ولكنه خال من الشـر والكتمان. عند نهاية شارع القرية، تقدمت منها السيدة نيغارد، ووقفت في منتصف الشـارع، وبادرتها قائلة: «نحن دائما فـي عجلة من أمرنا، يا آنسـة إميلين! هل خرجت لتري ما إذا اقترب الربيع؟ سـنرى الأرض عما قريب جدا».

أوقف صوتها الهادئ الودّي آنا في مسـارها، وقفت في الثلج الموحل ونظرت إلى أعلى، وقد ألهبت شمس الربيع عينيها.

«كيف هي الأمور في بيت الأرانب؟».

«يا إلهي»، ردّت آنا سـريعا: «أهذا ما تسـمون به منزلي في القرية؟».

«نعم، بالفعل، ألم تعرفي ذلك؟».

«كلا، كلا، لم أكن أعرف البتة».

نظرت السيدة نيغارد جدّيا إلى آنا وقالت: «لكنه لقب لا غير، لا يقصد أحد به الأذى بأي شكل».

«اعذريني، إني في عجلة من أمري»، قالت آنا: «قد لا تفهمينني، ولكن يعوزني الوقت في هذه اللحظة..».

كان الطريق أكثر زلقة مما قبل، مع اقترابها من الشاطئ، انزلقت عصاها، ولم يساعدها كثيرا السير برجلين مفتوحتين وأصابع قدمين معكوفة، كان المشهد مضحكا، تسلقت آنا عبر الثلج على جانب الطريق لتلتقط أنفاسها، ثم استمرت في مسيرها، لم يتبق كثير من المسافة، ولكنها كانت تزداد قلقا مع مرور الوقت، كانت بحاجة إلى أن تدخل الأرض التي تخصها بأقصى سرعة ممكنة. خلف سياجها من أشجار الصنوبر حيث الثلج نظيف وخال من أثر أقدام الغرباء، في أسفل التل، وقف الأطفال يصرخون شيئا بإيقاع، مرارا وتكرارا؛ كلمة واحدة لم تستطع تمييزها، وكانوا يحملقون في منزلها.

«أوقفوا ذلك الصراخ!»، نادت آنا عليهم: «ها أنا هنا، ما الذي تريدونه؟».

أوقف الأطفال صراخهم وتحركوا بعيدا.

«لا تشعروا بالخوف!»، قالت آنا: «يسعدني أنكم جئتم إلى هنا.. ولكن كما ترون في هذه اللحظة لا يوجد لديّ وقت لقضائه معكم، فأنا في عجلة كبيرة من أمري». حاولت أن تجد كيس الحلوى في محفظتها، لم يعد الأطفال يكترثون بها، واستداروا تجاه المنزل، وجعلوا يصرخون من جديد، بدت كأنها كلمة «ساحرة، ساحرة، ساحرة..»، تجاوزتهم آنا وسارت إلى أعلى التل، غدا كيس الحلوى لزجا في يديها، ففتحته وألقت بالحلوى

على الثلج: «إنها لكــم»، صاحت وهي تلوّح بعصاها تجاههم، ثم عاودت مسيرها المضني إلى أعلى التل.

هبّ نســيم منتظم من اليابســة عبر الأشــجار خلف المنزل، تداعــى الثلــج الجديد من أغصان أشــجار الصنوبــر، من هنا وهنــاك، حيث ملئت الغابات بالخطى والهمســات، بدت التربة، مــن بين جذور الأشــجار المواجهة للشــمس، معتمة ورطبة وقد انتشــرت عليها أغصان التوت البري الصغيــرة، توقفت آنا بين فينة وأخرى، وكأنها تنتظر شيئا، ثم عاودت المسير من جديد.

«لقد خرجت مبكرة هذه السنة»، قال ليليبيري وهو ينظر عبر نافذته: «ربما تكون تلك العانس قد أساءت قراءة مفكّرتها، وهي ليست ثابتة بخطواتها كما كانت من قبل».

«لا غرابة في ذلك، بوجود ســاحرة في المنزل»، علّق شــقيقه قائلا: «فلا بد لذلك أن يؤثر بك سابقا أم لاحقا».

اســتدار ليليبيري عائدا إلى داخل الغرفــة وقال: «ينبغي أن تصون لسانك، تلك الساحرة التي تحتقرها هي أذكى منك عشر مرات، وأنت لست ألطف منها بكثير، أيضا».

ســارت آنا على حافة الغابة، من شجرة إلى أخرى، وهو ذات الدرب الذي كانت تســلكه كل ســنة، بالدرجة نفسها من الإثارة، بتوقعات تراكمت طيلة فصل الشتاء، لقد لاحظت أرضية الغابة، ولكن في هذا اليوم، الســابق لأوانه، لم تبدُ تلك التربة السوداء واعــدة البتة، كانــت مجرد بقع من التربــة الرطبة خلت من أي إيحاء، ومن أي استلهام لمعجزات قادمة.

عادت آنا إلى منزلها.

28

لطالما اعتبرت آنا نفسـها رسّـامة لأرض الغابـة، لقد قالت ذلك كثيرا في مناسـبات عدة واكتشـفت مندهشة أن سامعيها أخذوا الأمر على أنه إشـارة للتواضع، لكن على عكس ذلك، كان من تحت وصفها لنفسـها اقتناع هادئ وحـازم أنها، آنا إميلين، كانت، بكل معنى الكلمة، الشخص الوحيد الذي كان يستطيع أن يرسم أرض الغابة بالشكل الصحيح، وأن أرض الغابة بديمومتها ونموها المستمر لن تخذلها أبدا، ولكن بعد زيارتها الأولى للغابة، سيطر على آنا قلق مرعب، لا شيء ولا أحد كان يمكن أن يهدئ من روعها، لقد شعرت بالحزن وكأنها مقتلعة من جذورها.

مرّ ذلك اليوم بطيئا وقلقها يتأجج، لم تكد تدرك لماذا أخرجت الرسائل التي كانت تلقتها والدتها ووالدها أثناء حياتهما الطويلة، ولكن كان لذلك علاقة بعملها، بعلاقتها بعملها، في مكان ما في هذه الملفات كان لا بد من وجود تفسـير ما، ربما إشـارة لوقت وسـبب افتتان الطفلة آنا أو البنت الصغيـرة آنا بأرض الغابة. تكريس نفسـها لهذا الشـيء الوحيد الذي لم يخذلها قطّ، قطّ إلـى يومنا هذا، كان ثمـة الكثير من الرسـائل، عدد تجاوز كل الحـدود، ولكن النـاس الذين كانوا يراسـلون جوليوس وإيليس إيميلين لم يذكروا ابنتهم. اسـتمرت آنا بالقراءة، بسـرعة أكثر

وأكثـــر، متصفحة ومتفحصة تلك الرســائل، لم ترغب في تناول العشاء، وعندما حلّ الظلام، أنارت مصباحا واستمرت بالقراءة، شاقة طريقها عبر طوفان من الكلمات والرسائل والتعليقات التي كان لهــا قيمة لهؤلاء الناس الذين قضوا منذ فترة طويلة. وكانت تفتــح كل ملف، ومن ثــم تضعه جانبا، لقد تقدمــت آنا بالعمر، ولكن لم يذكرها أحد، في أحسن الأحوال، كانوا يكتبون «تحياتي لابنتكما» أو «عيد ميلاد سعيد لثلاثتكم»، فهي لم يكن لها وجود.

كان هناك مراسلات الوالد مع المكاتب الحكومية، وإيصالات رســوم العضويــة في النــوادي والجمعيات، وحســابات الوالدة المتعلقة بالمنزل، وتذاكر القطار التي تم حفظها من الرحلات إلى الخــارج، وبعض البطاقات من أناس فــي منطقة البحر الأبيض المتوســط حيــث يتذكر الناس فجــأة أصدقــاء لا يرونهم أبدا، وكذلــك «عزيزتي إيليس، تهانينا بتخــرج ابنتكم..»، وفيما بعد، تعازينا إلى إيليس إميلين، ثم توقفت الرسائل.

«طبعــا»، قالت آنا: «ربما كان ذلك عندما بدأت أرســم أرض الغابة».

29

في الصباح التالي، لم ترد آنا أن تنهض من الفراش، «ارحلي من هنا»، قالت آنا.

«هل أنتِ على ما يرام؟» سألت كاتري.

«أجل، لا أريد النهوض وحسب».

وضعت كاتري صينية الشاي على منضدة السرير. «ذلك هو الكتاب الخطأ»، قالت آنا: «لقد قرأته، على أية حال، إنه سخيف للغاية لدرجة أنني لم أكترث بمعرفة كيف انتهى، إن هذه الكتب تطرح الشيء نفسه، المواضيع نفسها مرارا وتكرارا»، ثم وضعت الوسادة فوق رأسها بانتظار شيء من المعارضة في الرأي، لكن كاتري غادرت المكان، في الردهة الخلفية، أوقفت ماتس وهو في طريقه إلى الخارج وخاطبته قائلة: «هلّا ذهبت وتحدّثت إلى آنا لبعض الوقت؟ إنها لا تريد أن تنهض من الفراش، ليس ثمة من سوء أصابها، لكنها تشعر بالنكد».

«لماذا؟» سأل ماتس.

«لا أعرف».

«ولكن ماذا ينبغي أن أقول؟».

«حسنا، شيء مما تتحدثان عنه في المساء؟».

«ليس ثمة الكثير»، قال ماتس: «نتحدث عن الكتب».

«لم تعد تمارس القراءة».

«أعرف ذلك، إنه لأمر سيئ».

«وما ذلك الشيء السيئ؟».

لم يجب ماتس، نظر إلى أخته فحسب، عندما ذهب إلى داخل غرفة آنا، تحدّث معها بأمور عامة حول الإبحار في القوارب، وكيف أنه لن يمضي وقتٌ طويلٌ حتى يبدأ الجليد بالتكسر.

«ماتس»، قالت آنا: «أدرك أنك هنا لمواساتي، وأن كاتري هي من أرسلتك».

«هذا صحيح».

«ولا يعنيني مثقال ذرة متى تبحر القوارب».

«أنتِ مخطئة، يا آنسة»، قال ماتس جادا: «إنه شيء مهم للغاية، ويمكنني أن أخبرك بأننا نصنع قاربا جميلا جدا الآن».

«حقا».

«وهو من رسوماتي»، توقف ماتس في الباب دون أن يسعفه لسانه بقول أي شيء آخر، وأخيرا سأل إن كان بإمكانه فعل أي شيء.

«بلى، ثمة شيء»، قالت آنا: «يمكنك أن تلقي كل هذا خارجا على الجليد، فهذا المنزل غدا مزدحما للغاية لدرجة أنني لا أكاد أتنفس!».

«ولكن هذا شيء محزن»، اعترض ماتس: «تلك الملفات باهظة الثمن، جاءت كاتري باللون الأبيض ليناسب الأثاث».

«خذها خارجا»، قالت آنا: «أوصلها إلى حيث كوم الأثاث المنتصب على الجليد، ستتناسق بشكل رائع معه، ومن ثم ستغرق

ســـويا معه، قلت إن الجليد يوشك أن يتكسّر، يسعدني أن أراها جميعا تغرق».

لم تأتِ آنا إلى العشـــاء، ولكنها، ذهبت إلى المطبخ بعد ذلك، عندما كان المنزل مظلما للبحث عن شيء مناسب في الثلاجة، لم تكد تبدأ بحثها في علب كاتري البلاســتيكية عندما ظهر ماتس في ممر الباب وحيّاها قائلا: «مرحبا».

«إذن أنــت هنا مــرة أخرى»، قالــت آنا: «انظــر كيف رتبت شـقيقتك هذه الأطعمة! لا يمكن لأحد أن يعرف ما في الداخل دون أن يفتح كل واحدة من هذه العلب البائسة.. هل ألقيت بتلك الأشياء على الجليد؟».

«نعــم، فعلت ذلــك، ولكن إن أردت أن تلقي بأي شـــيء آخر، فعليك الاستعجال، قد يتكسّر الجليد في أية لحظة».

«إنني أبحث عن بعض الجبن، ولكن لماذا ينبغي على الجبن أن يوضع بعلبة بلاســتيكية، هذا شيء لا يمكن أن أتخيّله، هل تظن أنها ستغرق؟».

«معظمها، ولكن بعضها سيطفو لبعض الوقت قبل أن يغرق».

«أتعرف يا ماتس أنني في بعض الأحيان أشــعر بتعب شديد دون أي سبب، ما الذي كنت تقوله عن رسوماتك لذلك القارب؟».

«لا شيء سوى أنها رسوماتي».

«أود أن أراها».

«ولكن أفضلها موجودة في ورشة القوارب، لديّ هنا رسومات أولية فقط».

«أحضرها إلى هنا».

«ولكنها ليست بتلك الجودة، إنها أولية جدا».

«يا ماتس»، قالت آنا: «اذهب وأحضرها، قد تكون هذه اللحظة الوحيدة في حياتك التي تأتيك فيها الفرصة لتُريَ رسوماتك إلى شخص يفهم حقيقة مفهوم الرسم».

جلست آنا ودرست الرســومات لفترة طويلة، متفحّصة إياها جميعا، وأخيرا قالت: «ذلك الخط جيد».

«يسمى خط الانحراف»، قال ماتس.

أومأت آنا بالإيجاب: «إنه اسم جيد، هل توقفت يوما ما لتفكر كيف للمصطلحات أن تكون جميلة ومعبّرة وتبقى مع ذلك واقعية؟ أسماء الأشياء، أسماء الأدوات، وأسماء الألوان؟».

ابتســم ماتس لآنا، ففي رسمة بعد الأخرى، كانت ترى الخط يتلمس طريقــه بعناد وصبــر، باحثا عن وجهــة نهائية لطاقته المكبوتة، وفجأة ولأول مرة رأت انجراف الثلج على الشــرفة، إنه ذات الانحناء: «أعتقد أن قاربك سيكون جميلا»، قالت آنا.

بدأ ماتس يشرح الموضع، بسيل من الكلمات، حاول ماتس أن يثقف آنا عن قيمــة الإبحار والقدرة التي تتمتع بها القوارب، لم يحاول تجنب المصطلحات الفنية التي لم تسمعها من قبل، ولكن آنا لم تكســر صمتها المصغي بطرح الأسئلة. أخيرا، اتكأ ماتس في كرســيه إلى الوراء، ومدّ ذراعيه مباشرة فوق رأسه وضحك: «بقوة عشــرين حصانا!» خاطبها قائــلا: «بالتمام والكمال! إلى الغاية العظمى!».

«نعم»، قالت آنا: «إلى الغاية العظمى، عرفت الآن لماذا لم تعد تكتــرث بقراءة قصص البحار القديمة، ليس الآن، بل وأنت تقوم بصناعة قاربك».

«لكنه ليس قاربي»، قال ماتس.

«إنه ليس قاربك؟».

«لا، فقط الرسومات لي، سيقومون ببيع القارب».

«ومن الذي سيشتريه؟».

«لا أظــن أن الإخوة ليليبيري يعرفــون ذلك بعد، هم يقومون بصناعته، ليس إلا»، انتصب واقفا ولفّ أوراقه.

«انتظر لحظــة»، قالت آنا: «لو كان لديــك قاربك الخاص.. فماذا كنت ستفعل؟».

«الخروج به، طبعا، والبقاء بعيدا لأيام عدة».

«وحيدا».

«بالطبع».

«كنت أتوق للحصول على قارب»، قالت آنا: «قارب لي خصيصا على الشاطئ كي أســتطيع الانطلاق متى شئت، دون معرفتهم، (الآخرين).. كنت أتخيل قارب تجديف أبيض، هل باســتطاعتك أن تقود قاربا يعمل بمحرك؟».

«أنا أقوم بتعلم ذلك»، قال ماتس.

فتــح باب الحديقة وانغلق مرة أخرى، انتظرا، ســمعا كاتري تسير في الردهة.

«هل من الصعب تعلم ذلك؟» سألت آنا.

«ليــس صعبــا إن كان لديك الرغبة في التعلــم، عندما ننزل القارب إلى الماء ونرسيه، سنقوم بفحصه للمرة الأخيرة، ومن ثم يحين وقت التفكير بتركيب المحــرك وخزانات الوقود والمقاعد، والمقصورة أيضا، كل هذه الأمور تأتي فيما بعد، الشيء المهم هو إخراج القارب من الطريق لإفســاح المجال في الورشــة للمهمة التالية».

كانـــت آنا نصف مصغية: «كنت أجدف فـــي الماضي»، قالت: «كنت أســـتعير قاربا وأجدف مبتعدة بنفســـي، ولكن لم يتســـنَّ الوصول للجزر بســـبب بُعدها، ومن ثم كان هناك دائما مشـــكلة العودة في الوقت المناسب للعشاء.. ولكن إذا اشتريت هذا القارب الـــذي صممته، فينبغي ألا تظن أنني ســـأقوم بالتنقل فيه طوال الوقت، قد لا أســـتخدمه إلا نادرا جدا. في الواقع، أحتاج فقط لأن أعرف أنه موجود.. فكرة وجوده، كما تعرف، ليس إلا، ينبغي ألا تنسى أنه لك».

«أنا لا أفهم ما تقولين»، ردّ ماتس.

«ما الذي لا تفهمه؟».

هزّ ماتس رأسه فقط ونظر إليها، بصرامة تقريبا.

«أنـــت تعتقد أنه مجرد كلام»، قالت آنـــا بفارغ الصبر: «أنت لا تعرف ذلك، إذا أردت شيئا ما حقا، فسأحصل عليه، إلى آخر الطريق، ولن يوقفني أي شـــيء، من المخجـــل أنني نادرا جدا ما أريد شيئا حقا هذه الأيام.. ولكنني أريد أن أعطيك هذا القارب، لا، لـــن نتحدث عن ذلك مجددا، ليس الآن، ويجب أن يبقى ذلك سرا، بيني وبينك فقط، والآن سآوي إلى الفراش، وسأنام جيدا ولفترة طويلة جدا».

30

«هل لديك دقيقة للتحدّث معي؟» تساءل ماتس، رفع ليليبيري نظره عن عمله، وأدرك أن الأمر له خصوصية. سـارا إلى إحدى جهات الورشة.

«ما الأمر؟».

«أنت لم تعِد بالقارب أي أحد، أليس كذلك؟».

«سنرى كيف تسير الأمور».

«لأن القـارب لـي»، همس ماتـس: «أتفهم، إنه لي، سـأكون مالكه».

«لا تقل ذلك، وكيف خططت لدفع تكاليفه؟ هل رتّبت ذلك؟».

«لقد رُتّب كل شيء».

«إذن، نجحـت الخطة أخيرا»، قال ليليبيري بلطف: «لا تقلق، لم نعِد بالقارب الشـخص الخطأ، إطلاقا، الشيء المهم هو أنني أعـرف ما سـأقول للآخرين، متبرع مجهـول الهوية؛ هذا يبدو جيدا، طالما أن الأمور قد تم ترتيبها».

ولاحقا في ذلك اليوم، كان ليليبيري يقف خارج الورشـة وهو يدخـن حين مرّت كاتري فـي الطريق: «مرحبا أيتها السـاحرة الصغيـرة»، خاطبهـا قائـلا: «إذن، بدأت الأمـور تتخذ مكانها المناسب».

توقفت كاتري وكلبها، فقد كانت تستلطف ليليبيري.

«يبدو أن كل شــيء يسير حسب الخطة»، قال لها: «ولا حاجة للاســتعجال بالدفعة الأولى، على أية حال، يســرني أنه لم يعد عليّ التظاهر بإخفاء الأمر، فالكل يعرف أن القارب لماتس الآن».

تجمّدت كاتري: «من قال ذلك؟».

«ماتس نفســه، طبعا، أخبرني بأنه قد تم ترتيب الأمور، هل ثمة خطأ ما؟».

«لا».

«تبديــن متعبة»، قال ليليبيــري: «ينبغــي ألا تأخذي الحياة بهذه الدرجة من الجدّية، فالأمور تســتقيم بنفسها إذا صاحبها الانتظار».

«كلا، لا تســتقيم بنفســها، لا شــيء ينجح بالانتظار فقط، وأحيانــا تتجاوز الحدود وأنــت تنتظر»، تابعت كاتري المســير، والكلب يتهــادى من خلفها، ظل ليليبيري واقفا يراقبهما معتقدا أن شيئا ما لم يكن في مكانه الصحيح.

ســارت كاتري تجــاه الرأس البحري، بهــدوء وبصوت عميق للغايــة، أعطــت كاتري الكلــب أوامر مرات عــدة، جرى الكلب جانبا، وقد انتصب الشــعر على كتفيه، وارتفعت أذناه إلى الأمام وكأنــه يتحفّز للهجوم، وفجأة فقدت كاتــري هدوءها وصرخت به، وقفت في الطريق هكــذا وصرخت بالكلب، صرخت بالعالم برمته، بكل الأشــياء التي لم تقوَ عليهــا، كلمات تلقائية خرجت مــن خيبة الأمل والإرهــاق، وبدأ الكلب بالنباح، لم يســمع أحد فــي القرية كلب كاتــري ينبح قطّ من قبل، كانــوا معتادين على ســماع نباح الكلاب الهجينة، ولكن هــذا النباح نباح كلب لصيد

الذئاب، وكانوا يسـمعونه في كل مكان ويتساءلون ماذا حدث، استمر الكلب بالنباح، وببطءٍ تبع كاتري إلى المنزل، قيّدته في الباحة، واستمر هو بالنباح.

«ماذا حدث لكلبك؟» سألت آنا: «لماذا يقوم بالنباح؟».

«لـم يعد كلبي»، ردّت كاتري: «لقـد أخذته مني، وماذا فعلت لماتس؟ لقد جلست الليلة تلو الأخرى، تهمسين عبر كتبك وتتفذين الصفقات..».

«ما الذي تتحدثين عنه؟ لا أعرف عما تتحدثين..».

«القـارب! قاربه! لقد منحتِه إياه»، اقتربت كاتري منها، كانت تنتحب بصمت، وقد تصلّب وجهها: «لقد منحتِه القارب»، قالت: «كان من المفترض أن يأتي مني، لا بدّ أنك قد عرفت ذلك».

«لا»، صاحت آنا: «لا، لم أعرف ذلك!».

«لعبة ماتس! لقد أخذتها على محمل الجدّية».

«لم أعرف ذلك»، كرّرت آنا: «لا تتصرفي بهذه الطريقة، أنتِ تخيفينني..».

«أعرف ذلـك»، قالت كاتـري: «ينبغي أن نعتنـي بك، فأنتِ حسّاسـة للغاية، وتحتقرين المال، وهو لا يعني شـيئا لك، فأنتِ تتبرعين به هكذا، وتجلسـين عليه وتلعبين به، وبغض النظر عما تفعلين، علينا الاعتناء بك، فإعطاء هدية شيء ممتع للغاية، أليس كذلك؟ لشـخص ودود يدهشـه ذلك ويجعله ممتنا؟ لقد عشت طوال حياتي معه، وانتظرت كل ذلك الوقت لأجعله سـعيدا، لقد تم تدوين كل شيء، جميعه مدون بوضوح وبأرقام صادقة وافقت عليها بنفسك، أليس ذلك صحيحا؟ كان لدي فكرة..».

شعرت آنا برعب شديد، وصرخت من أعماق دهشتها: «أنتِ

لا تعرفين شيئا عن الأفكار! ماتس هو من يعرف، وأنا أعرف كذلك، ونحن نحاول أن نشكّلها، ولكن كل ما تقومين به أنتِ هو الحساب.. اغربي عن وجهي».

لم ترد كاتري.

«كان لديّ فكرة واحدة»، قالت آنا: «نعم، ولكنها لم تعد موجودة، ألا تستطيعين إسكات كلبك؟».

* * *

أوه، يا آنا، دعي الكلب ينبح، دعيه ينُحّ معبّرا عن رثائي للنزوة وخداع الذات، للقسوة اللطيفة المكبوتة والتملّص والحماقة السهلة الضيقة الأفق؛ الحماقة بالذات، تلك الحماقة الموهوبة والتي ويعجز عنها الدواء، أرسلها أيها الكلب إلى الأعلى! لأنك لن تعرف أبدا ولن تفهم أبدا ما الذي كنت أحاول فعله!

* * *

نزلت كاتري إلى الشاطئ حيث كان ماتس يسير تجاهها.

«لماذا يقوم الكلب بالنباح؟» سأل ماتس.

لم تجب كاتري.

«لا بدّ أن شيئا ما حدث له، ماذا ستفعلين؟».

«لا شيء».

«لا شيء؟ ماذا تعنين؟ أنت تعرفين أنك الشخص الوحيد الذي يعتمد عليه ذلك الكلب».

«يا ماتس، أرجوك»، قالت كاتري: «لا تغضب، ليس الآن».

«ولكن يبدو الأمر وكأنك لا تكترثين».

هزّت رأسها بالنفي، لم يتكلم أي منهما، ومن ثم قالت: «انظر إلى تلك الصخور هناك، تبدو كالورود، أليس كذلك؟». نظرا

إلـــى الصخور الكبيرة على امتداد الشـــاطئ التي برزت الآن في فصل الربيع حالكة الســـواد مقابل الجليد المنحســـر، وحول كل واحدة منها تكسّـــر الجليد وبدا مثل بتـــلات ورود ضخمة، لقد كانت كاتري محقة؛ فتلك الصخور بدت فعلا مثل الورود، بأزهار داكنة امتدت بعيدا من خط الشاطئ وألقت بظلالها الطويلة عبر الجليد، وقد شكّلت الشمس، وهي على وشك المغيب، خطا ذهبيا لامعا إلى حيث قدميهما تماما.

«يا كاتـــري»، قال ماتس: «تعالي، أريد أن أريك شـــيئا، ولكن عليك الاستعجال، فلدينا بضع دقائق فقط».

كانت شـــمس المساء بالقوة نفسها داخل ورشة القوارب، تشع عليهما من كل ســـطح مصقـــول، مـــن كل أداة للعمل، مما جعل المكان يتلألأ مثل الذهب الداكن، مترعا بالمغيب والسكينة، نظرت كاتري إلى القارب، ما زال في عملية البناء، ما زال هيكلا فقط، في مرحلة التشـــبيك، وكان الأكثر لمعانا من الأشياء كلها، ومن ثم اختفت الشمس من وراء الأفق وتوارت الألوان.

«شكرا لك»، قالت كاتري: «هل من الممكن أن أبقى هنا لبعض الوقت؟ أعرف أنني بحاجة للخروج من الوجه البحري».

«نعم، يفضل ذلك»، قال ماتس: «ولا تنسي أن تغلقي المزلاج».

31

نبـح الكلب طوال الليل، وكان يعوي فـي بعض الأحيان، ومع اقتـراب الصباح، خرجت كاتري وفكّـت قيده، فجرى إلى داخل الغابة، فيما بعد، عاد النباح يُسمع من بعيد.

في اليوم التالي، قتل الكلب أرنبا؛ ليس أمرا مهما في حقيقة الأمر، ليـس إلا واحدا من أرانب الإخوة ليليبيري قتله كلب بدل أن يقطع رأسـه بعد يوم أو يومين حسب الخطة المعمول بها في المزرعـة. كانوا قد أخـذوا أماكنهم لتناول العشـاء، بدأ الكلب يضرب على باب الردهة، فأدخله ماتس، وجرى الكلب مباشـرة إلى آنا ووضع الأرنب الميت عند قدميها، أسقطت آنا ملعقتها في طبق الحساء وغدت شاحبة اللون.

«خذه إلى الخارج»، قالت كاتري: «سريعا، يا ماتس».

جلسـت آنا بلا حراك، وهي تحملق بالأرضيـة، لم يكن ثمة الكثير مـن الدم، بضع نقـاط فقط. نهضت كاتـري، ووضعت منديلها على نقاط الدم البائسـة، ثم ذهبت إلى آنا وقالت: «إنه ليس بالأمر المهم، لا شيء يستحق الشعور بالانزعاج».

«قد يكون الأمـر كذلك»، علّقت آنا وعادت لتناول حسـائها ببطء: «اذهبي للجلوس في مكانك»، وبعد بضع لحظات، أضافت: «يا كاتري، أنتِ تعاملينني بلطف».

أُلقي بالأرنب الميت خارجا على الجليد.

32

استمر الكلب بالنباح في الليل، أحيانا عن بعد، وأحيانا قريبا من المنزل، مع اقتراب الصباح، كان يقوم بالعواء، كان من الممكن أن تهدأ الأمور لساعات، ولكن ثمة من هم يرقدون في الفراش ينتظرون العواء التالي، ثم يسألون: «هل سمعت ذلك؟ إنه يشبه وجود ذئب في الغابة، ثمة امرأة بائسة لديها كلب بائس، ينبغي قتله».

لم تتحدث كاتري عن الكلب، ولكنها كانت تضع الطعام والماء في الباحة، وأحيانا خلال الليل كان ماتس ينتظر بجانب باب المطبخ والنور قد أُطفئ والباب مفتوح، لقد رأى الكلب مرة واحدة، تماما عند انبلاج الفجر، وخرج ببطء شديد على الدرج وحاول استمالته، لكنه جرى سريعا إلى داخل الغابة، فتركه لشأنه.

في يوم أحد ما، جاءت السيدة نيغارد للزيارة، كانت قد صنعت خبزا، وأتت ببعضه وهو ما زال ساخنا، ملفوفا بمنشفة. «يا آنسة إميلين»، قالت: «أود التحدث إليك منفردة. إن كان ذلك لا يزعج كاتري. كما أرى، أنتما معتادتان على الجلوس معا على الطاولة». انتقلت سريعا إلى الموضوع المعني: «أنا أكبر منك سنا، يا آنسة إميلين، ومن هنا سأجازف بالتحدث عن أشياء قد تبقى كامنة

في أوضاع أخـــرى، فالناس في القرية بدؤوا يلغطون، واعتقدت أنه من حسن التصرف أن آتي إلى هنا وأستفسر عما يحدث في بيت الأرانب».

«ماذا يقولون» ســـألت آنا سريعا: «ما الذي يقولونه عني؟ هل هو صاحب المتجر؟».

«يا عزيزتي، أرجوك، لنناقش الموضوع دون إثارة..».

«أوه، أنا أعرف ذلـــك»، قاطعتها آنا: «إنه هو، ولا أحد غيره، فهو رجل شـــرير، وليس محل ثقة»، ظهـــرت بقع حمراء بوضوح فجأة على خدي آنا، وكانـــت عيناها حادتين عندما انحنت نحو ضيفتها: «هذه هي الحقيقة؛ قولي ذلك، إنه هو، وإلا، فهم الإخوة ليليبيري، إنهم يمارســـون الغش، يغشّون ماتس، فماتس لم يتلقَّ أجـــره الكامل طوال الوقت، والكل يعرف ذلـــك، وهذا كله يتعلّق بالقارب، أليس كذلك؟».

بقيت السيدة نيغارد صامتة لفترة طويلة، وأخيرا قالت جادة: «كان لديّ شـــعور أن الأمور ليست على ما يرام هنا، والآن أدرك أنني كنت محقة، أصغي إليّ الآن، يا صديقتي العزيزة الصغيرة، نحن نريد أن نعرف ما إذا كنت على ما يرام، لماذا يســـتمر ذلك الكلب بالعواء؟».

دفعـــت آنا بفنجان قهوتها بعيدا. «أرجو المعذرة»، قالت: «فأنا لـــم أحب القهوة حقا قـــطّ، كنت أحبها، أعنـــي، كنت أظن أنني أحبها.. لا أعـــرف، لا أعرف لماذا يقوم بالعواء، لا أريد التحدث عن ذلك».

«يا آنسة آنا، هل القارب هدية منك؟».

«لا، إنه هدية من كاتري».

«أوه نعـــم، كاتـــري، نعم، فقد كانت تجمّع لـــه منذ وقت ليس بالقصير».

«وماذا لو كان الأمر كذلك؟» آنا تعجّبت متحدية: «توفّر كاتري المال منذ وقت طويل، وقد دوّنت كل شيء في أحد الدفاتر!».

أومأت الســيدة نيغارد برأســـها ببطء. «نعــم، فعلا»، قالت: «لا يملك الجميع عقلا بارعا يفكر به».

«إن كاتري محل ثقة!» اســتمرت آنا بحماس: «فهي الشخص الوحيد الذي أستطيع الاعتماد عليه!».

«ولكـــن لماذا أنــتِ مثارة إلـــى هذه الدرجـــة؟ نحن نعرف جميعـــا أن كاتري كلينغ امرأة كـفءٌ وصادقة، يا عزيزتي آنا الصغيرة..».

قاطعتها آنا مرة أخرى: «لا تقولي عزيزتي الصغيرة.. انتظري، انتظري لحظة، ليس ثمة من شـــيء..». بعد برهة قصيرة، برّرت أنه بداعي العمـــر، اغرورقت عيناها بالدمع ســريعا.. «وكذلك بسبب شمس الربيع. مزيد من القهوة؟».

«لا، شكرا، لا أريد مزيدا منها».

جلســت الســيدة نيغارد بهدوء تنتظر ويداها مكتوفتان على بطنهـــا، أخيرا تولّت آنا الحديث للتكلم عن شـــيء طالما أزعجها منذ فترة ليســت بالقصيرة؛ ألا وهو أنها بدأت تتحدث بالســـوء عن الآخرين. «لم أعتد على فعل ذلك قطّ»، قالت: «صدّقيني، لم أفعل ذلك البتة، جاء شـــخص لوالدتي مرة وقال: (ابنتك مختلفة عن غيرها، فهي لا تتحدث بالســـوء عن الآخرين أبدا)، ما زلت أتذكر ذلك، أتذكره بكل وضوح، ولكن لماذا؟ هل كنت أثق بالجميع؟ أو أن الأمر يعبّر عن مسامحتي لهم فقط؟».

«حسـنا»، قالت السـيدة نيغارد: «ذلك الأمر حدث منذ وقت طويل، أليس كذلك؟».

«ولكنك تثقين بالآخرين، أليس كذلك؟».

«نعـم، أظن أنني أثق بهم، لـمَ ينبغي عليّ ألا أفعل ذلك؟ يرى المرء ويسـمع الكثير عن الطريقة التي يتصرف بها الناس، ولكن تلك مشـكلتهم، لا يريد المرء أن يجعل الأمور أكثر سـوء بالظن بأنهم لا يعنون ما يقولون».

«بدأ الظلام يخيّم على المـكان»، قالت آنا: «لا أريد تأخيرك أكثر من اللازم».

«أنا لسـت على عجلة من أمري»، قالت السيدة نيغارد: «لقد مرّت تلك الأيام، ولكن أظن أن عليّ الذهاب على أية حال، أحيانا ليس من الحكمة تجاوز الحدود في الحديث دفعة واحدة».

توقف الكلب عن العواء في تلك الليلة.

33

اقترب فصل الربيع، وخلال النهار، نفثت التربة من تحت الأشجار بخارا في ظل الشمس الدافئة، في حين كانت الليالي باردة للغاية وزرقاء غامقة، وكانت فترة تتألق جمالا، كان القارب جاهزا تقريبا للإبحار، ولكن لم يتحدّث عنه أحدٌ في بيت الأرانب، وقد وصلت أسراب البط. وفي إحدى اللّيالي، بدأت الرياح تعصف من جهة البحر، كانت كاتري تستلقي مصغية، تستذكر ليالي الربيع التي اعتادت فيها النزول إلى الماء وانتظار الجليد ليتكسّر، كانت صغيرة جدّا حينها، وعندما كان يحين وقت قدوم أولى طيور النّورس، اعتادت أن تذهب لانتظارها، كانت تلك الطيور تأتي في الليلة نفسها تقريبا في كلّ عام.

أجل، كانت تأتي في اللّيل دائما، كنت أقف دون حركة وأصغي، وحيدة تماما بصحبة الطبيعة والليل، وحتى في ذلك الوقت كنت أتمتّع بالصّبر الذي أملكه الآن، وكانت أفكاري آنذاك كبيرة كما هي الآن؛ خطط وانتصارات في العالم الرحب، ولكنها كانت مجرّد أفكار دون موطئ قدم أو هدف واضح، كانت قوية فقط، ولكنني الآن أعرف ما أريد.

لم يأتِ كاتري النوم في تلك اللّيلة، فنهضت عند الفجر، وارتدت ملابسها، وخرجت، لم يكن الجو باردا، ولكن الرياح

كانت قوية ومنتظمة. كانت الشمس على وشك الشروق، وكان الضوء الشفاف واللطيف نفسه، وقد خلا من أي لون، مخيّما عبر الشاطئ والجليد والسماء، وقفت كاتري على نهاية رصيف الأسماك تراقب الجليد يرتفع وينحني من فوق الموجة المتجهة نحو الشاطئ، موجة طويلة وبطيئة ترتفع وتنخفض باستمرار.

سيتكسّر الجليد ولكن ليس بعد، فالجليد صلب للغاية، ولا بد من وجود مياه مفتوحة لمسافة أطول، سيقوم الناس بإطلاق القوارب في الماء قريبا، لماذا لا يقول شيئا عن القارب؟

كانت كاتري تسير نحو المنارة، وفي منتصف الطريق، لمحت الكلب يتبعها على أطراف الغابة، متواريا بين الأشجار أحيانا، وعند وصولها إلى المنارة، كان قد اختفى. صعدت كاتري الدّرج المؤدي إلى باب المنارة المقفول، والشمس تشع مباشرة في عينيها، وعلى خط الشاطئ تماما، كان الجليد قد تكسّر، كانت رقائق الثلج تخشخش وتهمس عند ارتطامها بالصخور، قبل أن تتراكم وتتكسّر، وقد كانت المياه داكنة للغاية.

كان الهجوم صامتا، ولكن كاتري أحست بشراسة الكلب ونواياه العدوانية، فرمت بنفسها على جدار المنارة، ووضعت يديها أمام وجهها، كانت قفزة الكلب عظيمة، جديرة بحيوان ضخم لم يستخدم قطّ قوته الحقيقية، وللحظة أحست بأنفاسه الحارة تطبق على حنجرتها، خدشت مخالبه الإسمنت بينما انخفض جسده الثقيل إلى الوراء، وقفا بلا حراك، يحدق كل واحد منهما بالآخر، بعينين صفراوتَي اللون. وأخيرا أرخى الكلب أذنيه وأنزل ذيله، ثم استدار فجأة وجرى تجاه الشرق، بعيدا عن القرية.

* * *

كان ماتـــس يجمع الحطب في الباحــة الخلفية عندما عادت كاتري إلى المنزل، فقال على الفور: «ما الذي حدث؟».

«لا شيء».

«ما الذي مزق معطفك؟».

«إنه الكلب، ولكنه أخطأ الهدف، ولم يحدث أي شيء».

فسار نحوها: «ما زلت تقولين إن شيئا لم يحدث، ماذا حدث للكلب؟».

«لقد لاذ بالفرار».

«هذا أمر مؤســـف، والآن قد لا يعود أبدا، سيصبح متوحشا، ولن يبقى على قيد الحياة، وما زلت تقولين إن شيئا لم يحدث».

«دعه يذهب»، ردّت كاتري: «ماذا تريدني أن أفعل؟».

«الاهتمام! يجب أن تهتمي به! إنه كلبك، وأنتِ تخيفينه».

«أنت تكرر نفسك يا ماتس»، خاطبته قائلة: «لقد أفرطت في قضاء الوقت مـــع آنّا، كن حذرا، فهذا ليس لصالحك في الوقت الحالي»، ثم لم تستطع كاتري أن توقف نفسها، فبدأت بالصراخ على شـــقيقها الحبيب: «ما الذي تظنه؟ ما الذي يجري برأيك؟ ألـــم أحاول؟ لقد عملت صفقة مشـــرفة، لقـــد حاولت أن أقدم الحماية، ووفّـــرت الأمن حين لم يكن ثمة أمـــان، ولا توجيهات، ولا شـــيء على الإطلاق! أنا من وفّر الأمـــان، ماذا تظن؟ ألم تر الدرب الذي سرت فيه عبر القرية مع ذلك الكلب جنبا إلى جنب، كأننا مخلـــوق خارق للعادة؟ لقد كان ذلـــك الكلب واثقا وفخورا بنفســـه كملك! كانت جميع الكلاب الهجينة تلوذ بالصمت عندما نمر بها، كنا نعول على بعضنا، لم يترك أيٌّ منا الآخر وحيدا في مأزق، كنا واحدا، جسدا واحدا، وقد توقعت..».

«ما الذي توقعته؟».

«لا أعرف»، أجابت قائلة: «ربما أن تؤمنوا بي جميعا، أن تثقوا بي.. عندما تنتهي من كومة الحطب، تذكّر أن تغطيها، اســتخدم ذلك اللوح المعدني خلف المخزن».

في الردهة الخلفية، طوت كاتري معطفها ووضعته على ظهر الصندوق الصغير الذي كانت عائلــة إميلين تخزّن فيه الأحذية الشتوية.

34

غدت الليالي مضيئة وباتت أقصر مع مرور كل يوم، لم تستطع كاتري النوم، أخيرا قامت بتغطية النافذة ببطانية، ولكن ذلك لم يحل المشكلة إطلاقا، كانت تدرك أنها ليلة ربيعية، النوم والظلمة يقترنان، أما الليالي المضيئة، فتسبّب أرقا وقلقا.

لماذا كان ماتس غاضبا جدا مني؟ ألا يستوعب الأمر؟ ينبغي أن يدرك مدى الجهد الذي أبذله طوال الوقت، كي أخضع كل شيء أقوم به لاختبار صارم؛ كل فعل، كل كلمة أختارها دون غيرها من الكلمات، إذا كنت تحاول بكل ما أوتيت من قوّة، أليس من الأجدر أن تكون دوافعك هي الأكثر أهمية؟ أليس من الأجدر إعطاؤها أهمية أكثر من النّتيجة النّهائية؟ وإذا كنت تفعل كل ما بوسعك لتحمّل المسؤوليّة وتقديم الحماية، دون إعطاء الراحة الشخصية ولو مساحة صغيرة..؟ ينبغي ترك الناس الذين يعتمدون على غيرهم كي يعتمدوا بشكل كامل على الشخص الذي يتّخذ القرارات عنهم، ويعلّمهم، ويوجّههم، ويمنحهم الشعور بالأمن والأمان.. ينبغي على الجميع أن يستوعب ذلك.. وأين ذلك الكلب، إلى أين هرب في هذه الليلة؟ لم يعد يثق بأي أحد بعد الآن، فقد أصبح يشكّل خطرا كما الذئاب، ولكنّ الذّئاب تتصرف بشكل أفضل، فهي تتجول في مجموعاتٍ، إن الحيوانات

التي تكون بمفردها فقط هي التي تتعرّض للمطاردة أو القتل..

خرجت كاتري إلى الساحة، لم يأتِ الكلب إلى المنزل، فطعامه لــم يُمس، كان ثمة ضوء في المطبخ، فتحــت آنا النّافذة ونادت: «كاتري؟ أهذه أنتِ؟ أين وضعت ما تبقّى من كرات اللّحم؟».

«إنها في الأسفل، جهة اليمين، في وعاءٍ بلاستيكي مربع».

«إذن، أنتِ أيضا لا تستطيعين النوم؟».

«بلى، فالأمر يستغرق وقتا لأعتاد على هذه الليالي المضيئة».

«لقد كنت أحبها»، قالت آنا: «كنت أحب الكثير من الأشــياء»، بدا صوتها باردا.

«عندما كنتِ صغيرة السن؟».

«كلّا»، ردّت آنا: «قبل مدة ليست ببعيدة، بالمناسبة، لا أريد أن أتناول أي شيء، ويمكنك إحضار طبق الكلب من الخارج، فهو لن يرجع إلى هنا، يريد الابتعاد عنك». أطفأت آنا النور في المطبخ. في الشرفة، انعكس ضوء الليل بقوة على كل النوافذ المطلة على البحر.

من خلفها قالــت كاتري: «أنّا؟ انتظري قليلا؛ لا تغادري بعد، هــلّا أخبرتني ماذا حدث لك من فضلك؟». وعندما لم تجب آنّا، أكملت كاتري قائلة: «ألا تعرفين عمّا أتحدث؟».

«أجل، أعرف»، أجابت آنّا وقد تغيّر صوتها؛ كان صوتا رحيما: «أعرف عمّــا تتحدّثين، ما حدث لي هو أنني لم أعد قادرة على رؤيــة أرض الغابة». ثــم ذهبت إلى غرفتهــا وأغلقت الباب من خلفها.

35

فـــي يوم ربيعيّ جميل وهـــادئ جاء ماتس وقـــال: «بإمكانكم أن تأتوا وتشـــاهدوا الآن، لقد قمنا بتنظيف الورشـــة ونحن لن نعمـــل اليوم»، لقد كان مســـرورا جدا بذلك، وفـــي الطريق إلى الميناء، كان ماتس يشـــرح لـــكل من كاتري وآنـــا أن أفراد عائلة ليليبيـــري لم يعرضوا قطّ عملا نصف مكتمل، فحتى المشـــتري لم يكن يُسـمح له بالدخول إلى الورشـــة إلى أن يتم الانتهاء من تجهيز القارب للإبحار: «بالطبع، الرســـومات موضوع آخر، فهم يقومون بمراجعتها مرات عدة مع المشـــتري حسب رغبته، ولكن بعد ذلك عليه أن يدعهم يصنعونه، وذلك هو الفرق بين الحرفي والمشتري».

وعندمـــا دخلوا ورشـــة القوارب، قام الإخـــوة ليليبيري، وهم يقفون بجانب طاولة العمل، بإلقاء التحية بتحفظ ولباقة وتركوا الأمـــر لماتس كي يقوم بعرضه. كان ماتس صغير الســـن ومفعما بالحيويـــة، ولم يكن قد اكتشـــف بعد صمت المحتـــرف الفخور، كانت الأرضية قد نُظفـــت والأدوات معلقة في أماكنها المحددة، وانتصـــب القارب وحيدا في منتصف الورشـــة، وقد وقّع بحرف «و» الرنّان الذي يشـــير إلى «واستربي». كان شرح ماتس سريعا وهادئا، فقد غطى جميع الخصائص التقنية للقارب، وقاد كاتري

وآنا حوله، لافتا انتباههما إلى تفاصيل استلزمت منه الكثير من التفكير وواجه صعوبة في إنجازها، ولم تنطق المرأتان إلا بالقليل، إذ كانتا تصغيان إليه باهتمام بالغ، وتومئان برأسيهما بين الحين والآخر كما يومئ شخص عندما يعجب بقطعة فنية جيدة. وأخيرا، توقف ماتس عن الكلام ووقفوا ثلاثتهم بجانب السارية بصمت.

«حسنا»، قال إدوارد ليليبيري وهو يسير نحوهم: «الآن وقد رأيتم القارب، نحن جاهزون، سنقوم بإبحاره قريبا، والآن لم يبق سوى أمر مهم واحد، ألا وهو تسميته، فما عسانا أن ندعوه؟».

لم ينبس أحد ببنت شفة، وأخيرا وضعت آنا يدها على السارية وقالت: «يمكن أن نسميه (كاتري)؟ ذلك اسم جيد لقارب، وعلى أية حال، فهو هدية من كاتري إلى ماتس».

«هذه فكرة جيدة»، قال إدوارد: «لنشرب نخبه عندما يحين الوقت»، اقترب إخوته وصافحوه، وبدؤوا نقاشا عاما حول المكان الذي ينبغي وضع الاسم فيه؛ على مقدمة القارب أو على مؤخرته، أو ربما على جانب المقصورة، إما بأحرف نحاسية وإما منحوتة في الخشب، وفجأة سألت آنا: «ولكن أين كاتري؟».

«ربما ذهبت»، أجابها أحد الإخوة، وقد خطر بباله أنه كان بإمكانها أن تودّعهم على الأقل، فوضع اسم شخص على قارب لا يحدث كل يوم.

قال إدوارد: «فلننهِ حديثنا هنا ونأخذ استراحة لبقية اليوم، إن كان الجميع راضياً، فأنا سعيد بالتأكيد».

سارت آنا وماتس عائدين إلى المنزل، وكان التل المؤدي إلى هناك موحلا ويعج بجداول المياه.

«دعني أتكئ عليكِ»، قالت آنا : «فهذا التل يسوء كل عام هكذا، وهو أسوأ حالا الآن».

«ثمة أمر أعجز عن فهمــه»، قال ماتس مترددا : «تحدثنا في ذلك المساء عن القارب، يا آنسة إميلين، وقلت لي...».

قاطعته آنا قائلة: «أجل، أجل، فأنا أقول الكثير من الأشياء، كنت مخطئة، لقد ادّخرت شــقيقتك لذلــك القارب منذ وقت طويل، كي تســتطيع إهــداءه لك، والأكثر من ذلك، أنا لســت الآنســة إيميلين، أنا آنا، والآن دعكَ مــن القلق حيال مختلف الأمور، قرر فقط كيف تريد الأســرّة وصندوق المحرك وكل ما يتبع ذلك».

* * *

رأت كاتري مجسّــما لقارب فــور دخولها غرفتها، كان ماتس قد وضعه في النافذة، حيث انعكس ظله مقابل الســماء، أغلقت الباب واقتربت منه، وقد لاحظت أن النموذج كان طبق الأصل في أدق التفاصيــل، لا بد أن ماتس أمضى وقتا طويلا في تصميمه، فقد اســتخدم أنواع الخشــب ذاتها، كان هناك أسرّة، وصندوق للمحــرك، وحبل، وكل شــيء، وكانت التجهيــزات مصنوعة من النحاس، وكان الاســم منحوتا بدقة على مقدمة القارب حســب قواعد الخط الكلاسيكي، الاسم كان (كاتري).

* * *

لقــد وصلوا إلى المنزل، ذهبت آنــا إلى غرفتها، صعد ماتس الدرج، ســمعت كاتري وقع خطواته، وأرادت أن تخرج إليه فورا، ولكنها شــعرت بالإحراج وثبتت فــي مكانها ولم تعرف ما ينبغي قولــه، وقبيل أن يهمّ بإغلاق بابه، انفكّ ترددها، فأســرعت إليه

وأخذتــه بين ذراعيها، للحظة فقط، ولــم ينبس أي منهما ببنت شفة، كانت تلك المرة الأولى التي تتجرأ فيها كاتري على عناقه.

* * *

مع اقتراب فترة ما بعد الظهر تلاشـــت الرياح وغدا المحيط هادئـــا للغاية، خلا نباح بعض الكلاب في القرية من حين لآخر، ولم يصدر أي صوت من غرفة آنا طوال اليوم.

أعـــرف، لقد ذهبت للنوم مرة أخرى، لقد باتت تلف نفســـها بالأغطية، وتمضي وقتها في النوم لأنها لم تعد ترى أرض الغابة، ولم يعد ثمة شـــيء البتة ترغب بالقيام به، فهي تتبّثتي بالأرض، حيث هي طـــوال الوقت كثقل ما، إنها هي، آنـــا إميلين، ما زلت أتذكـــر الكلب في منزلنا، عندما كنت فتـــاة صغيرة، ذلك الكلب الـــذي كان يقتل الدجاج، لقد ربطوا دجاجة ميتة حول عنقه كان يحملهـــا طوال اليوم حتى جثم هناك بـــلا حراك مغمضا عينيه وقد انتابه شـــيء من شعوره بالخجل. إنها القسوة بعينها، وليس ثمة ما هو أســـهل من أن تجعل شخصا يشعر بتأنيب الضمير.. هل سيبقى الوضع على ما هو عليه؟ ربما، هل تظن أنها الوحيدة التي تشـــعر بالتعب، مختبئة في فراشـــها، مستسلمة لأن العالم ليس كما تخيّلته؟ هل هي غلطتي!؟ كم من الوقت يحق لشـــخص أن يبقـــى حاجبا النـــور عن عينيه؛ ما الـــذي تتوقعه آنا إيميلين هذه.. ماذا تريد مني أكثر مما فعلت؟ لو كان حقا ما تتظاهر به، لكان الخطأ حليف كل شيء، لكان كل شيء فعلته وقلته وحاولت أن أجعلها تلاحظه بمنتهى الشـــناعة، ولكن براءتها رحلت عنها منـــذ زمن بعيـــد، ولم تلاحظ ذلك قطّ، إنهـــا لا تأكل إلا النبات فقط، ولكنها تمتلك فؤاد شـــخص يـــأكل اللحوم، وهي لا تعرف

ذلــك، ولم يخبرها أحد به، ربمــا لا يهتم الآخرون بها بما يكفي لفعــل ذلك، ماذا عليّ أن أفعل؟ كم هي الأنواع المختلفة للحقيقة، ومــا الذي يبررها؟ ما يؤمن به المرء؟ مــا يحققه؟ خداع الذات؟ هل النتيجة هي من تحدد الأمر؟ لم أعد أعرف.

طرق عصا آنا على الســقف مرات عدة بغضب، عندما نزلت إليها كاتري، كانت تجلس في ســريرها وقد لفّت نفسها بإحكام بالغطاء. «مــاذا تفعلين في الطابق العلوي؟» ســألت آنا كاتري: «أنتِ تتحركين جيئة وذهابا لساعات! وأنا أحاول النوم».

«أعــرف ذلك»، قالت كاتري: «هذا كل مــا تفعلينه، النوم، ثم النوم، هل تظنين أن الأمر ســهل بالنســبة لــي، وأنا أدرك أنك تقضــين أيامك في النوم لأنه لا شــيء يعكس تماما ما فاض به خيالك».

«ماذا تعنين؟»، ســألت آنا: «مــا وجدت لتعظي حوله؟ لا أنعم بالهدوء قطّ في هذا المنزل، ألستِ مسرورة بقاريه؟».

«بلى، يا آنا، إنني مســرورة بقاريه، كان تصرفا شــهما منك، أو بالأصح فهو ببساطة تصرف منصف».

«كمــا تشــائين»، قالت آنا منزعجة: «ومــا الضير في رغبتي بالنوم؟ على أي حال، لقد أيقظتني تماما الآن، اجلسي وتمالكي نفسك، ما المشكلة؟».

«ثمة شيء عليّ أن أخبرك به، إنه أمر مهم».

«إن كانت شركة المطاط المتحدة الآن، فمرة أخرى..»، شرعت آنا بالحديث.

«كلا، إنه أمر مهم، أصغي إليّ، أصغي بعناية، لم أكن صادقة معك، ينبغي أن تعرفي أننــي كذبت عليك منذ البداية، أخبرتك

بأشياء غير صحيحة عن الآخرين، كنت مخطئة وعليّ أن أخبرك الآن، لقد فات الأوان ولكن عليّ قول ذلك»، تكلمت كاتري بسرعة للغاية، وقفت في الباب ونظرت إلى الجدار من خلف آنا.

«رائع»، قالت آنا: «رائع حقا»، انتصبت وعدّلت رداءها وأعادت الغطاء إلى مكانه: «أنتِ مدهشة، أحيانا أظن أنك أكثر شخص جدّيّ في العالم على الإطلاق، الآخرون يتكلمون، أما أنتِ فتصرحين، والشيء الوحيد المسلّي فيك هو أنك فجأة تقولين شيئا غير متوقع منك البتة، هل أنتِ تقومين بالتسلية الآن؟».

«كلا»، قالت كاتري دون أن تبتسم.

«هلاّ أعدتِ كل الأشياء التي قلتها للتو؟».

«كلا».

«قلتِ إنك كنتِ تخبرينني بقصص وهمية».

«أجل».

«وماذا يعني ذلك؟».

«يعني..» قالت كاتري بصعوبة: «يعني أن أولئك الناس لم يغشّوك، بأولئك الناس أعني الناس الذين كنتِ تتعاملين معهم، الناس الذين من حولك، والناس الذين كانوا يراسلونك، فهم لم يغشّوك، يمكنك أن تثقي بهم من جديد».

«خذي سيجارة واجلسي»، قالت آنا: «لا تقفي هناك تنظرين بهذه الطريقة، ثمة منفضة للسجائر، هل أنتِ تتحدثين الآن عن صاحب المتجر، على سبيل المثال، وليليبيري؟».

«أجل».

«أو ربما سيئة السمعة فرو سندبلوم؟» قالت آنا وضحكت.

«يا آنا، هذا أمر جديّ، إنه مهم للغاية».

لكن آنا استمرت بالحديث بمعنويات عالية ومزعجة فجأة: «مهم؟ ماذا تعنين بمهم؟ ربما ذو معنى؟ هل تتحدثين عن شركة البلاستيك؟ تعنين أنهم لم يكونوا يغشّونني؟ كانوا طيبين مثل ناشري؟ كانوا فقط ببراءة أولئك الأطفال المحرومين الذين كانوا يريدون الاستحواذ والاستحواذ باستمرار.. هل هذا ما تحاولين قوله لي؟».

«يا آنا، أرجوك».

«لم يكونوا يغشّونني؟ ولا واحد فيهم؟».

«ولا واحد فيهم».

«أنتِ شخص غريب جدا»، قالت آنا: «تقدمين حساباتك وبراهينك، تجدين الشر في الجميع وتقنعينني بذلك، ثم تأتين إليّ لتقولي، تجرئين أن تأتي إليّ لتخبريني بأن كل ذلك غير حقيقي؟ لماذا تفعلين هذا؟».

كانتا جالستين في كرسيين يقابلان الطاولة الصغيرة التي كانت مقابل الجدار، حدّقت آنا بكاتري، وفجأة بدا لها أنها لم تر قطّ إنسانا أكثر حزنا من كاتري كلينغ: «هل تحاولين أن تكوني لطيفة معي؟» سألتها.

«أنتِ مرتابة الآن»، ردّت كاتري: «ولكن ثمة شيء واحد يمكنك تصديقه، لا أحاول أبدا أن أكون لطيفة، سأكرر ما قلت حتى تصدّقيني».

«ولكن لا يمكن أن أصدقك أبدا بعد ذلك؟».

«لا، لا يمكنك ذلك».

انحنت آنا من فوق الطاولة وقالت: «يا كاتري، ثمة شيء فيك يتجاوز الحدود..»، كانت تبحث عن الكلمة المناسبة: «.. شيء

مطلق، وهو لا يقودك إلــى أي وجهة، ألن يكون من الأجدر الآن أن تذهبي وتســتلقي على سريرك لبعض الوقت؟»، وضعت يدها على يد كاتري: «لســاعة أو ساعتين، ليس إلا، ومن ثم يمكننا أن نستوعب كل هذا».

«شــيء مطلق»، قالت كاتري: «وهو لا يقودني إلى أي وجهة؟» ثم أطفأت ســيجارتها: «إن كان ثمة شيء مطلق، فهو فيكِ، وهو يقودك مباشرة حيث الوجهة التي تريدينها، وأنا أعرفها، سأكتب لك رسالة».

«لا رسائل بعد الآن..».

«تلــك الرســالة، لا غير، ولا يســمح لك أن تلقــي بها داخل الخزانة، ســأثبت لك أنني كنت مخطئة، لقد قلت ذلك بنفسك، بأنني أســتطيع الحســاب والبرهان، ســأقنعك وصولا إلى أدق التفاصيل بأنني كنت مخطئة».

«يا كاتري»، قالت آنا: «ألا يمكنك الذهاب وأخذ غفوة قصيرة؟ لقد كان يوما طويلا».

«أجل»، قالت كاتري: «لقد كان طويلا، سأذهب».

36

عندمـــا عادت كاتري إلى غرفتها، أخرجت حقيبتها من تحت السرير، فتحتها، ثم جلست على حافة المرتبة وأصغت، ليس إلا، كان مســـاء هادئا للغاية، ولكن ذلك الصمت الهادئ لم يســـعفها البتة في أن تقرر ما عليها فعله، تداعت في رأسها كلمات وصور؛ كلمات لم تنطق أو متســـرعة، صـــور غير مألوفة أو مألوفة أكثر مـــن اللازم، والصورة الأخيرة التي ثبتت كانت صورة الكلب، كلب يجري ويجري دون توقف حاملا شارة جلد الذئب المشؤومة.

37

في صباح مهم تم التفكير فيه بعناية، خرجت آنا في ساعة مبكرة جدا للعمل، كانت قد اختارت المكان في اليوم السابق، وأخذت معها كرسيا منخفضا بشكل كاف للجلوس عليه ليكون صندوق الألوان وكأس الماء في متناول يدها، لم تكن آنا تستخدم مسندا للرسم، فقد بدت مسندات الرسم لها كإجراء شكلي واضح مبالغ فيه. أحبت أن تعمل بأكبر درجة ممكنة من البساطة، إذ كانت تبسط الورقة على لوح في حجرها، قريبا من يدها، كان الضوء في أحسن حالاته صباحا، أو في المساء عندما تتعمق الألوان، لذا كان على الرسّام أن يعمل سريعا قبل أن تتلاشى الظلال وتختفي.

جلست آنا بانتظار أن تتقشع غشاوة الصباح عبر الغابة، كان السكون الذي تحتاج إليه تاما، وحينما اختفت جميع العناصر الدخيلة، ظهرت أرضية الغابة، رطبة وداكنة وعلى أهبة الاستعداد لتتفجر بكل ما تختزنه من نباتات. كانت فكرة إقحام الأرانب الوردية في أرضية الغابة ضربا من المحال.



أ. د. محمد فرغل

- من مواليد بلدة سوف - الأردن، العام 1956.
- حاصل على شهادة الدكتوراه في اللغويات العامة، جامعة إنديانا، 1986.
- عمل أستاذا للغويات والترجمة في جامعة اليرموك بالأردن، ثم التحق بجامعة الكويت منذ العام 2001.
- نشر عشرات الأبحاث العلمية في المجلات الإقليمية والعالمية.
- ألف العديد من الكتب الأكاديمية، آخرها عام 2015 كتاب صدر في لندن عن نظريات الترجمة وتطبيقاتها العملية.
- ترجم العديد من المجموعات القصصية والأعمال الروائية والمقالات العلمية.
- حصل على جائزة عبدالحميد شومان للعلماء العرب الشباب (الأردن) في العلوم الإنسانية في العام 1993.
- حصل على جائزة الباحث المتميز في العلوم الإنسانية من جامعة الكويت في العام 2005.



حنان عبد المحسن مظفر

- مواليد 1967.
- دكتوراه في الأدب والنقد الإنجليزي من جامعة إنديانا في بنسلفانيا 2000.
- عملت في سلك التدريس منذ عام 1989، بدءا بوزارة التربية (1989-1994)، ثم قسم اللغة الإنجليزية في جامعة الكويت (2000-2011)، ثم برنامج الماجستير في الأدب المقارن في جامعة الكويت (2009-2011).
- تشغل منصب عميدة شؤون الطلبة في الجامعة الأمريكية في الكويت حاليا، بالإضافة إلى عملها كمدرس في قسم اللغة الإنجليزية.
- لها أبحاث منشورة في مجال النقد الأدبي والأدب الأمريكي.
- لها ترجمة في سلسلة عالم المعرفة (عبر منظار اللغة - 2016).
- عضو في هيئة تحرير سلسلة إبداعات عالمية.

ما صدر من هذه السلسلة

314	حياة إنسان	تأليف : ليونيد أندرييف
315	دون كيشوت	تأليف : ميخائيل بولجاكوف
316	واحدة بعد أخرى تتفتح أزهار البرقوق	تأليف : كنيث ياسودا
317	ملحمة علي الكاشاني	تأليف : خلدون طائر
318	نون والقلم	تأليف : جلال آل أحمد
319	سيري سامبيجي	تأليف : تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام بورمية	تأليف : جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف : ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف : ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف : مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف : رولان بارت
325	لون الماء	تأليف : جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف : أمريتا بريتام
327	المنزل ذو الشرفات السبع	تأليف : اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف : مجموعة من القاصين الأتراك
330	مسرحية محكمة العدل في بلخ	تأليف : بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف : بنانا يوشيموتو
332	الطباخون الأشرار - الجرة المكسورة	تأليف : جونتر جراس
333	شمل تشابه ضائع	تأليف : هاينرش فون كلايست
334	حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	تأليف : أندريه شديد
335	زهرة الصيف	تأليف : فلاديمير هلباتش
336	طام - طام زنجي	تأليف : مجموعة من القاصين اليابانيين
337	اليبروح	تأليف : ليوبولد سيدار سنغور
338	منزل النور	تأليف : نيكولو ماكيافللي
339	كثبان النمل في السافانا	تأليف : جوهر مراد
340	أناتول وجنون العظمة	تأليف : تشنوا أشيبي
341	غرام ميتيا	تأليف: أرتور شنيتسلر
342	آرنجندن والحارس الليلي	تأليف: إيفان بونين
343	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: فيمي أوسوفيسان
344	مدرسة الدكتاتور	تأليف: تنغ - هسنغ يي
345	رسائل عيد الميلاد	تأليف: إيريش كستنر - تيد هيوز
346	حكايات وخرافات أفريقية (1) - الطفل الملك	تأليف: سليمان جيغو ديوب
347	مسرحية عذراء أورليان	تأليف: فريدريش شيللر

ما صدر من هذه السلسلة

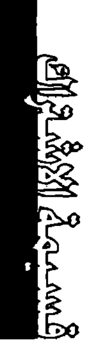
348	حكايات وخرافات أفريقية (2) الأدغال والسهول العشبية تحكي	تأليف: سليمان جيفو ديوب
349	القصة القصيرة الإسبانو أمريكية في القرن العشرين	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالأسبانية
350	مسرحيتا: 1- محنة الأخ جيرو -2 تحوُّل الأخ جيرو	تأليف: وول سوينكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية)	تأليف: أو. هنري
352	مسرحية «أنتيجون»	تأليف: ب. بريشت
353	أجمل حكايات الزن يتبعها فن الهايكو	تأليف: هنري برونل
354	مسرحية «المقهى»	تأليف: لاوشه
355	مسرحيتا: 1- صناعة تاريخ - 2 ترجمات	تأليف: برايان فرييل
356	رواية «الشباب»	تأليف: ج. م. كويتتزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات)	تأليف: مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيتا: 1- تلاميذ الخوف -2 الغزاة	تأليف: إيجون وولف
359	اسمي آرام (مجموعة قصصية)	تأليف: وليام ساروبان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة)	تأليف: مجموعة من القاصين المتحدثين بالألمانية
361	الصُّـورة (مسرحية)	تأليف: سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية)	تأليف: تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولند)	تأليف: إيرينيوش إيريدينسكي أندجي ماليشكا ستانيسلاف ليم (ستانيسواف) سوافومير مروجيك
364	سبع نساء... سبع قصص	تأليف: مجموعة من القاصات الفارسيات
365	زمن الضحك (ملهاة خفيفة من ثلاثة فصول)	تأليف: نويل كاورد
366	بالأبيض على الأسود (رواية)	تأليف: رُوبين دايفيد غونساليس غاليغو
367	مسرحيتا: 1- سهرة في المقهى -2 موت ممثل مشهور	تأليف: تيان هان
368	إمرأة وحيدة «فروغ فرخزاد وأشعارها» سيرة حياة	تأليف: مايكل هلمان
369	«الملاح» (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: ييجي شانيافسكي

ما صدر من هذه السلسلة

370	ليلة التنبؤ (رواية)	تأليف: بول أوستر
371	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	تأليف: نويل كاورد
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو همباطي با
373	الليلة التي أمضاها ثورو في السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لورنس وروبرت إي. لي
374	مختارات من الشعر الإيراني الحديث	تأليف: مجموعة من الشعراء الإيرانيين
375	العقرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	العقرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	«الأسيرة» (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: فروغ فرخزاد
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونيكا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونيكا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراس
383	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: إرنست همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: إرنست همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: إرنست همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: آرافيند آديغا
387	موطن الألم (رواية)	تأليف: دوبرافكا أوجاريسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باسكال كينيارد
389	الإحساس بالنهاية (رواية)	تأليف: جوليان بارنز
390	ياسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل إبرهاردت
391	المغامرة الغامضة (رواية)	تأليف: شيخ حامد كَان
392	الرجال الذين يحادثونني (رواية)	تأليف: أناندا ديفي
393	أنطولوجيا القصّة الإيرانية الحديثة	تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين
394	حكايات حكماء أفريقيا وأسطورة نجدو ديوال	تأليف: أمادو همباطي با
395	خرائط (رواية)	تأليف: نور الدين فرح
396	إله الصدفة (رواية)	تأليف: كريستن توروب
397	أزهار عباد الشمس العمياء (رواية)	تأليف: ألبرتو مينديس
398	الأبدية بعيدة جدا (وقصص أخرى)	تأليف: تيه نينغ

ما صدر من هذه السلسلة

399	اذهب حيث يقودك قلبك (رواية)	تأليف: سوزانا تامارو
400	الحضارة أمي (رواية)	تأليف: إدريس الشرايبي
401	فنان الاختفاء (ثلاث روايات قصيرة)	تأليف: أنيتا ديساي
402	عيناها (رواية)	تأليف: بزرگ علوي
403	السباحة إلى المنزل (رواية)	تأليف: ديبورا ليفي
404	الرِّقّة (رواية)	تأليف: دافيد فونكينوس
405	على قيد الحياة (رواية)	تأليف: يو هوا
406	الأب (رواية)	تأليف: يورج أكلين
407	إنّي أتعافى (رواية)	تأليف: دافيد فوينكينوس
408	الوردة الزرقاء (رواية)	تأليف: بينلوبي فيتزجرالد
409	إبداعات نسائية (مجموعة قصصية)	تأليف: مجموعة من الكاتبات التركيات
410	الإيـاب (ديوان شعر)	تأليف: هاينريش هاينه
411	سبع حكايا تعود من بعيد	تأليف: جان كريستوف روفان



البيان	إبداعات عالمية		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة		مجلة الفنون		المسرح العالمي	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	20	-	12	-	12	-	25	-	20	-	20	-
الأفراد داخل الكويت	10	-	6	-	6	-	15	-	10	-	10	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	24	-	16	-	16	-	30	-	24	-	24	-
الأفراد في دول الخليج العربي	12	-	8	-	8	-	17	-	12	-	12	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	50	-	30	-	20	-	50	-	50	-	50
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	25	-	15	-	10	-	25	-	25	-	25
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	100	-	50	-	40	-	100	-	100	-	100
الأفراد خارج الوطن العربي	-	50	-	25	-	20	-	50	-	50	-	50

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقداً/ شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / ٢٠٠م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت


المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب


kutub-pdf.net



توف جانسون

- كاتبة فنلندية من أصل سويدي وتكتب باللغة السويدية.
- ولدت في العاصمة الفنلندية هلسنكي في 9 أغسطس 1914 وتوفيت فيها في 22 يونيو 2001.
- نشأت في عائلة فنية، إذ كان والدها نحاتا ووالدتها مصممة جرافيك ورسامة.
- درست الفنون الجميلة بأنواعها المختلفة في إستوكهولم وهلسنكي وباريس.
- اشتهرت في بداياتها ككاتبة ورسامة للأطفال في الفترة من 1945 إلى 1970.
- حازت جائزة هانز كريسشين أندرسون الفنلندية في العام 1966 عن آخر عمل لها في أدب الطفل.
- حازت فيما بعد (1994) جائزة الأكاديمية السويدية.
- بدأت رحلتها في الكتابة للكبار عام 1968 في كتابها «ابنة النحات»، تلاه خمس روايات إحداها «المخادع الحقيقي» 1982.
- ترجم هذه الرواية من السويدية إلى الإنجليزية توماس تيل، وحازت جائزة أفضل كتاب مترجم في العام 2011.

المخادع الحقيقي

نقدم للقارئ الكريم، في هذا العدد، رواية مميزة بعنوان «المخادع الحقيقي»، للكاتبة توف جانسون، وهي كاتبة فنلندية من أصل سويدي وتكتب باللغة السويدية.

للوهلة الأولى، يظن القارئ أنه في حضرة رواية بوليسية مثيرة، ولكن سرعان ما يكتشف أن لهذا العمل وجهة أخرى، وجهة تركز على التوتر الذي ينتاب العلاقات الإنسانية أثناء مناقشة أمور أساسية دون الوصول إلى العنف أو إراقة الدماء، وهو ما يجعل الرواية تفعل فعل المغناطيس عند اقترابه من المعدن.

تدور أحداث الرواية في جُلِّها حول شخصيتين رئيسيتين هما كاتري كلينغ وآنا إميلين، تجمعهما العزلة وتفرقهما المكانة الاجتماعية والنظرة إلى الحياة.

والسؤال الذي يبقى حاضراً في ذهن القارئ هو: مَن يخدع مَن في هذه الرواية؟

إن الإجابة على هذا السؤال في غاية الصعوبة، إذ إنها تتلمس أطرافا مختلفة، فظاهريا ثمة أناس يمارسون الخداع بعضهم على بعض سعيا وراء مصالحهم الخاصة، سواء مادية كانت أم نفسية، ولكن قراءة متعمقة تكشف عن حقيقة أن الخداع الذي يمارسه الإنسان في جُلِّه موجه نحو الذات.

ISBN: 978-99906-0-488-7

